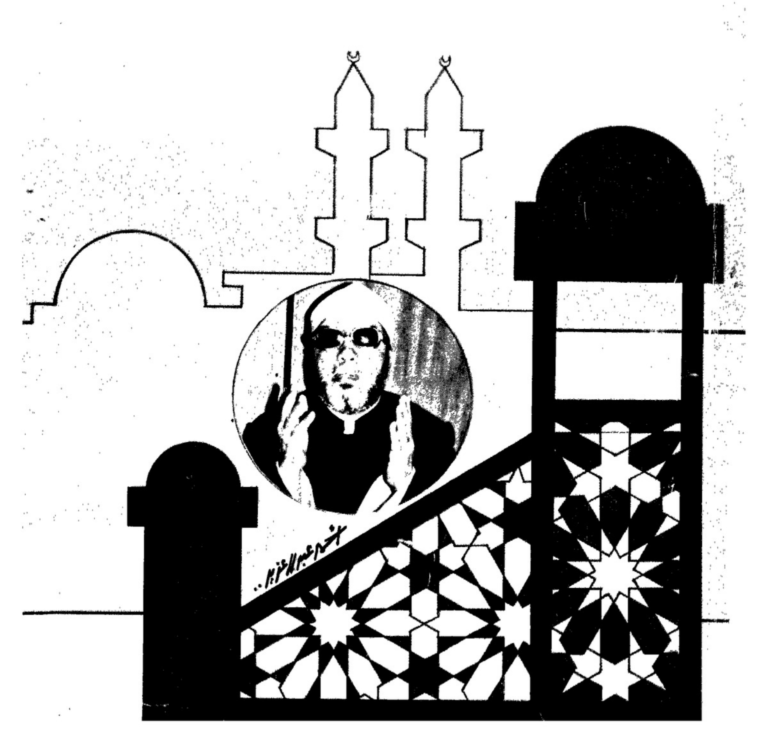
هنا مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم

الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ عبد الحميد كشك



اهداءات ٢٠٠١

صيدلى/ حسن سعد الدين حجازى

الإسكندرية

هنا مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم
الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ عبد الحميد كشك

أعده للنشر
الأستاذ محمد محمد عبد المقصود
مدرس اللغة العربية

يطلب هذا الكتاب من :

١ ـــ دار التوزيع والنشر الإسلامية

٨ ميدان السيدة زينب ت / ٩٣١٩٦١

٢ ـــ المكتبة القيمة ت / ٦٠١١٧٢

٣ ـــ كُشْك الصحافة بميدان العباسية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الشيخ الإمام

الحمد لله رب العالمين . وأصلى وأسلم صلاة وتسليما يليقان بمقام أمير الأنبياء وإمام المرسلين . وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين . وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

صل اللهم وسلم وبارك على هذا النبى الأمين ، وعلى آله وصحابته الغر الميامين وارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا ، وأموات المسلمين أجمعين ، اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب إليك ، ونؤمن بك ونتوكل عليك ، ونثنى عليك الخير كله . نشكرك ولا نكفرك ، ونخلع ونترك من يفجرك . اللهم إياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد ، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

هنا مدرسة محمد ﷺ . الجالس معنا فيها يجب أن يقدم التحية العاطرة المباركة للحبيب محمد ، وتحيتنا إليك ياسيدى ياأبا القاسم يارسول الله هى الصلاة والسلام عليك .

ياحماة الإسلام وحراس العقيدة :

ما أَمَسَّ حاجةَ القلوبِ إلى جلاء ؛ فإن القلوب لَتصْدَأ كما يَصْدَأ الحديد ،

وجلاؤها ذكر الله ، وتلاوة القرآن . قال تعالى : ﴿ إنّمَا المؤمِنُونَ الذينَ إذا ذُكِر اللهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُم ، وإذَا تُلِيَتْ عَليهم آيَاتُه زَادَتْهُم إيمَاناً وَعَلى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقِيمُون الصلاةَ ومما رَزَقْنَاهُم يُنْفِقُون أُولَئِكَ هُم الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجاتٌ عِنْدَ رَبِّهِم وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم ﴾ .(١)

وقال جل شأنه : « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ »(٢) . فالمقام هنا مقامان ، مقام الخوف ، ويعقبه الوجل ، ومقام الرجاء ، وتعقبه الطمأنينة ، قال أحد الصالحين : إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة . قال له أحد الجالسين فما بالنا إذا ذكر الله تعالى فأطرق الشيخ مليا ثم قال . إذا ذكر الله نزلت الطمأنينة أَوَ ماقرأتَ قوله تعالى ﴿ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ ﴾(٣) .

اعلم أيها العاقل الأريب أن ليست السعادة فى الانتشاء باحتساء الكئوس المترعة أو الاستمتاع بالغيد الأماليد ، إنما السعادة تتمركز عناصرها فى مملكة أقامها الإسلام فى قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَومُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُم لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِىَ اللهُ عَنهُمْ ورَضُوا عَنهُ ، ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ ﴾(٤) وقد عَنْصَرَ الرسول الكريم مراكزها فى قوله « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

سمع سفيان رضى الله عنه رجلا فى مجلسه يقول اللهم ارض عنى فقال له سفيان يا هذا لو رضيت عن الله لرضى الله عنك ، قال الرجل وكيف أرضى عن الله ياسيدى ؟ . قال يوم تسر بالنقمة سرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله ، ويرحم الله من قال يناجى ربَّ العزة :

ما مسنى قدر بكره أو رضا ... إلا اهتديت به إليك طريقا
أمضى القضاء على الرضا منى به ... إنى عرفتك فى البلاء رفيقا

كم من مدنيات ناطحت الجوزاء وزاحمت الشمس فى الجلاء ولكنها قامت

(١) الأنفال الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ .
(٢ ، ٣) الرعد آية ٢٨
(٤) المائدة آية ١١٩ .

على ركام النفوس فلم تعبأ ببنائها ، وقامت على أنقاض القلوب فلم ترع تشييدها . قد يكون من السهل أن نشيد ناطحات السحاب ، ونصنع الطائرات التى تركب متن الهواء ونبنى الغواصات التى تمخر عباب الماء . نقيم البوارج وحاملات الجنود التى تقطع كبد الصحراء ولكن ليس من السهل أن نبنى النفوس.فبناء النفوس إنما يتجلى فى رسالات السماء . قال تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١) ﴾ وما زالت هذه الكلمة التى قالها ريتشارد نيكسون يوم تولى حكم الولايات المتحدة الأمريكية . مازالت هذه الكلمة ترن فى أذنى قال إن الولايات المتحدة الأمريكية لاتعانى أزمة مادية . إنما تعانى أزمة روحانية . لقد وجدنا أنفسنا أغنياء فى السلع لكننا فقراء فى الروح نصل فى قرب عظيم إلى القمر ، ونسقط فى خلاف حاد على الأرض .

من أجل بناء النفوس يسعدنى ويثلج صدرى أن أقدم هذه السلسلة المتصلة من الأبحاث العلمية الإسلامية التى اشتملت على أصول العقائد وشعائر العبادات ، وشرائع المعاملات ، ومناهج السلوك وقواعد الأحكام ، ومبادىء النظام ، فإن أحسنت فمن الله وحده ، وإن أسأت فمن نفسى ، ولا أدعى الكمال ، فإن الكمال لله وحده والعصمة لرسوله . وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ، ومهما حاولت فما أنا إلا كشعاع متسلل من خنايا النافذة ، ومهما حاولت المسير فلن أصل إلى شاطىء البحر الذى عبروه ، وما أنا إلا كما يقول القائل :

كالبحر تمطــره السحــاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَولاًمِمن دَعَا إِلى اللهِ وعَملَ صَالحاً وَقَالَ إِنَّنِى من المُسْلِمينَ ﴾(٢).

والله أسأل أن يجعلنا ممن يتفيئون ظلال هذه الآية الوارف الظليــل

وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الحميد كشك

---

(١) الشمس آية ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) فصلت آية ٣٣ .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــم

الحمد لله رب العالمين . وأشهد ألا إله إلا الله ولى الصالحين . وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين .

أما بعـــد ،

فهذا الكتاب « مدرسة محمد ﷺ فى الخطابة » لفضيلة الشيخ الإمام عبد الحميد كشك ـ كتاب زاخر بالحكمة والموعظة الحسنة . وهو كتاب افتقدته المكتبة الإسلامية زمنا طويلا ؛ ربما لأن معظم كتب الخطابة الموجودة قد كتب ليقال ، مما أفقده روح الخطابة . أما كتابنا « مدرسة محمد ﷺ فى الخطابة » فهو قد قيل ، ثم كتب كما قيل مما جعله محتفظا بروح الخطابة متميزا عن أقرانه .

وهذا الكتاب يهتم بأمر العقيدة اهتماما بالغا فهى الركيزة الأولى فى الإسلام بل هى الأساس الصحيح لكل ما يأتى المسلم وما يدع فى حياته . كما أن هذا الكتاب قد عالج فى عناية فائقة مولد النبى ﷺ ، ونشأته ، وشخصيته . ثم تحدث عن إسراء الرسول ﷺ ومعراجه ، ثم تحدث عن المؤمنين وصفاتهم وجزائهم وأخلاقهم ثم بين طريق الوصول الى الله سبحانه وتعالى . ثم عالج بعض القضايا الهامة (الحج والزواج) ثم تحدث عن عدد من أنبياء الله (يوسف ، وموسى ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى) وهم لنا أسوة وقدوة ومصابيح هداية نهتدى بها . ثم تحدث عن أدب المعاملة وأدب السفر ، ثم تحدث عن الموت والدار الآخرة .

وأنا لا أريد أن ألخص لك الكتاب كي لا أشوِّه لك صورته ، ولكنى أشرت إلى رؤوس الموضوعات التى عالجها ، وكلها تعالج قضايا هامة نحن فى أمسِّ الحاجة إلى التحدث فيها كى نصلح اعوجاجنا ، خاصة وأن الذى عالج هذه القضايا هو فضيلة الشيخ الإمام عبد الحميد كشك ، وهذا مما جعل هذا الكتاب متفردا عن غيره ، وفضيلة الشيخ الإمام غنى عن التعريف وهو فى الخطابة قمة شماء لا تسامى ولا تدانى ، وهو صاحب مدرسة فى الخطابة تتلمذ عليه فيها عامة علماء عصره ، ويسير على منهج الشيخ الإمام فى الخطابة عامة الخطباء فى هذا العصر ... ولا تسير فى أى مكان فى العالم الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه إلا وأنت تسمع صوت فضيلة الشيخ الإمام يعلم ويوجه ويرشد من خلال التسجيلات التى سجلها له المسلمون واعتزوا بها ، ولا تجلس مع واحد من المسلمين فى شرق الأرض أو غربها إلا ويخبرك أنه قد تأثر بفضيلة الشيخ الإمام علما أو هداية وسلوكا .

وربما كان لقاء فضيلة الشيخ الإمام والجلوس معه يعتبر من الآمال لكافة المسلمين ؛ ولذا يصعب الحديث عن فضيلة الشيخ الإمام ؛ إذ ماذا نقول ؟ فكل ما نقوله يعرفه المسلمون . فالمسلمون يعرفون أن فضيلة الشيخ الإمام عبد الحميد كشك هو إمام الخطباء فى هذا العصر ، وهو الخطيب الأوحد فى زماننا ، وهو الخطيب الذى أقبل عليه القاصى والدانى واستمع له الناس على اختلاف طبقاتهم ، وتعلموا منه وهداهم الله على يديه .

وفضيلة الشيخ غزير المادة كالبحر المحيط إذا سئل أجاب بعلم وافر . وهو حاضر البديهة تنساب كلماته انسيابا . وهو يتحدث بما يشعر ويحس ، فيأتى حديثه ممزوجا بإحساسه فيصل إلى القلب ويحرك العواطف والمشاعر ، ويهدى قلب السامع ليفهم ويعقل ما يسمع ﴿ إنَّ فى ذَلِك لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أوْ ألْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ . وفضيلة الشيخ أديب كبير يمزج بين النثر والشعر مزجا محكما ، فلا تستطيع أن تميز النثر من الشعر لروعة الموسيقى التى تزين الخطبة كلها فكأنها منظومة شعرية رائعة تصل من أذنك إلى قلبك وعقلك بسرعة مذهلة ، بل إن القلوب لتهتز طربا وهى تسمع منه فالألفاظ قوية معبرة ، والعبارات محكمة مترابطة ، ولا تلمح فى اللغة خطأ واحدا بل لانبالغ إذا قلنا : يكاد فضيلة الشيخ الإمام يكون الخطيب الأوحد الذى لايخطىء فى اللغة فى

هذا العصر . فضلا عن أن الله حباه بصوت مميز مسموع له فعل السحر فى القلوب ، وفضيلة الشيخ الإمام فوق ذلك هو التواضع والأدب والسمو والعزة ، فإذا أردت أن أصفه لك بإيجاز أقول لك أيها القارىء الكريم لقد عايشت فضيلة الشيخ الإمام عن قرب فوجدته « مثالا لكل ما قاله فى خطبه » الإسلام والإيمان والإحسان . الزهد والتواضع والرقة والعزة . العلم والحياء ، الثقة والتوكل ، الطمأنينة والسكينة والرضا ، كل ذلك هو فضيلة الشيخ الإمام عبد الحميد كشك نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله .

ولقد كلفنى وشرفنى فضيلة الشيخ الإمام بإعداد هذا الكتاب للنشر ، وكان ذلك مُوافقاً رَغْبَةً أصيلَةً عندى لِلقيام بهذا العمل لخدمة الدعوة الإسلامية رجاء أن ينفع الله به وأن يتقبله منى . كما أن هذا العمل يعتبر إحياءً لجهد عظيم قام به فضيلة الشيخ الإمام ؛ فالكلمة المكتوبة أطول بقاءً من الكلمة المسموعة وإن كانت الكلمة المسموعة أقوى أثراً فى النفوس .

كما أننى أثناء قيامى بتدريس مادة الخطابة فى معهد الإمامة بالجمعية الشرعية بالمطرية ، وجدت الدارسين فى حاجة إلى أمثلة تُحتَذى ، ووجدت خُطبَ فضيلة الشيخ الإمام هى خير مثال ...

والذين يقومون بالدعوة فى هذا العصر يحتاجون إلى مزيد جهد من العلماء الكبار كما يحتاجون إلى مزيد نصح كى تتضح لهم معالم الطريق ، ولعل هذا الكتاب يكون جهداً من الجهد المطلوب كما أن الدعاة يجب عليهم أن يحرصوا على كثير من الأمور الهامة التى تساعدهم على النجاح فى مهمتهم ولعل من أهم هذه الأمور :

١ ـــ يجب على الدعاة أن يتحلوا بحسن الخلق ؛ لأن الداعية يمثل القدوة والمثال . والتربية عن طريق المثال والقدوة هى أصلح أنواع التربية وأرجاها ثمراً . وحسن الخلق هدف « أصيل » من أهداف الإسلام بل إن المصطفى الكريم ﷺ يقول : « إنما بُعثْتُ لِأُتمم مكارم الأخلاق » . كما قال ﷺ « إن أحبكم إلىَّ أحاسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافا الذين يَألَفونَ ويُؤلَفون » .

والرسول ﷺ يعلمنا حُسن الخلق بقوله ، وفعله ، ففى ميدان الشجاعة

كان هو أشجع الناس . ولعلك تذكر يوم حنين حينما شُغل المسلمون بالغنائم فهجمت عليهم هوازن ففرّ المسلمون من هول السهام لكن المصطفى ﷺ بقى ثابتاً فى مكانه ، فوق بغلته البيضاء ، ينادى : « أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب ، ففاء إليه المسلمون وثبتوا حتى انتصروا » وكان الصحابة إذا اشتد بهم البأس يتقون برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى ميدان التواضع لعلنا نذكر أنه ﷺ كان يأبى التعالى والتمايز ففى بعض أسفاره تهيأ أصحابه لإعداد الطعام وتقاسموا العمل فيما بينهم فقال ﷺ « وعلى جمع الحطب » فقال الصحابة يارسول الله « إنا نكفيك هذا » فأجابهم : « قد علمت أنكم تكفوننى إياه ، ولكنى أكره أن أتَمَيَّزَ عليكم هكذا أبى الرسول ﷺ أن يتكبر أو يتعالى على أصحابه وإخوانه .

ومن حسن الخلق الرحمة وكيفية معالجة الأمور والصفح ، انظر إلى المصطفى ﷺ حينما كان يجلس بين أصحابه فى المسجد ، وقام أعرابى فبال فى المسجد فتناوله الناس بألسنتهم فماذا قال لهم الحبيب ﷺ : قال لهم «دعوه» أى لاتقطعوا على الرجل بولته ، وبعد أن بَال الأعرابى قال الرسول الكريم لأصحابه أريقوا على بوله سَجْلاً من ماءٍ ، فإنما بُعثتم مبشرين ولم تبعثوا معسرين » . هكذا عالج الرسول ﷺ الموقف بحسن خلقه ورحمته ولم يترك الناس ينالون من الأعرابى ولو تركهم ينالون منه لَفَرَّ الأعرابى ونفر من الإسلام . لكن الرسول ﷺ تركه حتى انتهى من بوله ثم وجهه فى أدب ورحمة « يا أخا العرب إن هذا المسجد لا يصلح لشيء من هذا القذر » .

٢ ـــ كما يجب على الدعاة أن يرتبطوا بالقرآن حفظا وفهما وتدبرا ، وكذا بالسنة المطهرة . كما يجب عليهم من أن يكثروا من القراءة فى كتب الفقه ويجب عليهم أن يلموا بالأفكار التى تدور فى المجتمع ، وأن يعرفوا حلول هذه القضايا بالقراءة وبسؤال كبار العلماء حتى تكون إجابتهم صحيحة وحتى يثق الناس فى آرائهم ، وأقوالهم .

٣ ـــ من الأشياء التى تقصم ظهر الداعية أن يغتر بما أوتى من علم وأن يتجاهل قدر الآخرين مع أن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ وَفَوقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ . ويقول أيضا : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً ﴾ .

٤ ــ العزة هي أول وسام خلقي يجب أن يتحلى به الداعية ﴿ ولله العِزَّةُ ولِرَسُولِه ولِلْمؤمِنِين ﴾ .

والعلماء ورثة الأنبياء ، ولذا يجب على الدعاة ألا يداهنوا أحدا وألا يخضعوا لباطل ، فهم الهداة ، وبهم يقتدى الناس ، ولو زاغ عالم زاغ به خلق كثير ، ففي فساد العَالِم فساد العالَم

٥ ــ يجب على الدعاة أن يكونوا على بصيرة بطرق الإقناع المختلفة ، وأن يستخدموا الفكر والمناقشة كوسيلة لإقناع السامع وأن يبتعدوا كل الابتعاد عن العنف لأن العنف يدل على ضعف صاحبه كما أنه يغلق باب الفهم عند الخصم ويجعله فى موقف عداء لك .

وهاك مثالا للمناقشة الفكرية فى القرآن .

عندما حاور سيدنا إبراهيم المشركين تجد أنه وافقهم بدءا على منهجهم . هل يعقل هذا ؟ إنه منهج التهكم والتوليد الذى نسبوه إلى سقراط وهو فى الحقيقة منهج سيدنا إبراهيم . فهل تأثر سقراط بسيدنا إبراهيم ؟ التأثر الفكرى ممكن ؛ لأن الفكر ليس حكراً على أحد لايقدره ، ولأن الفكر ينتشر دون قيد . لكن الذى نود أن نُشير إليه هو أن ذلك المنهج نسب فى القرآن إلى سيدنا إبراهيم فعلى دارسى الفلسفة أن ينتبهوا إلى هذه الحقيقة .

لنقرأ معا الآيات ثم نحاول أن نتبين مافيها ﴿ فَلَما جَنَّ عَلَيه اللَيْلُ رَءَا كَوْكَباً قَالَ هَذا رَبِّى فَلَمَّآ أفَلَ قَالَ لآ أُحِبُّ الآفِلِين فَلَما رَءَا القَمَرَ بَازِغاً قَال هَذا رَبّى فَلَما أفَلَ قَال لَئِن لمْ يَهدِنى رَبّى لَأَكُونَنَّ مِنَ القوْمِ الضَّآلين * فَلَما رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إنِّي بَرِىءٌ مِمَّا تُشرِكُونَ * إنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَاواتِ والأَرْضَ حَنِيفاً وَمآ أنا مِن المُشرِكِين ﴾ سورة الأنعام (٧٦ : ٧٩) .

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ــ وكانوا يعبدون الكوكب ــ فقال سيدنا إبراهيم للكوكب هذا ربى ، ولا يعنى هذا أن سيدنا إبراهيم قد عبد الكوكب ، وإنما قال ذلك موافقا لرأيهم ــ هذا تهكم ــ حتى يستميلهم إلى الحقيقة ، ولأن النقد قد يقبل من الصديق ولا يقبل من الخصم . فلما وجد

فرصة لتوليد الحقيقة انتهزها « فلما أفل أى غاب ـــ قال لا أحب الآفلين . أى إن الإله لايغيب أبدا ، ولا يليق بالإله أن يغيب فمن الذى يحكم الكون إذا غاب الإله ؟

ولما ظهر القمر ، وكانوا يعبدون القمر أيضا ، قال هذا ربى ـــ قالها للقمر حينا ظهر تهكما حتى يستميلهم أيضا للحقيقة ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . هكذا بين لهم أنهم ضلوا « هذا توليد للحقيقة » فهو يبين لهم أنهم قد عبدوا من يغيب ، وهذا لايليق . إذا فكل من يعبد إلها يغيب يعتبر ضالاً . أى إن القوم كلهم ضالون . فيجب عليهم أن يبحثوا عن إله لايغيب . لاحظ أن التوليد يزداد ، فى المرة الأولى بين لهم أنه لايحب الآفلين الغائبين أما فى المرة الثانية فزاد أن بين لهم أن هذا الطريق يؤدى إلى الضلال ثم أشار إشارة خفيفة إلى أن له ربا غير هذا ، وأن ربه سوف يهديه .

ثم ماذا ؟ رآهم يعبدون الشمس ، فقال لهم هذا ربى هذا أكبر . لاحظ أن التهكم هنا قد زاد ـــ وليس هذا عبادة من خليل الرحمن إبراهيم للشمس ، ولكنه يتهكم بهم ليتولد الحقيقة على أساس فوافقه الخصم على رأيه إلى أن يُبين له ضلاله ثم يقوده إلى الحق . فلما أفلت أى غابت ـــ قال إنى برىء مما تشركون (زيادة فى التوليد) أى إن كل ذلك إشراك لأن كل الآلهة التى تُعبد من دون الله هى آلهة غائبة والإله لايغيب ، ولذا يجب ألا تعبد هذه الآلهة ، وهنا يكون سيدنا إبراهيم قد وصل إلى مايريد من إبطال عبادة قومه الباطلة وبيان زيفها وضلالها ، وتبقى أن يبين لهم الطريق القويم (قمة التوليد) فقال : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفَاً وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ ﴾ .

فالإله الذى يجب أن يعبد ليس كوكباً أو قمراً أو شمساً ، فكل هذه إنما هى مخلوقات تتبع السماء أو الأرض ، أما الإله الذى يجب أن يعبد فهو الله الذى خلق الأرض والسماء وما تلك الكواكب والأفلاك والمجرات إلا مخلوقات بأمر الله الواحد القهار .

هنا يكون سيدنا إبراهيم قد استطاع الوصول بعقول هؤلاء الناس إلى الحقيقة ، وفتح أمامهم طريق الإيمان بكل اليسر والوضوح ..

٦ ــ يجب على الدعاة أن يبينوا للناس أن الهروب من المجتمع تحت أى مسمى شىء مرفوض « من يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذى لايخالطهم ولا يصبر على أذاهم » .

إذا فعلينا أن نسلك بالناس سبيل التربية القويم ، وأن نبين لهم أن العنف والقوة فى مواجهة الباطل تصيبنا بأفدح الأضرار وأن خير السبيل لتغيير المنكر هو التربية الحسنة والقدوة الصالحة .

وكثيراً ما نسمع عن شاب عَادَى أباه وأمه ؛ لأن كلا منهما مقصر فى سلوكه ، ولا يصح أبدا أن يعادى الرجل أباه وأمه ، لأن ربنا سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوالِدَيْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً على وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ ، وإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِى مَالَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفاً . وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ ﴾ سورة لقمان ١٤ ، ١٥ . وهذا يعنى أن المسلم يجب عليه أن يطيع والديه وأن يحسن معاملتها وأن يُحقق لهما كل ما يرجوانه إلا فى حالة واحدة وهى إذا طلبوا منه الإشراك بالله فلا يجيبهما . مع ذلك يجب عليه أن يصاحبهما معروفا ، لأن طاعتهما واجبة حتى ولو كانا كافرين ظاهرى الكفر ، فيما عدا طلب الإشراك بالله .

وحينما يرى الأبوان أن ابنهما المسلم يطيعهما ويحسن إليهما ويبرهما ولا يهجرهما ويعطيهما كل مايملك ، عند ذلك قد يحول الله قلبيهما إلى الإيمان ، ويقتدى الأب والأم بابنهما ، ويكتسب الابن بذلك رضا الله ، وحسبك أن تعلم أن الرسول ﷺ قال : « لأن يهدى الله على يدك رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

٧ ــ من الأشياء التى يجب أن ينتبه إليها الدعاة مراعاة أحوال السامعين فلا يجوز الإفراط فى الكلام ، فقد ثبت أن النبى ﷺ كان يتخول أصحابه بالموعظة الحسنة خشية السأم أو الملل .

٨ ـــ كما ينبغى على الداعية أن يشعر بما يقول وأن ينفعل به ، فقد كان المصطفى ﷺ تنتفخ أوداجه ويحمر وجهه وكأنه منذر جيش .

٩ ـــ ومن الأمور التى ينبغى أن تكون مفهومة لكل المسلمين أن كل مسلم يعتبر داعية فى مكانه بسلوكه وهيئة وسمته ، وعلى قدر علمه فقد خاطب الرسول ﷺ أصحابه الجالسين معه بقوله : « إنما بعثتم مبشرين ، ولم تبعثوا معسرين » مما يؤكد أن الذين يتخصصون فى الدعوة طائفة ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (سورة التوبة ١٢٢) .

ومع ذلك فيجب على من ينذر من هذه الطائفة أن يكون مبلغا « فرب مُبَلَّغ أوعى من سامِع »

١٠ ـــ والاهتمام بالمظهر ، وحسن الهيئة من الأشياء التى تجعل كلام الداعية مقبولا . وكما سبق أن بيننا أن الداعية يقوم مقام المصطفى ﷺ نبين أن اقتداء الداعية بالمصطفى فى ملبسه وعمامته ، ولحيته ، كل ذلك يجعله قريبا من قلوب السامعين . فإن مطابقة المظهر للجوهر تجعل الكلام مسموعا وتجعل الأذن له مصغيه .

١١ ـــ ومن الأشياء التى يجب على الداعية أن يهتم بها هو إعداد كلامه حديثا كان أم خطبة . فعلى الداعية أن يبدأ بتحديد الفكرة التى سيتحدث عنها .

ثم يجمع الآيات والأحاديث التى تدور حولها قدر المستطاع .

ثم يرتب أفكاره الجزئية التى نشأت من تجميعه للآيات والأحاديث ومعايشته للفكرة الأولى .

ثم يراجع شرح الآيات فى عدد من التفاسير المتاحة له .

كما يراجع شرح الأحاديث إذا أتيحت له .

وعليه أن يجعل استدلالاته واضحة حتى تكون مقبولة ومقنعة .

ويعايش ذلك كله ويحس به وينفعل به ويحاول توصيل ماشعر به وأحس به إلى عقل وقلب السامع .

١٢ ــ ومن الأشياء التى تجب مراعاتها الاهتمام بقواعد اللغة حتى يكون المنطق صحيحا ، وحتى لايقع الخطيب فى الخلط والاضطراب فيعطى بخطئه معنى لايقصده فمثلا لو قال الخطيب ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه ﴾ بضم آخر إبراهيم وفتح الباء فى كلمة رب لأفهمنا ذلك أن إبراهيم هو الذى يختبر ربه ويمتحنه وأن الله هو الممتحن والمختبر ، وهذا معنى فاسد ولكن لو نطقها نطقا صحيحا ﴿ وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُّه ﴾ بفتح آخر إبراهيم وضم الباء فى ربه ، لأفهمنا ذلك المعنى الصحيح وهو أن الله هو الذى اختبر إبراهيم وامتحنه وأن إبراهيم هو الذى اختبر فأتم الكلمات .

١٣ ــ ومن الأشياء التى ينبغى على الداعية مراعاتها هو أن يحرص ــ قدر المستطاع ــ على معرفة كثير من المفردات اللغوية فإن فهم المفردات يساعد على الوصول للمعنى الصحيح فمثلا : سمعنا حواراً دار بين عالمين جليلين فى إحدى الندوات حول قوله ﷺ : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريبا فطوبى للغرباء » .

وقال أحدهما إن معنى عودة الإسلام غريبا أنه سيعود بين قلة من أنصاره وكثرة من أنصار الباطل .

وقال الآخر إن المعنى اللغوى يفيد بأن الإسلام سيعود مدهشاً فالغربة تعنى الدهشة . والإسلام الذى بدأ مدهشا للعالم كله سيعود مدهشا للعالم كله كذلك .

وعند التدقيق نرى أن المعنيين صحيحان ، والسياق يتحملهما فالإسلام بدأ مدهشا وأنصاره قلائل ، وسيعود مدهشا وأنصاره قلائل كما قال المصطفى ﷺ « إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ..

وهذا وبالله التوفيق

محمد محمد عبد المقصود

مولد الرسول الكريم

الحمد لله رب العالمين ـــ يارب ـــ فرج كروبنا . استر عوراتنا . آمن روعاتنا . اغفر ذنوبنا وأد ديوننا . اللهم لاتفضحنا بين خلقك ، ولا تخزنا يوم القيامة . اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك . اللهم احشرنا فى زمرة نبينا ، وتحت لواء حبيبنا . اللهم أحينا على سنته اللهم توفنا على ملته . اللهم اسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا . اللهم لاتحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده . اللهم ارزقنا قبل الموت توبة ، وعند الموت شهادة وبعد الموت جنة آمين . آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، احتفل بمولد نبينا فى عالم الأنبياء ، كلما بعث الله نبيا أخذ عليه العهد أن يؤمن بمحمد ، اسمع معى إلى ماقاله رب العزة ! ﴿ **وإذْ أخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّين لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصدِقٌ لِمَا مَعَكُمْ . لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّه ، قَالَ أأَقْرَرْتُم وَأخَذْتُم على ذَلِكُم إصْرى ، قَالُوا أقْرَرْنَا . قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمُ مِنِ الشَّاهِدِينَ** ﴾[1] لتؤمنن به ، ولتنصرنه . لتؤمنن به أى بمحمد ولتنصرنه أى محمدا .

إذا أدركتم زمانه فآمنوا به وانصروه ، وإذا لم تدركوا زمانه فوصوا أتباعكم أن يؤمنوا به ، وأن تنصروه . هكذا . ثم طلب الله من الأنبياء أن يقروا فأقروا جميعا ثم شهد رب العباد على ذلك إكراما للحبيب محمد ﷺ ﴿ **فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾ .

تجلى مولد الهادى وعمت بشائره البوادى والقصابا
وأسدت للبرية بنت وهب يدا بيضاء طوقت الرقابا
لقد ولدته وهَّاجا منيرا كما تلد السماوات الشهابا
فقام على سماء البيت نورا يضىء جبال مكة والنقابا
وضاعت يثرب الفيحاء مسكا وفاح القاع أرجاء وطابا

---

(١) آل عمران آية ٨١ .

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى بمدحك بيد أن لى انتسابا
فما عرف البلاغة ذو بيان إذا لم يتخذك له كتابا

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله ، وصفه مولاه بأنه سراج منير .

سيدى يارسول الله :

أنا المحب ومهجتى لا تنثنى عن وجدها وهيامها بمحمد
قد لامنى فيه الجهول ولو درى معنى الهيام به لكان مساعدى

سيدى أبا القاسم يارسول الله ياجلاء بصرى يا ذهاب همى وغمى وحزنى يانور قلبى ، ياطب القلوب وضياءها ، ياعافية الأبدان وشفاءها . صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة .

مع مولد الحبيب الهادى نعيش اليوم نتنسم عبيرا فواحا ، وندرك عناية الله بحبيبه ، فتعالوا لنرى نسبه ، هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن مزار بن معد بن عدنان الذى ينتهى نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام . هذا نسبه من جهة أبيه . أما نسبه من جهة أمه ، فأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن مزار بن معد بن عدنان الذى ينتهى نسبها أيضا إلى إسماعيل بن إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام .

تعالوا بعد ذلك لنرى العناية الإلهية التى اختارت له الأسماء . أما اسمه فمحمد ، لاحنظلة ولا جبلة ، ولا عبد العزى ، ولا عبد هبل ، إن عبد المطلب كما بشر بمولده سماه محمدا ، وسألوه : لم سميته بهذه الاسم ياعبد المطلب ، والعرب لاتعرف هذا الاسم ؟ فقال عبد المطلب : سميته محمدا ليحمد فى السماء والأرض.

لى فيك ياأرض الحجاز حبيب نور العيون وللقلوب طبيب
فى الأرض أحمد ، فى السماء محمد وعنـد الإلـه مقـرب محمـود

هو محمد ، أبوه عبدالله . كلمة إن دلت على شيء فإنما تدل على خالص التوحيد نعم عبدالله ، وهل هناك معبود إلا الله . أمه آمنة . الأمن والأمان حاضنته أم أيمن اليمن والبركة . القابلة التى ولدت أمه هى الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف . مرضعته حليمة السعدية . حلم وسعادة البلد الذى ولد فيه ، « وهذا البلد الأمين » مكة . الشهر الذى ولد فيه ربيع حيث الخصب والنماء وحيث يكسو وجه الأرض بساط من سندس أخضر .

هكذا كان الحبيب . هو محمد ، أبوه عبدالله ، أمه آمنة ، قابلته الشفاء حاضنته أم أيمن . مرضعته حليمة السعدية ، بلده مكة ، شهره ربيع .

جُعِلت حياتك للزمان ربيعـا ومشى بشيرك فى الأنام مُذيعا
الله أكبر حين بشر قائـلا وهب الإله إلى الأنام شفيعا

سيدى أتسمح لى أن أدخل بيتك ، أتسمح لى أن أقف على بابك يوم مولدك

ماجئت بابك مادحا بل داعيا ومـن المديح تضرع وثنـــاء

ماذا كان قبل مولده ؟ كانت الأقدار بعجبها ، فجده عبد المطلب نذر لله نذراً إن رزقه الله بعشرة ذكور أن يذبح واحداً منهم ، ورزقه بالعشرة ، وأدار القداح ليخرج من سيذبحه ، فجاءت القداح على عبدالله ، والد الحبيب ، وأدار القداح فإنه لمَّا أقدم على ذبح عبدالله وجد سداً منيعاً وسياجا سميكا يحول بين عبد المطلب وابنه عبدالله فأعاد القداح مرة ومرة فلم تغادر عبدالله ، فماذا يعمل ؟ وقلبه مملوء حبا لعبدالله ، فحكموا فى هذا الأمر حكما ، فقال الحكم اضربوا السهام بينه وبين الإبل فإذا جاء السهم على عبدالله مرة فاذبحوا عشرة من الابل وجاءت السهام على عبدالله عشر مرات ، فذبح من أجله مائة ناقة ، وبعد ذلك غادرت السهام عبدالله ، لماذا لم يذبح عبدالله ؟ لأنه فى ظهره أعظم مخلوق : ظل يتنقل من الأصلاب الزاكية إلى الأرحام الطاهرة حتى وصل إلى ظهر عبدالله ، إذا أراد الله فلا راد لما أراد . ولقد قال ربنا سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى الجليل : **« عبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ماأريد ، فإن سلمت لى فيما أريد**

كسبتك ماتريد ، وإن لم تسلم لى فيما أريد ، أتعبك فيما تريد ، ولا يكون إلا ماأريد » .

وفى ليلة حفت سماؤها ، ورق ماؤها ، وطاب هواؤها دخل عبد الله بزوجه آمنة بنت وهب ، ولكن لم يطل المقام بينهما ، فبعد أيام من بنائه بها ، نادى المنادى بأن القافلة التى ستذهب إلى الشام قد حان وقت انطلاقها وخرج معها من مكة شباب غير قليل كان عبدالله من بينهم . وطال البعاد بين آمنة وزوجها عبدالله ، وأخذ فؤادها يتلظى تريد عودة عبدالله ، فقد شعرت فى بطنها بجنين غريب . إنها سمعته فى بطنها يسبح الله .. وعادت القافلة ماعدا عبدالله لقد مات عبدالله ودفن فى المدينة عند أخوال أبيه من بنى النجار . مات هناك فى سن الخامسة والعشرين فى زهرة العمر فى شرخ الشباب .

مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض فليس يموت بأرض سواها

مات عبدالله فمن الذى سيرعى ولده محمداً ؟ إن الذى سيرعى محمداً هو الذى قال : ﴿ **هُو الَّذِى يُصَوِّرُكُم فِى الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ . لَا إِله إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ** ﴾[1] . يصوركم فى ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة « البرلس » الذى ينزل الجنين مغطى به .

مات عبدالله وولده مازال جنينا . ولكن هل موت الآباء يؤثر على الأقدار ؟ لا إن السيد الجليل محمدا فى ليلة هادئة الأنسام عاطرة الأنفاس .

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله للدين والدنيا به بشراء
بك بشر الله السماء فزينت وتضوعت مسكاً بك الغبراء

ولد الهدى ونزل بين بطن أمه ساجدا لله ، نزل من بطنها يقدم الشكر لله ، ولما علمت ثويبة جارية عمه أبى لهب بمولده أسرعت إليه وألقمته ثديها فكانت أول رشفة لبن نزلت فى جوفه الشريف من جارية ، تواضع ، وعظمة .. تواضع فى غير ذل ، وترفع فى غير كِبْر ، ولما رضع من ثويبة الجارية ، ذهبت ثويبة إلى

(١) آل عمران ٦ .

سيدها أبى لهب وبشرته بمولد ابن أخيه ، فسر أبو لهب سروراً عظيما ، وقال لها أنت حرة . نعم قال لها أنت حرة .

إن الله أخفى صفحة المقادير عن عباده لتنتظم مسالك الحياة . فهل ضاع هذا الأمر عندالله ؟ إن الحبيب ولد يوم الإثنين ، وأبو لهب أعتق جاريته فرحا بمولد الحبيب فى ذلك اليوم ، ولذلك فإن الله يخفف العذاب عن أبى لهب كل يوم إثنين إكراماً لفرحه بمولد سيد الخلق ، ولذلك قال أحد الصالحين : يشرح هذا المقام يارب :

إذا كان هذا كافرا جاء ذمُّه وتَبَّتْ يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائما يخفف عنه للسرور بأحمد
فما الظن بالعبد الذى كان عمره بأحمد مسرورا ومات موحدا

هكذا أعتق أبو لهب جاريته فكان ميلاد هذا النبى إيذاناً وإعلاما وبشيراً إلى العالم أجمع بأن هذا المولود سيحرم العبيد ، وليس ثمة أدنى عجب ، فإن محمدا هو الذى جعل من العبيد سادة ، ومن المستضعفين أساتذة وقادة ، جعل من عباد الحجر هداة للبشر . وجعل من رعاة الغنم زعماء للأمم .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى : « البر لايبلى والذنب لاينسى والديان لايموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » . ويقول أيضا : كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

* * *

حـول مولـد الرسـول

الحمد لله رب العالمين . يارب . اللهم لاتشمت بنا الأعداء . اللهم ارفع راية سيدنا محمد ، وانصر دين سيدنا محمد . اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، أكرمنا ولا تهنا ارفعنا ولا تضعنا ، ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه . اللهم باعد بيننا وبين الحرام كما باعدت بين المشرق والمغرب . آمين . آمين .

وأشهد ألا إله إلا الله ينادى يوم القيامة على الملائكة ويقول ياملائكتى : « **أخرجوا من النار كل من ذكرنى يوما وخافنى فى مقامى ، ياملائكتى لاتدخلوا النار عينا غضت عن محارم الله ياملائكتى لاتدخلوا النار عينا باتت تحرس فى سبيل الله ، ياملائكتى لاتدخلوا النار عينا بكت من خشية الله** » .

لا إله إلا الله .

إلهـــى :

أيدركنى ضيم وأنت ذخيرتى	**وأُظْلَمُ فى الدنيا وأنت نصيرى**
ليتك تحلو والحياة مريرة	**وليتك ترضى والأنام غضاب**
وليت الذى بينى وبينك عامر	**وبينى وبين العالمين خراب**
إذا صح منك الود فالكل هين	**وكل الذى فوق التراب تراب**

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله . هو الخلق وهو الكمال . هو الجمال هو العزة هو الطهر ، هو النقاء ، هو الصفاء . استمع إلى سيد الأنبياء وهو يقول : « ثلاث لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم . من هم ياسيدى يارسول الله : هم « ملك كذاب ، وشيخ زان ، وفقير متكبر » سيدى أبا القاسم ياجلاء بصرى ياذهاب همى وغمى وحزنى يارسول الله صلى عليك الله ياعلم الهدى ماهبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة .

حديثنا اليوم يدور حول رؤى ثلاث صاحبت مولد الحبيب محمد ﷺ أما الرؤيا الأولى فصاحبتها أم الحبيب السيدة آمنة قالت : « يوم حملت به رأيت نورا أضاء لى قصور الشام » . ورأت يوم قرب وضعه أن هاتفا فى المنام أتاها وقال لها ياآمنة : لقد حملت بسيد الدنيا وما فيها ، فإذا وضعته فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد .

هذه رؤيا ، وقد قال الحبيب ﷺ : « لم يبق بعدى من النبوة إلا المبشـرات قالوا وما المبشرات يارسول الله ؟ قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له » .

كما قال : « الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » ، ولماذا كانت الرؤيا جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ؟ لأن الحبيب ﷺ ظل ستة أشهر يوحى الله إليه بالمنام ، فكان إذا رأى رؤيا تحققت مثل فلق الصبح ، ولقد ظل الرسول يدعو ثلاثة وعشرين عاما .

ماذا رأت آمنة ؟ « رأت نورا أضـاء لها قصور الشام » ثم أتاها الهاتف فى المنام وقال لها لقد حملت بسيد الدنيا وما فيها فإذا وضعته فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد . وأنا عندما أقف أمام هذه الرؤيا أريد أن أقول إن آمنة أم رسول الله ، إذا قال لها الهاتف قولى أعيذه بالواحد ، فهذا دليل على أنها كانت مؤمنة موحدة بالله لاتعرف الشرك ، ولم يتسرب إلى قلبها شرك لأنها أم سيد الموحدين محمد ، فماذا كان حاله عندما وضعته ؟ .

قالت آمنة لما وضعته نزل ساجدا لله . ولا عجب فهو الذى قال لربيعة بن كعب ، وكان ربيعة صحابيا ملازما لرسول الله يصب له الماء إذا أراد الوضوء .. قبل الفجر خرج الرسول ليتوضأ فوجد ربيعة نائما ببابه ، فقال له ياربيعة تمن على . اسأل أى شىء أطلب تحقيقه لك من الله . فماذا قال ربيعة للحبيب قال للرسول : « أتمنى مرافقتك فى الجنة » . قال له الحبيب المصطفى أو غير ذلك ياربيعة ؟ قال ربيعة : « لا أريد إلا مرافقتك فى الجنة » ، ولم يطلب الغنى فى الدنيا وحطامها . إنه الرضا والقناعة .

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر خير من غنى يطغيها

وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع مافى الأرض لايكفيها
دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالى فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا وشيمتك السماحة والوفاء
يغطى للسماحة كل عيب وكم عيب يغطيه السخاء
فلا فقر يدوم ولا غناء ولا بأس عليك ولا رخاء
إذا ماكنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

فماذا قال الحبيب لربيعة وربيعة لم يطلب إلا مرافقة الحبيب فى الجنة قال الحبيب لربيعة « أعن على نفسك بكثرة السجود » .

صلّ لله والناس نيام ، فما من مؤمن يركع لله ركعة إلا بنى الله له بها قصرا فى الجنة . اسمع إلى الحديث القدسى الجليل : « **عبدى لك بكل ركعة ركعتها قصرا فى الجنة ، ولك بكل سجدة سجدتها نظرة إلى وجهى الكريم** » . « مامن مؤمن يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة وأعطاه بها حسنة » .

أيها السادة الأعزاء :

أما الرؤيا الثانية فرؤيا عبد المطلب . فماذا قال عبد المطلب ؟ قال عبد المطلب : « رأيت فى منامى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى وامتدت فيما بين السماء والأرض ثم تحولت من المشرق إلى المغرب ثم تحولت إلى شجرة أوراقها من نور » . فما تأويل هذه الرؤيا ؟

إن هذه السلسلة هى الحبيب محمد . تمتد بين الأرض إلى السماء ، لأن الوحى سينزل عليه من السماء ، من المشرق إلى المغرب لأنه سيملأ الدنيا توحيدا ، وذِكْراً لمن يقول للشىء كن فيكون . ثم تتحول السلسلة إلى شجرة . هذه الشجرة ليست كأشجار الدنيا ، إنها شجرة **أوراقها** نور وهل بعد نور الله من نور ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ والأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ،**

الْمِصباحُ فِى زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ، يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّة ، يَكَادُ زَيْتُها يُضِىءُ وَلَو لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ على نورٍ ، يَهدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، واللهُ بكلِ شَىءٍ عَلِيمٌ ﴾(١) . هذا النور الذى ضرب الله له المثل إنما هو نور الهداية إذا حل فى قلب العبد المؤمن .

إذا حل نور الهداية فى قلب العبد المؤمن أصبح كمشكاة فيها مصباح ، والمشكاة هى الكوة التى فيها المصباح ، وهذا المصباح فى زجاجة ، والزجاجة فى حد ذاتها ، وهى التى يحيط بقلب المؤمن كأنها كوكب من كواكب السماء الدرية . هذا المصباح من أين يوقد ؟ من شجرة مباركة زيتونة . أتدرون ماهذه الشجرة ؟ إنها القرآن الكريم ، وهى شجرة لا شرقية ولا غربية ، لماذا ؟ لأنها من الله والله لايحويه مكان ولا يجرى عليه زمان ، ولا يحويه جهة من الجهات لأنه أكبر من الجهات كلها . هذا القرآن هو الشجرة التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، لأنه كلام الرحمن ، نـور على نور ، نور الآيات التكوينية على نور الآيات التنزيلية يهدى الله لنوره من يشاء ، أين توجد هذه القلوب ؟ وأين يوجد أصحابها فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، من الذين فيها ؟ يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار .

معشر السادة . إن الرؤى فى عالم الإسلام لهامكانتها وقيمتها . جاء رجلان إلى الإمام العالم ابن سيرين ، قال له أحدهما ياإمام : لقد رأيت فى المنام كأنى **أؤذِنُ** فنظر الإمام إلى وجهه وقال له إنك ستحج إلى بيت الله . وقال الثانى ياإمام لقد رأيت فى المنام كأننى أؤذِّنُ ، فنظر الإمام إلى وجهه وقال له أنت سارق فتب إلى الله . فقال الحاضرون عجبنا لك ياإمام . الرجلان رأيا أنهما يؤذنان فلماذا فسرت رؤيا أحدهما بحج بيت الله ، ولماذا فسرت رؤيا الآخر بأنه سارق ؟ قال الإمام نظرت إلى أحدهما فوجدت فى وجهه علامة التقوى والفلاح ، فتذكرت قول الله تعالى : **﴿ وَأَذِّنْ فى النَّاسِ بالْحَجِ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلى كُلِ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ ﴾**(٢) ، ونظرت إلى الآخر فوجدت فى وجهه شؤم المعصية ، وظلمة

(١) النور ٣٥ .

(٢) الحج ٢٧ .

وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت — فجميع مافى الأرض لايكفيها
دع الأيام تفعل ما تشاء — وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالى — فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا — وشيمتك السماحة والوفاء
يغطى للسماحة كل عيب — وكم عيب يغطيه السخاء
فلا فقر يدوم ولا غناء — ولا بأس عليك ولا رخاء
إذا ماكنت ذا قلب قنوع — فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحته المنايا — فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن — إذا نزل القضا ضاق الفضاء

فماذا قال الحبيب لربيعة وربيعة لم يطلب إلا مرافقة الحبيب فى الجنة قال الحبيب لربيعة « أعن على نفسك بكثرة السجود » .

صلّ لله والناس نيام ، فما من مؤمن يركع لله ركعة إلا بنى الله له بها قصرا فى الجنة . اسمع إلى الحديث القدسى الجليل : « **عبدى لك بكل ركعة ركعتها قصرا فى الجنة ، ولك بكل سجدة سجدتها نظرة إلى وجهى الكريم** » . « مامن مؤمن يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة وأعطاه بها حسنة » .

أيها السادة الأعزاء :

أما الرؤيا الثانية فرؤيا عبد المطلب . فماذا قال عبد المطلب ؟ قال عبد المطلب : « رأيت فى منامى كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهرى وامتدت فيما بين السماء والأرض ثم تحولت من المشرق إلى المغرب ثم تحولت إلى شجرة أوراقها من نور » . فما تأويل هذه الرؤيا ؟

إن هذه السلسلة هى الحبيب محمد . تمتد بين الأرض إلى السماء ، لأن الوحى سينزل عليه من السماء ، من المشرق إلى المغرب لأنه سيملأ الدنيا توحيدا ، وذِكْراً لمن يقول للشيء كن فيكون . ثم تتحول السلسلة إلى شجرة . هذه الشجرة ليست كأشجار الدنيا ، إنها شجرة **أوراقها** نور وهل بعد نور الله من نور ﴿ **اللهُ نُورُ السَّمَٰوٰتِ والأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ ،**

الْمِصباحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّة ، يَكَادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَو لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ على نورٍ ، يَهدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، واللهُ بكلِ شَىءٍ عَلِيمٌ ﴾(١) . هذا النور الذى ضرب الله له المثل إنما هو نور الهداية إذا حل فى قلب العبد المؤمن .

إذا حل نور الهداية فى قلب العبد المؤمن أصبح كمشكاة فيها مصباح ، والمشكاة هى الكوة التى فيها المصباح ، وهذا المصباح فى زجاجة ، والزجاجة فى حد ذاتها ، وهى التى يحيط بقلب المؤمن كأنها كوكب من كواكب السماء الدرية . هذا المصباح من أين يوقد ؟ من شجرة مباركة زيتونة . أتدرون ماهذه الشجرة ؟ إنها القرآن الكريم ، وهى شجرة لا شرقية ولا غربية ، لماذا ؟ لأنها من الله والله لايحويه مكان ولا يجرى عليه زمان ، ولا يحويه جهة من الجهات لأنه أكبر من الجهات كلها . هذا القرآن هو الشجرة التى يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، لأنه كلام الرحمن ، نـور على نور ، نور الآيات التكوينية على نور الآيات التنزيلية يهدى الله لنوره من يشاء ، أين توجد هذه القلوب ؟ وأين يوجد أصحابها فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، من الذين فيها ؟ يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار .

معشر السادة . إن الرؤى فى عالم الإسلام لهامكانتها وقيمتها . جاء رجلان إلى الإمام العالم ابن سيرين ، قال له أحدهما ياإمام : لقد رأيت فى المنام كأنى أُوَذِنُ فنظر الإمام إلى وجهه وقال له إنك ستحج إلى بيت الله . وقال الثانى ياإمام لقد رأيت فى المنام كأننى أُوَذِّنُ ، فنظر الإمام إلى وجهه وقال له أنت سارق فتب إلى الله . فقال الحاضرون عجبنا لك ياإمام . الرجلان رأيا أنهما يؤذنان فلماذا فسرت رؤيا أحدهما بحج بيت الله ، ولماذا فسرت رؤيا الآخر بأنه سارق ؟ قال الإمام نظرت إلى أحدهما فوجدت فى وجهه علامة التقوى والفلاح ، فتذكرت قول الله تعالى : ﴿ **وَأَذِّنْ فى النَّاسِ بالْحَجِ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلى كُلِ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ** ﴾(٢) ، ونظرت إلى الآخر فوجدت فى وجهه شؤم المعصية ، وظلمة

---

(١) النور ٣٥ .

(٢) الحج ٢٧ .

الذنوب فتذكرت قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾(١) .. الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له

لقد روى الإمام على كرم الله وجهه قال : بينما نحن فى خلافة عمر بن الخطاب إذ رأيت فى المنام كأنى أصلى الفجر خلف رسول الله ﷺ ، فلما فرغنا من الصلاة وانصرفنا خرجت من المسجد ، فإذا امرأة واقفة بالباب وبيدها طبق فيه تمر قال لى ياعلى خذ هذا الطبق وأعطه رسول الله ليوزعه على أصحابه فلما أعطيته للحبيب فمد يده فى الطبق وأخذ تمرة ووضعها فى فمى فلما شعرت بحلو تمرها قلت له زدنى تمرة أخرى يارسول الله ، ولكنى استيقظت قبل أن يزيدنى ، فلما استيقظت سمعت الفجر يؤذن ، والرؤيا كلما اقتربت من أذان الفجر كلما كانت صادقة . فذهبت إلى مسجد الرسول ﷺ لأصلى الفجر ، فصليته وراء أمير المؤمنين عمر ، فلما انتهينا من الصلاة رأيت امرأة واقفة بباب المسجد ، وبيدها طبق فيه تمر ،قالت لى خذ هذا الطبق وأعطه عمر ليوزعه على أصحاب الرسول صلوات الله وسلامه عليه فأخذت الطبق وأعطيته عمر فمد يده وأخذ تمرة ووضعها فى فمى ، فلما شعرت بحلو طعمها قلت له زدنى ياأمير المؤمنين ، فقال لى عمر : لو أن رسول الله ﷺ زادك لزدناك . ماهذا ؟ إنها القلوب إذا صفت ، فعرفت ، فوفت ، فأحبت ، فشفت ، فانكشفت ، فأنارت ، فأضاءت ، فاستنارت ، فوحدت . هكذا كانت قلوب الصحابة رقيقة شفافة لم تعرف الغش ولم تعرف الكذب ولم تعرف التدليس ولم تعرف الكبرياء ، ولم تعرف الأذى ، ولم تعرف الضرر ، ولم تعرف تلفيق التهم للأبرياء ، لم تعرف الرياء ، ولم تعرف الدنيا والجرى وراءها ، قلوب كان صاحبها يقول لأخيه ياأنا .

ابتلى أحدهم بزوجة ناشز ، فقال له بعض أصحابه ، لماذا لاتطلقها وهى تؤذيك ؟ فقال العبد الصالح : أخشى أن أطلقها فيبتلى بها غيرى فتؤذيه ، ومعاذ الله أن أكون سببا فى إيذاء عباد الله . قالوا فماذا أنت فاعل معها ؟ قال أعمل بقول رسول الله ﷺ ، أيما رجل صبر على سوء خلق زوجته أعطاه الله مثل ماأعطى أيوب على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثلما أعطى آسية زوجة فرعون .

---

(١) يوسف ٧٠ .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى البر لايبلى والذنب لاينسى ، والديان لايموت ، اعمل ماشئت كما تدين تدان ويقول أيضا كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون .

* * *

القهار ، واستمرت المعركة ثلاثة أيام غربت بعدها شمس دولة الفرس إلى غير رجعة . وبقى أن يعبر سعد نهر دجلة ليدخل قصر كسرى . فقال سعد لجيشه : استعينوا بالله واصبروا واعبروا النهر بخيولكم ، فركبوا الخيول وعبروا النهر بالخيول ، وهم يقولون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده ، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . لا إله إلا الله فلا شيء بعده ، عبروا النهر بالخيول !! إنها خيل عراب إنها إبل صعاب عبرت نهر دجلة فماذا حدث ؟ دخل سعد بن أبى وقاص قصر كسرى ، وكان يسمى القصر الأبيض . فماذا صنع سعد عندما دخل القصر ؟ لم يملأه الغرور ولم يستهوه الشيطان ، وإنما دخل القصر حافى القدمين ، وخر ساجدا لله رب العالمين ثم تلا قوله تعالى :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ ﴾ (١) ثم أصدر قراراً بأن يؤذن المؤذن فى جنبات القصر ، ووقف المؤذن لأول مرة فى قصر الظلم يقول الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، فلما نطق المؤذن بالشهادتين أطفئت نار الفرس التى مضى عليها ألف عام لم تطفأ ــ أطفئت بقوة التوحيد .

اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك وأنت فى عليائك ، وأنا العبد الواقف بين يديك أسألك أن تنصر الإسلام والمسلمين . اللهم ارفع راياتنا ، اللهم وحد كلمتنا اللهم ألف بين قلوبنا اللهم أعد المسجد الأقصى إلى أيدينا اللهم ارفع راية لا إله إلا الله . اشف مرضانا ، وارحم موتانا ، وعليك بمن عادانا ، ولا يخيب فيك رجانا ، اللهم فك أسرنا وارحم ضعفنا ، وتول أمرنا وأحسن خلاصنا وبلغنا بما يرضيك آمالنا .

أكثروا من الصلاة على حبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ، ونور الأبصار ودوائها .

* * *

(١) الدخان ٢٥ ، ٢٨ .

نشأة النبى محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله رب العالمين . يارب . نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين .. يارب إذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا غير فاتنين ولا مفتونين . نسألك علما نافعا ، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء . اللهم يسر لنا أمورنا واشرح لنا صدورنا . اللهم ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه ، وباعد بيننا وبين الحرام كما باعدت بين المشرق والمغرب . اللهم اسقنا بيد نبينا شربة لانظمأ بعدها أبدا . لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده . آمين . آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله . قولوا جميعا لا إله إلا الله واسمعوا ماذا قال الحبيب عنها . يقول الحبيب المصطفى ﷺ : « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند مماتهم ولا فى قبورهم ولا يوم بعثهم » ثم اسمعوا إلى الحبيب وهو يقول : « وكأنى أنظر إلى أهل لا إله إلا الله وقد خرجوا من قبورهم يمسحون التراب عن رؤوسهم ويقولون : ﴿ **الْحَمْدُ لله الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ . الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَايَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ** ﴾(١) .

فإذا صاروا على الصراط نادت عليهم جهنم ، قالت : يامؤمن أسرع بالمرور على فإن نورك يغشى نارى ..

أما المشركون فعندما يخرجون من القبور يصابون بذهول ويسألون قائلين ﴿ **يَاوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا** ﴾(٢) فيرد عليهم المؤمنون قائلين : ﴿ **هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** »(٣) .

ابن آدم :

تذكر جميلى قد خلقتك نطفة ... ولا تنس تصويرى ولطفى فى الحشا
وسلم إلى الأمر واعلم بأننى ... أدبر أحكامى وأفعل ما أشا

---

(١) فاطر ٣٤ ، ٣٥ .

(٢ ، ٣) يس ٥٢ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله أقام دولة الإسلام على مبادىء الأخلاق والمثل العليا ، والقيم الرفيعة ، سأله سائل وقال له يارسول الله أوصنى فقال له الحبيب أربع كلمات : قال له « عليك باليأس مما فى أيدى الناس ، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر ، وأد صلاتك وأنت مودع ، وإياك وما يعتذر منه » .

عليك باليأس مما فى أيدى الناس ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَامَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُم فِيهِ ، وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى . وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ للتقوى** ﴾(١) .

سيدى أبا القاسم يارسول الله ياشفيع المذنبين ، يا صاحب اللواء المعقود ، يا صاحب الموقف المشهود ، ياصاحب الحوض المورود . ياصاحب المقام المحمود ياسيدى يارسول الله

الله أكبر إن دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لا تذكر الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفوا القنديلا

صلى عليك الله ياعلم الهدى ماهبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة :

نعيش مع قبس من نور السيرة العطرة ، مع محمد ﷺ فى بيت عبد المطلب ،وفى بيت أبى طالب .

عاد الحبيب بعد ما دفن أمه آمنة قرب المدينة ،وكان عنده من العمر ست سنوات عاد إلى عبد المطلب فأكرم مورده وأكرم رفادته ، وكان لعبد المطلب مجلس يجلسه مع المشيخة من قريش ، لأنه كان أمير مكة وسيدها المطاع ، وكان شيوخ قريش يجلسون حوله ، وعبد المطلب يجلس فى مكان مرتفع ، ورسول الله عنده من العمر ست أو سبع أو ثمانى سنوات يدخل على عبد المطلب ، وهو جالس ، فيحاول الشيوخ أن يمنعون ؛ لأنه مازال حديث السن ، فيقول عبد المطلب لا تمنعوا محمدا عن لقائى فوالله إنه سيكون له شأن عظيم ، وأى شأن ، وأى مكانة ، إن نور النبوة يشع من عينيه ويتألق بتاجه على رأسه ، ولما بلغ محمد

(١) طه ١٣١، ١٣٢ .

ثمان سنوات جلس بجانب جده عبد المطلب ، ونجده يمسح على رأسه ، ويقول له وداعا ياابن ابنى فإن الموت قد حان ، وجاءت سكرة الموت ، وانفض سوق الدنيا ، وذوى غصن الحياة وجف عودها ، وعبد المطلب على فراش الموت يدعو ابنه أبا طالب ، ويقول له يا أبا طالب إننى سأموت فأوصيك بمحمد خيرا .

وهكذا تقلب محمد على بساط اليتم . تركه أبوه وهو فى أحشاء أمه جنينا ، وغادرت أمه الحياة ومواكبها وهو فى السادسة ورحل جده عبد المطلب وهو فى الثامنة من عمره .

ولكن لماذا أوصى عبد المطلب أبا طالب بمحمد ، ولدى عبد المطلب من الأولاد تسعة رجال ، ماعدا حمزة فكان فى سن الحبيب محمد ، فكان حمزة أخا محمد فى الرضاعة وكان عمه فى النسب ، وكان ابن خالته ، فإن هالة أم حمزة بنت عم آمنة بنت وهب أم الحبيب محمد ؟ فلما ذا اختار عبد المطلب أبا طالب ليكون الحبيب فى رعايته وفى كنفه ، وتحت صيانته ، لأن أبا طالب كان أرجح أولاد عبد المطلب عقلا ، وأكبرهم قلبا ، وأرحمهم بهذا الحفيد ، ولأن أبا طالب كان شقيقا لعبدالله والد الحبيب المصطفى ، فأم أبى طالب هى نفسها أم عبدالله فاطمة بنت عمرو المخزومية دخل بها عبد المطلب فأنجب منها اثنين « أبا طالب وعبدالله » أما بقية أعمام الحبيب فهم إخوة أبيه من أبيهم ، فاختار له العم الشقيق ، لأن العصبة تقوى عندما يكون العم شقيقا .

نشأ الحبيب فى بيت أبى طالب ، وكان أبو طالب كثير العيال قليل المال لكنه بمجرد أن وطأت قدما رسول الله بيته ، كان أبو طالب لايقرب الطعام إلا إذا مد محمد يده أولا ، فكان إذا مد محمد يده أولاً أكل الجميع حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو ، وكانوا إذا شربوا اللبن فأول من يشرب من القدح اليتيم محمد فإذا ماشرب محمد ولمست شفتاه القدح شرب الجميع وبقى القدح يهدر بالحليب كما هو ، ماهذا ؟ إنه أعظم مخلوق ! إنه الرجل الذى رفع الله ذكره وبين لنا مكانته .

فموسى يقول ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾[1] ومحمد قال له ربه قبل أن يسأل ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[2] وموسى يقول ﴿ رَبِّ أَرِنِى أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ

(١) طه ٢٥ .

(٢) الشرح ١ .

لَن تَرَانِي ، وَلَكِنْ انْظُرْ إلى الْجَبَل فَإن اسْتَقرَّ مَكَانَهُ فَسَوفَ تَرَانِى فَلَمَّا تجلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إلِيكَ وَأَنَا أَوَلُ الْمُؤمِنِينَ ﴾(١) .

أما محمد فأرسل إليه ربه أمين الوحى جبريل ليلة المعراج ليقول له تعالى ياحبيبى لتنظر إلى ذاتى .

موسى يقول لربه ﴿ وَعَجلْتُ إلَيْكَ رِبِّ لِتَرْضَى ﴾(٢) ، ورب العالمين يقول لحبيبه محمد ﴿ وَمِنْ آناءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَكَ تَرْضَى ﴾(٣) .

هذا هو محمد خرج فى سن الثامنة ليرعى الغنم ، وما من نبى إلا ورعى الغنم يدرب الأنبياء على قيادة الأمم . فالغنم مدرسة لرعاية الأمم ، والغنم تعلم الراعى ثلاث صفات لابد من توافرها لكل من يقود الأمم « الصبر والحلم والتواضع » .

الغنم تعلم الحلم ولقد كان محمد أعظم الناس حلما ، عندما جاءه أعرابى والملأ من الصحابة جالسون حول الحبيب ، وقال الأعرابى وأغلظ فى القول ، وأخذ بتلابيب المصطفى ومجامع ثوبه أعطنى يا محمد فليس المال مالك ولا مال أبيك فماذا كان جوابه إن رعى الغنم علمه الحلم مهما اشتد الجهل . فأعطاه النبى ماطلب ، وسأله سؤالا ينم عن الذوق والحياء ، ينم عن رقة الشمائل وكريم السجايا ، قال له : أأحسنت ياأعرابى ؟ قال الأعرابى : والله ماأحسنت ،ولا أجملت ، ولا جزاك الله عنى خيرا . كل ذلك والابتسامة لاتفارق وجه رسول الله . إنه يداوى الجراح الدامية بتنسم الروحانيات الصافية . وقام عمر يهز سيفه فى الفضاء : مرنى بقتله يارسول الله ؛ إنه منافق يخاطبك بهذا الخطاب . فيقول الرسول ياعمر : لاتدخل بينى وبينه . تعالى معى ياأخى ، وأخذه الرسول إلى بيته وقدم له الطعام والشراب ، وزاد له فى العطاء ، وقال له أأحسنت ياأعرابى ؟ فقال الأعرابى أحسنت وأجملت وجزاك الله عنى وعن عشيرتى خيرا . فقال له الرسول لكن هذا الكلام لايصلح بينى وبينك لقد أسأت إلى أمامهم ؛ فأغضبتهم عليك ، فتعال معى أمامهم ؛ لتعلن هذا الكلام أمامهم ؛ ليتحول الغضب إلى رضا .

(١) الأعراف ١٤٣ .
(٢) طه ٨٤ .
(٣) طه ١٣٠ .

سياسة ، تربية ، رعاية ، عناية . هكذا كانت أخلاقه ، وهكذا كان حياؤه ،وهكذا كان خُلُقُهُ . رعى الغنم ،وهو ابن ثمانى سنوات على قراريط لقريش أى وكانت أجرته بعض الألبان التى تحلبها الغنم ، لم يرض أن يكون قعيد دار أبى طالب وإنما خرج ليأكل لقمة عيشه بكد يمينه ،وعرق جبينه . علمه رعى الغنم كيف يكون حليما ، وكيف يكون صبورا ،وكيف يكون متواضعا .

معاشر السادة :

يقول الحبيب متحدثا عن نفسه ماهممت بشىء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرة . سمعت دفا عند بنى فلان ، فقلت لصاحبى فى رعى الغنم انظر لى غنمى حتى أذهب إلى بيت فلان أستمع إلى طربهم وأرى عرسهم ، وبينما هو فى طريقه ،وهو الغلام الذى لم يتجاوز العاشرة من سنه وقبل أن يصل إلى البيت الذى فيه العرس جلس قليلا فى الطريق ، فألقى الله على عينيه النوم فنام ، فلم يستيقظ إلا والشمس طالعة فى اليوم التالى ،وهكذا حفظه الله وعصمه حتى وهو فى سن العاشرة .

فما سمع مايغضب الله وما رأى مايغضب الله .

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

أيها السادة الأعزاء :

العمل فى الإسلام شرف مابعده شرف ، ولهذا يقول إمام العاملين سيدنا محمد ﷺ « من بات كالاً من عمل يده بات مغفورا له » وقال الحبيب المصطفى « من أصاب من الدنيا شيئا حلالاً كافا به نفسه متعففا به عن الناس متعطفا به على جيرانه لقى الله تعالى يوم القيامة كالقمر ليلة البدر » . هذا هو الإسلام دين العمل وهذا هو نبى الإسلام نبى الجهاد والعمل .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى والذنب لاينسى والديان لايموت اعمل ماشئت كما تدين تدان » اعمل ماشئت يامن يناديك قبرك كل يوم ، ويقول لك : يابن آدم لاتتكبر على ظهرى لأنى غدا سأضمك فى بطنى . ويقول المصطفى أيضا : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

الخطبـــة الثانيـــة

الحمد لله رب العالمين ، واشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

معشر الإخوة الأعزاء :

إن الأزمة عندنا ليست أزمة مال أو ثروة وإنما هى أزمة الثقة فى الله . أزمة الاعتماد على الله . أزمة التوكل على الله . ولو أننا وثقنا بالله لهانت علينا الدنيا وما فيها .

تدور الأسئلة الآن حول تنظيم النسل أو تحديده كما تدور حول الاجهاض كما للحوامل ، كما تدور حول إنجاب البنات .

وهذه الأسئلة تنشأ من ضعف الإيمان . لماذا نحدد نسل أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع أن الرسول ﷺ يقول : « تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإنى مباه بكم الأمم يوم القيامة » ، لماذا نحارب النسل ياسادة ؟!

إن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بأربع صفات لم يشاركه فيها أحد أيا كان ﴿ **اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ** ﴾(١) .

جعل الخلق والرزق بالفعلين الماضيين « خلق ، رزق » وجعل الإحياء والإماتة بالفعل المضارع « يميت ، يحيى » لماذا ؟ لأن الخلق والرزق قد فرغ منهما الله منذ الأزل وأرسل الملك الموكل بالأرحام وأنت فى بطن أمك ليكتب رزقك وأجلك .

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل   الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا   لكنه خلق الإنسان من عجل

---

(١) الروم ٤٠ .

إن الرسول ﷺ لما رزق بفاطمة ،وكانت رابعة البنات ؛ ويانعم الرابعة ! رزق قبلها بزينب ورقية وأم كلثوم ، ثم رزق بفاطمة فقيل له يارسول الله إنها أنثى فماذا قال ؟ قال كلمة أصبحت مثلا . قال الحبيب بلسان اليقين ومنطق الحق المبين ! هى ريحانة أشمها . ثم ماذا ؟ اسمع معى إليه وهو يقول من رزق بأربع بنات كن له عونا يوم القيامة ، قال صحابى وإن كن ثلاثة ؟ قال وإن كن ثلاثة ! قال صحابى آخر وإن كانتا اثنتين يارسول الله قال وإن كانتا اثنتين . قال ثالث : وإن كانت واحدة يارسول الله ؟ فقال الحبيب المصطفى من رزق بأنثى فأحسن تربيتها كانت حجابا له من النار يوم القيامة .

ولذلك فإن رجلا يسمى أبا حمزة تزوج بامرأة ، فأنجب منها إناثا ولم ينجب ذكورا ، فذهب فتزوج بأخرى فأنجب منها ذكورا ، فسول له عقله أن يهجر أم البنات ، وذات يوم رأته أم البنات فقالت له :

ما لأبى حمزة لايأتينا ويدخل البيت الذى يلينا
غضبان ألا نلد البنينا والله ماهذا بعيب فينا
فنحن كالأرض لزارعينا نبت ماقد وضع فينا

إن بعض الصالحين يقول : « خير الناس من بكر بأنثى » قيل له : هل لديك من دليل يدل على صدق قولك ، فقال : اقرأوا قول الله تعالى : ﴿ **لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَايَشَاءُ يَهِبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهِبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴾[1] ، فقدم الإناث على الذكور فكان هذا دليلا على أن من قدمه الله فى القرآن قدمه يوم القيامة أمام خلقه ..

أما عن الإجهاض ، فلا يجوز لرجل أن يسقط مافى بطن زوجته ، كما لايجوز للأم أن تسقط مافى بطنها ، ولو مضى على الحمل ساعة واحدة ، لأنه أصبح جنينا ، وأصبح نفسا محرمة يعاقب قاتلها أمام الله رب العالمين . اسمعوا لماذا اعتبر الإسلام الجنين من أول ساعة ؟ ولماذا أقام له وزنه وأعطاه حقه ؟ لأن عدة المرأة تتغير بتغير الحمل ولو كان مضى على الحمل ساعة ، فعدتها قبل الحمل ثلاث حيضات أما بعد الحمل فإلى أن تضع حملها قال الله تعالى : ﴿ **وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ**

---

(١) الشورى ٤٩ .

﴿أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾(١) ، ولو مات زوجها وهى حامل لساعة واحدة فلا يجوز تقسيم التركة إلا بعد أن تضع مافى بطنها أو على أن يحسب له نصيبه على أفضل الأحوال المستحقة له ، وهكذا يظل الميراث موقوفا ومعلقا حتى تضع مافى بطنها ،ولو كان تسعة أشهر ، فلو كان مافى بطنها لاقيمة له ماتغيرت العدة من الحيضات إلى الحمل وما وقف الميراث ، ولكن التغير حدث ؛ لأن ما فى بطنها إن لم يكتب فى سجلات الأرض فقد كتب فى سجلات السماء عند الله .
فى سجلات السماء عند الله .

يامعشـر المسلمين :

لا تتخذوا آيات الله هزواً ، وثقوا بأن الرزاق هو الله ؛ لأن الثقة بالله هى التى تعطى الطمأنية والرضا ، وانظروا إلى الصديق أبى بكر كيف كان يشترى العبيد والإماء ويعتق كل ذلك ابتغاء مرضاة الله ، ولقد اشترى أبـو بكـر من أمية بـن خلف وحده ثمانية من العبيد والإماء ليعتقوا فى سبيل الله . وكان أبو بكر يوم دخل الإسلام ذا مال وفير إلى الحد الذى جعل الرواة يقولون : « كان عنده من الذهب مايقطع بالفئوس » ، ومع ذلك يوم نام على فراش الموت جردوا تركته ، فماذا وجدوا ؟ سأل عائشة ابنته يا أم المؤمنين ! قالت نعم ياأبتاه قال لها ماذا تركت ؟ قالت له تركت خادما كان يقضى لك الحوائج وجملا كان يحمل قربة الماء إلى بيتك ، وقطعة من القماش قال لها رديها إلى بيت مال المسلمين حتى ألقى الله كفافا لا لى ولا على ، قالت له فيم تكفنك ياأبا بكر ؟ قال لها من ثوبى هذا الذى كنت أصلى فيه خلـف رسول الله قالت : إن فيه رفعا ومزقا . أفلا نشترى لك كفنا جديـدا ؟ قال لها : ياعائشة الحى أولى بالجديد من الميت . وأبى أن يكفن فى ثوب جديد ، بل أبى أن يستدعى الطبيب . قالت له أمنا عائشة أستدعى لك الطبيب ؟ قال لها : لقد قابلت الطبيب قالت له : فماذا قال لك ؟ قال لها لما قابلت الطبيب قال لى : « أنا فعال لما أريد » .

إن الطبيب له علم يدل به ... إن كان للمرء فى الأيام تأخير
حتى إذا مانتهت أيام رحلته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

(١) الطلاق ٤ .

أين ذهب ذهبك ياأبا بكر ؟ اشترى به العبيد وأعتقهم لله ، وبقيت بقية من المال قدمها إلى صاحب اللواء المعقود يوم تبوك ، وقال له خذ هذا المال لتستعين به فى الجيش يارسول الله ـــ فلما قال له الرسول : وماذا تركت لأولادك ياصديق قال الصديق تركت لهم الله ورسوله . رجال . رجال رباهم محمد ﷺ .

يامعشـــر الســـادة :

خذوا درس الثقة من هذه الأمة زنِّيرة التى اشتراها أبو بكر من أمية بن خلف ، وأعتقها ، فلما أعتقها ذَهب نور بصرها وعميت ، فقال لها المشركون يازنيرة لو أنك بقيت على ديننا ماذهب بصرك . أرأيت كيف غضبت عليك الآلهة ؟ غضبت عليك اللات والعزى . عودى إلى الآلهة ترد عليك بصرك . فقالت زنيرة السيدة المملوكة الجليلة الرفيقة الشأن العالية القدم فى الإسلام . قالت والله لايملك الأمر إلا الله ، ولا إله إلا الله أحيا عليها وألقى الله عليها ، فلما قالت لهم هذا الكلام رد الله عليها بصرها فأصبحت أقوى مما كانت . ثقة فى الله ، يقين بالله ، اعتماد على الله .

اللهم انصر الإسلام والمسلمين ... اللهم أعل بفضلك كلمتى الحق والدين .

اللهم ارضنا وارض عنا . اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .

اللهم إنا نسألك علما نافعا وقلبا خاشعا ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء .

معشـــر الســـادة :

أكثروا من الصلاة والسلام على حبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها .

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْى . يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١) .

* * *

(١) النحل ٩٠ .

شخصيــة الحبيــب محمـد

الحمد لله رب العالمين . يارب . لاتدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبا إلا غفرته ، ولا كربا إلا فرجته ، ولا عيبا إلا سترته ، ولا دينا إلا أديته ، ولا مريضا إلا شفيته ، ولا ميتا إلا رحمته ، ولا مظلوما إلا نصرته ، ولامكسوراً إلا جبرته ، ولا غائبا إلا رددته ، ولا سائلا إلا أعطيته ، ولا حاجة إلا قضيتها بفضلك ياأرحم الراحمين . آمين . آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله .

قيل للإمام على هل رأيت ربك ؟ قال وكيف أعبد مالا أرى ؟ فقيل له فكيف رأيته يا إمام : إن كانت العيون لاتراه بمشاهدة العيان ، فإن القلوب تدركه بحقيقة الإيمان .

« من أراد مؤنسا فالله يكفيه ، ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه ، ومن أراد الغنى فالقناعة تكفيه ، ومن أراد واعظا فالموت يكفيه ، ومن لم تكفه هذه الأربعة فالنار تكفيه » .

قيل له ياعلى صف لنا ربك . فقال الإمام سبحان ربى لايدرك بالحواس ، ولا يقاس بالقياس ، فوق كل شيء ، وليس تحته شيء ، وهو فى كل شيء لا شيء فى شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

لا إله إلا الله نحمده سبحانه يقول فى الحديث القدسى : « **ابن آدم . أذكرك وتنسانى ، وأسترك ولا تخشانى ، لو أمرت الأرض لابتلعتْك فى بطنها ، ولو أمرت البحار لأغرقتْك فى معينها ، ولكن أُؤَخِّرك لأجل أجلته ، ووقت وقته ، ولابد لك ،ولكل نفس من المرور علىَّ والوقوف بين يدى ، أذكرك أعمالك ، وأعد عليك أفعالك حتى إذا أيقنت بالبوار وأدركت أنك من أهل النار أوليتك غفرانى ، ومنحتك رضوانى ، وقلت لك لاتخف ولا تحزن فقد غفرت لك الذنوب والأوزار ، ومن أجلك سميت نفسى العزيز العفار** » .

وحدوا العزيز الغفار ! لا إله إلا الله .

لاتدبر لك أمرا فأولوا التدبير هلكى سلم الأمر تجدنا نحن أولى بك منك
تذكر جميلى مذ خلقتك نطفة ولا تنس تصويرى ولطفى فى الحشا
وسلم إلى الأمر واعلم بأننى أدبر أحكامى وأفعل ماأشا

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله ، كان أغنى الناس نفسا .

كان أرجح الناس عقلاً ، كان أذكى الناس فكرا ، كان أعظم الناس نظرا ، اسمع إليه وهو يعلمنا الاعتزاز بالله ويقول « من أصبح حزينا على الدنيا فقد أصبح ساخطا على ربه ، ومن شكا مصيبة نزلت به فكأنما يشكو الله عز وجل ، ومن قعد إلى غنى لينال من ماله ، فقد ذهب ثلثا دينه » إنها القواعد إنها الأركان إنها الأصول ، إنها العزة ومن اعتز بغير الله جعل الله ذله على يديه .

سيدى أبا القاسم يارسول الله ياجلاء بصرى، ياذهاب غمى وهمى وحزنى .

ياسيد العقلاء ياخير الورى يامن أتيت إلى الحياة مبشرا
وبعثت بالقرآن فينا هاديا وطلعت فى الأكوان بدرا نيرا
والله ما خلق الإله ولا برى بشرا يرى كمحمد بين الورى

صلى عليك الله ياعلم الهدى ماهبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فياحُماة الإسلام وحراس العقيدة .

فنتحدث اليوم عن شخصية الحبيب محمد ﷺ . وقبل الحديث نستأذنه . سيدى أتسمح لى ياسيدى أن أحدث أتباعك وأحباءك وحواريك وأنصارك ومحبيك عن شخصيتك . أنت كريم . والكريم يسمح . الشخصية عند الفلاسفة تتكون من جوانب ثلاثة . الجانب الخِلْقِىُّ والجانب العَقْلِىُّ والجانب الخُلُقِىُّ ، فتعالوا ياأحباب محمد ﷺ لنبحث الجوانب الثلاثة فى حبيبنا محمد .

أما الحديث عن خلقته فمن أنا حتى أقف أمام رجل قال عنه الصحابى الجليل أبو هريرة مارأيت أحسن من رسول الله ﷺ لكأنما تجرى الشمس فى وجهه ، ثم ماذا ومارأيت أحدا أسرع فى مشيته من رسول الله ، لقد كنا نمشى معه والأرض تطوى تحته طيا فنجتهد ، وهو غير مكترث .

لكأنما تجرى الشمس فى وجهه ، وفى القرآن الكريم سراجان « سراج وهاج » ، « وسراج منير » . السراج الوهاج هو الشمس فى ضحاها ، والسراج المنير هو سيدنا محمد فى جماله وبهائه وكماله . فما الفرق بين السراجين ؟ السراج الوهاج فيه نور وحرارة ، والسراج المنير فيه نور ولا حرارة ، الشمس تؤذيك بحرها صيفا ، ونور الحبيب محمد يهديك صيفا وشتاء . الشمس إذا ازددت منها قربا تصيبك بالمرض ، والحبيب محمد إذا ازددت منه قربا ازددت من الرحمن حبا . الشمس تغيب ليلا ، ونور محمد لايغيب ليلا ولا نهارا فالسراج المنير أفضل عند الله من كل ماخلق الله . ولذلك اسمح لى يارسول الله أن أقول لك إن مثلى ومثلك كمثل أعرابى ضل فى الصحراء ، فلما طلع عليه القمر بنوره الفضى اهتدى بنوره ، فنظر الأعرابى إلى القمر فى علياء السماء ، وقال له أيها القمر أنا لاأدرى ماذا أقول لك ؟ أأقول لك نورك الله ؟ لقد نورك . أأقول لك رفعك الله ؟ لقد رفعك . أأقول لك جملك الله ؟ لقد جملك . وأنا ياسيدى يارسول الله أنظر إليك ، وأقول لك ، ماذا أقول لك ؟ أأقول نورك الله ؟ لقد قال الله فيك ﴿ **قَدْ جَآءَكُم مِنَ اللهِ نُورٌ** ﴾(١) . أأقول لك رفعك الله ؟ لقد قال الله فيك ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾(٢) . أأقول لك جملك الله لقد قال لك ﴿ **يَـٰأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِيا إِلَى اللهِ بِإِذْنِه وسِرَاجاً مُنِيراً** ﴾(٣) . ماذا أقول لك بعد ذلك . يامن هبط عليك جبريل ذات يوم فقال لك ياسيدى أتدرى بم رفع الله ذكرك ؟ فقال الحبيب للأمين الله أعلم ، فقال الأمين للحبيب : « **السلام يقرؤك السلام ويقول لك : لقد رفعت ذكرك بأن اسمى لايذكر إلا ومعه اسمك** » . « لا إله إلا الله محمد رسول الله » نقولها فى الأذان . نقولها فى الإقامة . نقولها على فراش الموت ، وما من دقيقة تمر على الدنيا إلا ونسمع فيها الأذان فى مكان ما ، فالأرض تدور حول نفسها وكلما تحرك المشرق ، وتحرك المغرب سمعت الأذان عاليا فما من دقيقة تمر إلا واسم محمد يتردد على شفاه المؤذنين والمؤمنين . إن هذا هو صفوة خلق الله .

فماذا عن عقله ؟ أما عقله ، فكان أرجح الناس عقلا ، هو أذكى الأذكياء ،

---

(١) المائدة ١٥ .

(٢) الشرح ٤ .

(٣) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .

وأبلغ البلغاء ، وأعقل العقلاء ، وأفصح الفصحاء . زكى الله عقله فقال : ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوى** ﴾(١) ، وزكى لسانه فقال : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوى** ﴾(٢) ، وزكى شرعه فقال : ﴿ **إن هُو إلا وَحْيٌ يُوحَى** ﴾(٣) ، وزكى جليسه فقال : ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى** ﴾(٤) ، وزكى فؤاده فقال : ﴿ **مَاكَذَبَ الفؤادُ مارَأى** ﴾(٥) ، وزكى بصره فقال : ﴿ **مَازَاغَ البَصَرُ ومَا طَغَى** ﴾(٦) ، وزكاه كله ، فقال : ﴿ **وَإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم** ﴾(٧) شهادة نطق بها العلى العظيم لصاحب الخلق العظيم .

جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ وقال أوصنى يارسول الله : « قال له لاتغضب . قال : زدنى ، قال : لاتغضب . قال : زدنى ، قال : لاتغضب ولك الجنة » .

نعم لاتغضب ؛ لأن الغضبان يقول مالا يعلم ، ويُعَلِّم قبل أن يتعلم ، ولا يخاف أن يأثم ..وإذا أثم لايندم . لاتغضب . نعم لأن الغضب يحدث اختلالا فى الدورة الدموية وتنتفض العروق بالدم ويرتفع ضغطه ، وعندئذ تغلق المفاهيم أمام الغضبان ؛ ولذا قال سيد الأنام : لايقضى القاضى وهو غضبان .

وقد دخل رجل أعرابى غليظ القلب ، مشمئز النفس ، دخل على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهو فى دار الإمارة ، وقال له : ياعمر أنت لاتعدل فى القضية ولا تقسم بالسوية ، وعندئذ انتفض عمر من مكانه ، فلم يكن أحد على وجه الأرض أعدل منه بعد أبى بكر ، وبعد سيدنا محمد ، واغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه وقام ليبطش بالأعرابى ، وكان بجانبه على ، كانت بطانته على . « إذا رضى الله عن الأمير رزقه بطانة صالحة ، فإذا غضب عليه رزقه بطانة سوء » وكان على نورا وبهاءاً ورحمة ، فماذا قال على حينما رأى عمر يريد أن يبطش

---

(١) النجم ٢ .
(٢) النجم ٣ .
(٣) النجم ٤ .
(٤) النجم ٥ .
(٥) النجم ١١ .
(٦) النجم ١٧ .
(٧) القلم ٤ .

بالأعرابى ، أيترك الأمير يظلم والله يقول فى الحديث القدسى : « **وعزتى وجلالى لأنتقِمَنَّ من الظالم فى عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن برى له قلما ، أو ناوله دواة** » . فماذا قال على لعمر وهو غضبان : قال له ياأمير المؤمنين : أما قرأت قوله تعالى : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وأمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِين** ﴾[1] . هكذا يضع على المراهم على الجراح الدامية ، فيتنسم عمر الروحانيات الصافية ، فيهدأ ، هكذا شأن الصالحين مع الأمراء يذكرونهم بالله ويعيدونهم إلى دائرة الحق .

فماذا قال عمر بعد ذلك لعلى ؟ قال له : لا أبقانى الله فى أرض لست فيها ياأبا الحسن .

هكذا تعلم عمر ، وهكذا تعلم على ، فى مدرسة محمد ﷺ من صاحب العقل الكبير والخلق العظيم ، تعلما العدل وحسن الخلق ، والعفو والسماحة .

هنا مدرسة محمد يقول فيها الحبيب ﷺ : « البر لايبلى والذنب لاينسى والديان لايموت اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

* * *

---

(١) الأعراف ١٩٩ .

الإســراء والمعــراج

الحمد لله رب العالمين . يارب . أكرمنا ولا تهنا . وزدنا ولا تنقصنا ، وارفعنا ولا تضعنا ، وانصرنا ولا تنصر علينا ، اللهم كن لنا ولا تكن علينا ، استر عوراتنا . آمن روعاتنا . اللهم استرنا بسترك الجميل الذى سترت به نفسك فلا عين تراك . لاتفضحنا بين خلقك ، لا تخزنا يوم القيامة . اشملنا بشفاعة نبينا ، واحشرنا تحت لواء حبيبنا . ارزقنا الحلال ولو كان قليلا وبارك لنا فيه . باعد بيننا وبين الحرام ولو كان كثيراً كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم أوردنا حوض حبيبنا . أحينا على سنته ، وتوفنا على ملته ، ولا تفرق بيننا وبينه يوم القيامة حتى تدخلنا مدخله . اللهم اسقنا بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لانظمأ بعدها أبداً . آمين .

وأشهد ألا إله إلا الله . يقول ابن مسعود رضى الله عنه : « اطلع الله على قلوب العباد ، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد فاختاره لرسالته » .

وبذلك يقول مولانا تعالى فى الحديث القدسى الجليل : « **وعزتى وجلالى لو سلكوا إلى كل طريق واستفتحوا على كل باب مافتحت لهم حتى يأتوا خلفك ياحبيبى يامحمد** » ..

لا يدخل الجنة من كفر بمحمد ، لأن الله سبحانه وتعالى كتب على باب الجنة أنا الله لا إله إلا أنا ، محمد رسول الله ، من قالها أدخلته الجنة ..

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله ، حينما التقى بخليل الرحمن إبراهيم فى رحلة المعراج قال له الخليل : يامحمد أبلغ أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة . عذبة الماء . وأنها قيعان ، وغرسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر . فقال الحبيب المصطفى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة .

أخا الإســلام :

لا تركنن إلى الدنيا وما فيها فالموت لا شك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار غدا رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها

ويقول الحبيب المصطفى « الحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن مابين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك .

سيدى أبا القاسم يارسول الله :

ياسيد العقلاء ياخير الورى يامن أتيت إلى الحياة مبشرا
وبعثت بالقرآن فينا هاديا وطلعت فى الأكوان بدراً نيرا

صلى عليك الله ياعلم الهدى ، ماهبت النسائم ، وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة :

نحن الآن فى شهر رجب ، وهو يذكرنا برحلتين لسيد خلق الله محمد ﷺ . الرحلة الأولى أرضية من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . والرحلة الثانية سماوية من المسجد الأقصى إلى مابعد سدرة المنتهى حيث لايعلم مدى ذلك إلا الله خالق الخلق ومبدع الكائنات .

أتى الأمين جبريل إلى سيد الأنام ومعه البراق ، ويقول له : يارسول الله إنك الليلة مدعو لزيارة السماء . الذى دعا هو الله ، والذى دُعِيَ هو رسول الله ، والذى بلغ الدعوة هو أمين الوحى جبريل .

إنها ليلة صفت سماؤها ورق ماؤها وطاب هواؤها وغرد الطير فيها بتسبيح ربه ، إنها ليلة اتصل بها نور السماء بأرض الصحراء .

﴿ سُبحَانَ الذِى أسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً من المَسْجِدِ الحَرَامِ إلى المسْجِدِ الأقْصَى

الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هَو السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] . سبحان : مفعول مطلق لفعل تقديره أسبح سبحان الله . بمعنى أنزه الله تنزيهاً يليق بذاته الأعلى وقد أخبر الصادق الأمين ﷺ : « لكل أعجوبة سبحان الله » .

إذا كان الأمر عجيباً فقل سبحان الله ، فسبحان الله لاتستعمل إلا فى الأمر العجيب ولذلك لما كان الإسراء معجزة خارقة للعادة ، فإن الله فى علاه بدأ السورة بقوله ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً** ﴾ . والإسراء هو عبارة عن السير ليلا ، فإذا كان الإسراء هو السير ليلاً فلماذا قال الله بعد ذلك « ليلاً » . قال ذلك ليفيد أن الإسراء لم يستغرق الليل كله وإنما استغرق جزءاً يسيراً منه بقدرة من لايغفل ولا ينام .

« أسرى بعبده » ، وإذا ذكر اسم العبد فى القرآن بدون أن يذكر فقه اسم النبى فالمقصود بالعبد هنا هو رسول الله . أما إذا صرح القرآن الكريم بالعبودية لأى نبى فإنه يصرح باسم ذلك النبى ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدنا** ﴾[2] والمقصود هنا نوح . ﴿ **واذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّه** ﴾[3] المقصود أيوب . ﴿ **وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّه أَوَّابٌ** ﴾[4] المقصود سليمان ﴿ **واذْكُرْ عِبَادَنَا إبراهيمَ واسحٰق ويَعْقوبَ أُولى الأيدِى والأبصار** ﴾[5] . ﴿ **ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيا** ﴾[6] .

أما إذا أراد أن يعنون بالعبودية للرسول محمد فإنه لايذكر اسم محمد ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ لم يقل بعبده محمد ، وبعد ذلك ﴿ **فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَاأَوْحَى** ﴾[7] لم يقل إلى عبده محمد . لأن محمدا أجلى من الشمس فى ضحاها ، وأوضح من النهار إذا جلاها وأرفع من القمر إذا تلاها . ولذلك لايصرح باسمه لأنه معلوم . ولماذا ذكر العبودية فى حادثتى الإسراء والمعراج . فى

---

(١) الاسراء ١ .
(٢) القمر ٩ .
(٣) ص ٤١ .
(٤) ص ٣٠ .
(٥) ص ٤٥ .
(٦) مريم ٢ .
(٧) النجم ١٠ .

الإسراء قال « بعبده » وفى المعراج قال « فأوحى إلى عبده » . إن القرآن هنا يريد أن يؤكد ويوضح معنى التوحيد الحقيقى ويريد أن يفصل بين مقام العبودية ، ومقام الربوبية فمحمد أسرى به بل وعرج به إلى مافوق سدرة المنتهى . ومع ذلك لم يتجاوز العبودية إلى الربوبية فهو مع الإسراء عبدالله ، ومع المعراج عبدالله . ولا إله إلا الله .

ولذلك قال الرسول بلسان اليقين ومنطق الحق المبين « لاتطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، فإنما أنا عبدالله ورسوله . فقولوا عبدالله ورسوله إنه عبد الله ، وكان أحب الأسماء إليه عبد الله ، ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً** ﴾[1] .

فيارب العزة كفانى فخرا أن أكون لك عبدا ، وكفانى عزا أن تكون لى

﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىَ بِعَبْدِهِ لَيْلاً** ﴾ أى فى جزء من الليل « من المسجد الحرام » بمكة « إلى المسجد الأقصى » بالشام . إن فى هذه الآية الكريمة بشارتين لأمة محمد ، أما البشارة الأولى فى قوله ﴿ **من المسجد الحرام** ﴾ ولم يقل من البيت الحرام ولم يكن البيت الحرام وقتها مسجداً فكان فيه ثلاثمائة وستون صنما تعبد من دون الله . ولم يكن بيت المقدس مسجدا . وإنما كان فيه هيكل بنى إسرائيل يعيثون فيه فسادا وكان الرومان يعيثون فيه فسادا ، ولم يكن يذكر فيه اسم الله الواحد الديان . فلما قالت الآية من المسجد الحرام ولم تقل من البيت الحرام ، وقالت إلى المسجد الأقصى ولم تقل إلى بيت المقدس كان ذلك إشارة وبشارة على أن أمة محمد ستفتح المسجد الحرام والمسجد الأقصى وستحولهما إلى مسجدين يذكر فيهما اسم الله .

وفى العام الثامن الهجرى دخل النبى البيت الحرام وحطم الأصنام وقرأ قوله تعالى : ﴿ **جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إن الباطِلَ كان زَهُوقًا** ﴾[2] وأمر بلال بن رباح أن يصعد على الكعبة ويطلق الأذَانَ من صوته الندى وصعد بلال الحبشى الذى كان عبدا مملوكا لأبى جهل ، واشتراه أبو بكر وأعتقه لله ، وكان أمير

---

(١) الجن ١٩ .
(٢) الأسراء ٨١ .

المؤمنين عمر وهو حاكم الأمة إذا رأى بلال بن رباح يقول له : بلال سيدنا وأعتقه سيدنا . وينطلق صوت بلال بالأذان ويعجب المتغطرسون من رجالات قريش ، ويقولون : ألم يجد محمد غير هذا الغراب فيأمره بالأذان . وإذا بالآية ينزل بها الأمين جبريل ﴿ **يأيُّها النَّاسُ إنا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خبير** ﴾[1] .

الناس من جهة التصوير أكفاء أبوهم آدم والأم حواء
فإن تكن لهم فى أصلهم شرف يتفاخرون به فالطين والماء

« إلى المسجد الأقصى » وفى العام الخامس عشر من هجرة الرسول دخل عمر بن الخطاب المسجد الأقصى . والمسجد الأقصى اليوم أسير يشكو إلى الله ظلم العباد .

« من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » وكلمة « من » تفيد الابتداء ، وكلمة « إلى » تفيد الانتهاء . وكان الابتداء مسجداً ، وكان الانتهاء مسجداً . لماذا لأن التربية الصحيحة لا تكون إلا فى المساجد .

معاشر السادة : هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

(١) الحجرات ١٣ .

الخطبـــة الثانيـــة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

أيها السادة الأعزاء :

ودخل الحبيب محمد المسجد الأقصى ، والتف حوله الأنبياء . ومع أنه ضيف عليهم إلا أن الخليل إبراهيم قدمه ليصلىٰ بهم إماما ليعلن للبشرية كلها أن بيت المقدس كان قصراً على بنى إسرائل ، وأن النبوة كانت عليهم حكرا ، فلما أفسدوا انتقلت النبوة إلى سيد الخلق محمد ﷺ ، فكانت صلاته بالأنبياء بمثابة إعلان وراثة للنبوة ، كما كانت دليلاً هادياً للبشر جميعا بأن عليهم أن يتبعوا محمدا ، وكيف لا ؟ وقد صلى أنبياؤهم خلفه هو إمام وهم مأمومون ، وجاء محمد ليعلن للبشرية أنه لا معبود إلا الله وحده . فلا شرك ولا إلحاد ، ولذلك قال له مولانا **﴿ واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾**(١) .

أسأل هؤلاء الأنبياء والرسل هل حدث أن نبيا دعا إلى عبادة غير الله . ولكن النبى قال يارب استحى أن أسألهم هذا السؤال .. وصلى بهم إماما .

أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه	**والرسل فى المسجد الأقصى على قدم**
مشيئة الخالق البارى وصنعته	**وقدرة الله فوق الشك والتهم**
لما خطرت به التفوا بسيدهم	**كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم**
صلى وراءك منهم كل ذى خطر	**ومن يفز ؟ بحبيب الله يغتنم**

وبعد ماأدى الصلاة ، أَذِنَ له الأمين جبريل بالعروج إلى السماء وكان فى شرف استقباله عدد من الأنبياء .. وطرق باب السماء الأولى وسلم على آدم فوجد عن يمينه أناساً ينظر إليهم آدم ويضحك وعن يساره أناساً ينظر إليهم آدم

(١) الزخرف ٤٥ .

ويبكى ، ويسأل الحبيب أباه آدم من هؤلاء وهؤلاء ؟ فيقول له ياحبيب الله أما الذين عن يمينى فهم أهل الجنة وأما الذين عن يسارى فهم أهل النار ويصعد إلى السماء الثانية فيجد فيها ابنى الخالة يحيى وعيسى ويصعد إلى السماء الثالثة فيجد فيها الكريم بن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم . قال الحبيب المصطفى لما رأيت يوسف ليلة المعراج رأيته قد أعطى نصف الحسن كله ولئن كان يوسف قد أعطى نصف الحسن فإن الحبيب أعطى الجمال كله إلا أن الله قد كسا جماله بالجلال والوقار .

يقول جابر بن سمرة جلست مع رسول الله ﷺ ليلة كان القمر فيها بدراً فجعلت أنظر إلى البدر وإلى رسول الله فوجدت وجه رسول الله أجمل من البدر .

وفى السماء الرابعة التقى بإدريس ، وفى السماء الخامسة التقى بهارون ، وفى السماء السادسة التقى بموسى وفى السماء السابعة التقى بالخليل إبراهيم مُسْنداً ظهره إلى البيت المعمور .

وبعد ذلك سَلَكَ النبىُّ مدارج الأسرار ليقف على حقائق الأنوار ، إلى أن وصل إلى سِدْرَةِ المُنتهى وَهِىَ شَجَرَةٌ فوق السماء السابعة . التَفَتَ الرسول حواليه ، فلم يجد رفيق الرحلة جبريل . فنادى بأعلى صوته يا جبريلُ أفى هذا المكان يتركُ الخليل خليله ، فيقول جبريل يَعَزُّ علىَّ فِرَاقُكَ يا رسول الله ، ولكنْ ﴿**وَمَا منَّا إلا له مقامٌ معلومٌ**﴾(١) يا محمد إنك إذا تَقَدَّمتَ اخترقت ، أما أنا إذا تقدمت احْترقْتُ ، والذى بَعَثَكَ بالحق لَوْ تقدَّمت خطوة واحدة لاحْترقْتُ بنور الجَلالِ ، ويعبر النبىُّ مِنْطقة السِّدْرة إلى أن يصل إلى العَرْشِ العظيم .

طفت السماوات أو مافوقهن بهم   على منـوّرة دُرِّيَّة اللُّجُم
حتى بلغت سماءٍ لا يُطارُ لها   على جناحٍ ولا يُسْعى عَلَى قَدَمِ
وقيل كلُّ نبىٍّ عند رُتبته   وَيَامُحَمَّد هذا العرشُ فاستلِمِ

ونادى محمد : التحيَّات لله ، والصلوات والطيبات . وحياه ربُّه : السَّلام عليك أيُّها النبىُّ ورحمة الله وبركاته ، فكيْفَ رَدَّ الرسُولُ التَّحيَّة ؟ هَلْ قالَ السلامُ عليكَ يا رَب ؟ إنَّ الله هو السلام . هل قال السلامُ علىَّ أنا ؟ إن الرسول

---

(١) الصافات ١٦٤ .

لا يَعْرِفُ الأنانية ولا حُبَّ الذَّات . إذاً فَكَيْفَ رَدَّ السَّلامَ ؟ قال السلامُ عَلَيْنَا وعَلَى عباد الله الصالحين . السلامُ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الأنبياء . وعلى عبادِ الله الصالحين إلى يوم القيامة . هكذا كان يُحِبُّ الخير للناس أجمعين ولذلك كان يَقولُ : اصنع المعروفَ فى أهله وفى غير أهله ، فإن صادَفَ أهْلَهُ فَهُوَ أهله ، وإن لم يُصادف أهله فأنت أهله » . إن أعرابياً جاء يُصَلِّى وراء رسولِ الله وَدَعَا دَعوةً ظَنَّها سَتُرْضى رسول الله ، فقال الأعرابى اللهم ارحمنى ومحمداً ، ولا تَرْحمْ أحداً سِوانا ، فَغَضِبَ الرسُول منه وقال : يا أعرابىُّ لقد ضَيَّقْتَ واسعاً .

يا معاشر السادة :

وردَّ الحبيبُ السلام قائلاً السلامُ علينا وعلى عباد الله الصَّالحين . أشهد أن لا إله إلا الله . فرد عليه ربه قائلا ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . ﴿ **لكِنِ الله يَشْهَدُ بما أنزلَ إليكَ أنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ والملائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى باللهِ شَهِيدًا** ﴾(١) .

وفرض الله على حبيبه خمسَ صلوات بعدما خُفِّفت وقال هى خَمْسٌ فى الفعل وخمسون فى الأجر ، ﴿ **ما يُبَدَّلُ الْقَولُ لَدَىَّ وما أنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾(٢) .

وعاد الرسول إلى بيته فوجد الفِرَاشَ الذى كان نائماً عليه دافئاً كما تَرَكَهُ . إن الله تعالى إذا أراد شيئاً فإنما يقولُ له كن فيكون .

وأشرقت الشمس بنور ربِّها ، وإذا بعمرو بن هشام المُكَنَّى أبا جهل يمرُّ على الرسول غداةَ الإسراء والمعراج ، ويسأله مستهزئاً : ألم ينزل عليك الليلة شىء يا محمد ؟! استفهام تهكم وتوبيخ . فقال له مُبَلِّغُ الرسالة محمدٌ ، لقد أُسْرِىَ بى الليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . ولم يُخْبِرْهُ الرسول بالمعراج إلى السماء ، لأنَّه إذا كذَّب الإسراء فمِنْ باب أولى سَيُكَذِّبُ المِعْراج . قال عَمْرُ بنُ هشامٍ : وعُدْتَ فى نفس الليلة ؟! إن الجمال تقطعها شهراً جِيئةً وشهراً ذهاباً . قال له الرسولُ : نعم وإذا بِعَمْرُ يَذْهَبُ إلى أقرب النَّاس إلى رَسُولِ الله . إلى أبى بكر الصِّدِّيق ويُنَادِى عليه بأعلى صوته : يا أبا بكر أو مَا سَمِعْتَ ما يقول صَاحِبُكَ ؟ وأراد عَمْرُو بنُ هشام أن يُشَكِّكَ أبا بكر فى صِدْق النبىِّ . ولكِنَّ أبا بكر قال له : ماذا يقولُ صاحبى يا عَمْرُو ؟ قال : يزعم أنه أُسرىَ به من

---

(١) النساء ١٦٦ .

(٢) ق ٦٩ .

المسجد الحرام إلى بلاد الشام . قال أبو بكر أو قَدْ قال ذلك ؟ قال عَمْرُو نعم . قال أبو بكر : والله لَئِن أخبرنى بأنَّه عُرِجَ به إلى السماء لصَدَّقْتُه !! الله . لك الله يا صديق . يا من سُئِلْتَ ذَاتَ يومٍ فقيلَ لك بم عَرَفْتَ ربَّكَ يا أبا بكر ؟ قال أبو بكر : عرفت ربى بربّى ، ولولا ربِّى ما عرفتُ ربِّى . قيل له فكيف عَرَفْتَه يا أبا بكر ؟ قال أبو بكر : العَجْزُ عن الإدراك إدراكٌ ، والبَحْثُ فى ذات الله إشراك » . هذه هى الصَّدَاقَةُ وقتَ الشِّدَّةِ .

ولذلك يقول الحبيب محمد : « ما طلعت الشمسُ ولا غربت على رجل بعد النبيِّين أفضل من أبى بكر ، ولو كنتُ متخذاً خليلاً غير ربِّى لاتَّخذت أبا بكر خليلا » .

هذا هو أبو بكر الصديق الذى نَزَلَ الأمينُ جبريل على رَسُولِ الله ذاتِ يومٍ وقال له يا رسول الله « السلام يقرؤك السلام ويقول لك بَلِّغْ صاحبك أبا بكر السلام ، وقل له يا أبا بكر رَبُّكَ يُسَلِّم عليك ويقولُ لك هو راضٍ عنك . أأنت راضٍ عن الله يا أبا بكر ؟ . رجالٌ عَرفوا فأحبُّوا . وأحبُّوا فعرفوا . رجالٌ كان الواحدُ منهم يعْدِلُ أُمَّةً . أبو بكر يقولُ فيه المصطفى : « لو وُزن إيمان أُمَّةٍ بإيمان أبى بكرٍ لَرَجَحَ إيمانُ أبى بكر » . أبو بكر الَّذى طَوَّق بذراعيه امبراطوريتَى الروم والفرس ، وأرسل إنذاراً شَدِيدَ اللَّهْجَةِ إلى كِسْرَى وقال له يا كِسْرَى كيف تتكبَّر على الله ؟ أتدْرى من أنت يا كسرى ؟ أنت الَّذى نزلت من مَجْرى البَوْلِ مَرَّتين : مَرَّةً من صُلْبِ أبيكَ ماءً مَهِينا ، ومرَّةً من رَحِمِ أُمِّكَ طِفلاً جنيناً ..

ربُّك راضٍ عنك يا أبابكر أأنت راض عن الله » فيقول أبو بكر « وكيف لا أرضى عن الله وأنا أتَمَنَّى رِضَاه . والله إنِّى لا آمن مكر الله « أى انتقام الله » ولو كانت إحدى قَدَمَىَّ فى الجنَّة . لم يَتَسَرَّب الغرور إلى أسوار نفسه المنيعة ..

وجمع أبو جهلٍ أهل مكة ، وقَالُوا للحبيب المصطفى . إن كُنْتَ ذَهبت إلى المسجد الأقصى فَصِفْهُ لنا . ولَمْ يَكُنْ الرسولُ قد ذَهَبَ ليصف المسجد ، وإنما ذهب فى غمرة الاحتفال بالأنبياء ، وكان الوقتُ ليلاً ، ولم يكن المسجدُ مضاءً بالكهرباء ... ولكن رَبَّكَ جعل المسجد(١) أمامه ليصفه فوصفه لهم وكأنَّه واقِفٌ

---

(١) المقصد بيت المقدس وهيكل اليهود لأن المسجد بنى بعد ذلك .

فيه بعدها كُشِفَ الحجابُ عن المصطفى ، فلمَّا سمعوا الوصف من رسول الله كابروا وعاندوا ، وقالوا إن الوصفَ صادِقٌ لكنَّ الواصِفَ كَذَّاب . ﴿ **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** ﴾(١) . فقال لهم الحبيبُ المصطفى : إن إبلاً لبنى مخزومٍ رأيتُها وأنا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ ، وستَكُونُ عندكم عندَ طلوعِ الشمسِ فى يوم كذا فَوَقفوا ينتظرون قُدُومَ الإبل . قال أحدهم : ها هىَ الشَّمسُ قَدْ طَلَعَتْ فقال الثانى وهَا هِىَ الإِبِلُ قَدْ أقبلت ، كما أَخْبَرَ الصادقُ الأمين محمدُ . فآمن بعضهم بالله وحَسُنَ إيمانه .

معشر السادة : الآن أستطيع أن أقول لرسولِ الله يا سيدى يا رسول الله :

أَنْتَ الَّذِى من نُورِكَ البَـدْرُ اكتسَى	**والشمس مُشْرِقَةٌ بنور بهاك**
أنْتَ الذى لَمَّا رُفِعْتَ إلى السَّما	**بِكَ قَدْ سَمَا وَتَزَيَّنَتْ لِسُرَاك**
أَنْتَ الَّذِى نادَاكَ رَبُّكَ مَرْحَباً	**وَدَعَـاكَ لِقُرْبِـهِ وَحَبَـاكَ**
وخَفَضْتَ دِينَ الشِّرك ياعَلَمَ الهُدَى	**وَرَفَعْتَ دِينَكَ فَاسْتَقَامَ هُنَاكَ**
مَاذَا يَقُولُ المادِحُونَ ومَا عَسَى	**أن تَجْمَعَ الكُتَّابُ مِنْ مَعْنَاكَ**
صَلَّى عَلَيْكَ الله يَا عَلَمَ الْهُدَى	**ما اشْتَاقَ مُشْتَاقٌ إلى مَثْوَاكَ**

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يُعيد المسجد الأقصى إلى أيدى المسلمين . اللهم انْصُرِ الإسلام وأعزَّ المُسْلِمين . اللهم أعْلِ بِفَضْلِكَ كَلِمَتَىْ الحقِّ والدِّين . اسْتُرْ عوراتنا . آمن روْعاتنا فَرِّجْ كُرُوبَنا . فُكَّ أسْرَنَا . ارْحَمْ ضَعْفَنَا . اخْتِم بالبَاقِيَاتِ الصالحات أعْمَالَنَا .

أَكْثِرُوا من الصلاة والسلام على سَيِّدى وحَبيبى ونورِ قَلْبى محمد طِبِّ القلوب ودَوَائِهَا ، وعَافِيَةِ الأبْدَانِ وشِفَائِهَا ،ونُورِ الأبْصَارِ وَضِيَائِهَا .

أيُّها السادة الأعزاء :

إنَّ الله يأْمُرُ بالعدلِ والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تذكَّرُونَ .

---

(١) النمل ١٤ .

المؤمنون صفاتهم وجزاؤهم

الحمد لله رب العالمين . يا رب . ارحم ضعفنا ، وتولَّ أمرنا ، وأحسن خلاصنا ، وفُكَّ أسرنا ، واجْبُر كَسْرَنا ، وانْصُرْ مَظْلُومَنا ، وَبَلِّغْنَا مِمَّا يُرْضِيكَ آمالنا ، اخْتِمْ بالباقياتِ الصالحات أَعْمَالَنَا . اللّهمَّ بارِك لَنَا فى أَرْزَاقِنَا ، وباعد بيننا وبينَ الحرامِ كما بَاعدتَ بين المشرقِ والمغربِ . اللّهُمَّ أحينا على سنَّةِ نبيِّنا ، وأَمِتْنَا على مِلَّةِ حبيبنا . لا تَحْرِمْنَا أَجْرَه ، ولا تَفْتِنَّا بَعْدَه . أوردْنَا حَوْضَه . اشْمَلْنَا بشَفَاعَتِهِ . اسْقِنَا بيدِهِ الشَّرِيفَةِ شَرْبَةً هَنِيئَةً لا نَظْمَأُ بَعْدَهَا أَبَدًا . آمين . آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله أرسل رسوله رحمةً للعالمين . ذهب النَّبىُّ ﷺ ليعود رجلاً مريضاً من الأنصار فلمَّا دَخَلَ النبىُّ عليه وَجد ملك الموتِ واقِفاً عند رأسه ، فقال الحبيب محمد ﷺ : يا ملكَ الموت كن به رفيقاً ، فإنَّه من أُمَّتى ، فقال له ملكُ الموت يا رسولَ الله : طِبْ نفساً وَقَرَّ عيناً ، فإننى رفيقٌ بكلِّ المؤمنين ، والى بعثك بالحق يا رسول الله ما من يوم يطلع فجره إلا وأنظر فى وجه كلِ واحدٍ من أهل الأرض خمس مرات فى اليوم والَّذى بعثك بالحق إنِّى لأعرف كُلَّ واحدٍ من أهل الأرض أكثر من معرفة أحدهم بولده .

لماذا ينظر ملك الموت إلى كلِّ واحد منَّا خمس مرات ؟! لأنه كلَّما نادى المؤذِّن للصَّلاة نَظَر ملكُ الموتِ فى وجه كل واحدٍ هَلْ ذَهَبْتَ لتُصَلِّى ؟!

ياغافلاً والموتُ يَطْلُبُه ، يا نَائِمَاً والموتُ مِلءُ جُفُونه . كُلَّ يومٍ خمس مرات يعرفنا ملك الموت أكثر من معرفة أحدنا لولده . يارب :

هَذِى ذُنُوبِى فِى الورى كَثُرَتْ وَلَيْسَ لِى عَمَلٌ فى الحَشْرِ يُنْجِينى
وَقَدْ أَتَيْتُكَ بالتَّوْحِيدِ يَصْحَبُهُ حُبُّ النَّبِىِّ ، وهذا القَدْرُ يَكْفِينى
يَامَنْ لَطَفَت بِحالِى قَبْلَ تَكْوِينى لَا تَجْعَلِ النَّارَ يومَ الحشرِ تكوينى

وأشهدُ أنَّ سيِّدنا ، ونبيَّنا ، وعظيمنا وحبيبنا مُحمَّداً رسولُ الله يُنادِى على الأُمَّةِ ويقولُ اضْمَنُوا لى ستاً مِنْ أنفسكم أضمن لكُمْ بِهِنَّ الجنَّة . مَا هِىَ

يا حبيب الله ؟ اسْمَعْ مَعِى إلى ما قَالَه الحبيبُ : « الصلاةُ ، الزكاةُ ، الأمانَةُ ، البطنُ ، الفرْجُ ، اللِّسَانُ » .

سيِّدى يا أبا القاسم يا جَلاءَ بصرى يا ذَهَاب غَمِّى وهمِّى وحزنى يا حبيب الله . أشهَدُ أنَّكَ بلَّغتَ الرِّسالَةَ ، وأدَّيْتَ الأمانةَ ، ونصَحْتَ الأُمَّةَ ، ومَحَوْتَ الظُّلْمَة ، وكَشَفْتَ الغُمَّة وجَاهَدْتَ فى الله حقَّ جِهَادِهِ حتى أتَاكَ اليقين . صلَّى عليك الله يا علم الهدى ما هَبَّت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد ، فيا حماةَ الإسْلام وحراس العقيدة .

حدَّثنا عمر بن الخطاب عليه رضوان الله ، فقال كُنَّا جُلوساً مع رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فَسَمِعْنَا الوحْىَ فى وَجْهِهِ كأنَّه دَوِىُّ النَّحلِ ، فَلَمَّا انفصَلَ عنه الوحى نَظَرَ الرَّسُولُ إلينَا وَدَعَا الله قائلاً : اللّهم زِدْنَا ولا تَنْقُصنا ، وأكرِمْنَا ولا تُهِنَّا وكن لنا ولا تَكُنْ عَلَيْنَا ، قُلْنَا خَيْرَاً يا رسول الله قالَ لقد أُنزلَ علىَّ الآن إحدى عشرة آية من عَمِلَ بها كان حقاً على الله أن يُدْخله الفِرْدَوْس الأعَلى : وأخذَ الحبيبُ يَقْرأُ من أولِ سورة « المؤمنون » .

و « المؤمنون » لها فى قلوب المسلمين مكانة لا تُدانيها مكانةٌ . إنَّ الله تعالى لما أنشأ جنَّاتِ عدن ، وشقَّ فيها أنهارها ، وغرس فيها أشجارها قال لها تَكَلَّمى بإذنى . قالت ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِين ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هم العَادُونَ * والَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، والَّذِينَ هُمْ على صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ « قد » هنا حرف تحقيق . أى إنَّ فلاح المؤمنين أصبح حقيقة واقعة لا مراء فيها ، كما فى قوله تعالى ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ**

(١) المؤمنون ١ ، ١١ .

وكِتابٌ مبين ﴾ فَقَدْ إذا دخلت على الفعل الماضى تُفيد التحقيق ، وتفيد التقريب كما فى قول المؤذِّن قد قامت الصلاة أى قد قَرُبَ قيامها . قد أفلح المؤمنون ، والفلاح عند الله سعادة أبدية لا تدانيها سعادة . فما هو الإيمان ؟ الإيمان يتركب من ثلاث حقائق : تصديقٌ بالجنان ونُطقٌ باللِّسان ، وعملٌ بالأرْكَان . ولذلك فإن الله تعالى قال ﴿ أولَئِك كَتَبَ فِي قُلُوبِهِم الإيمانَ ﴾[١] وما كتبه الله لا يمحوه أحدٌ مهما كانت قوتُه ، ومهما كان سلطانه ومهما كان جاهه . كان بلال بنُ رباح يُعَذَّبُ العذاب الأليم يُطرحُ على رمضاء مكّة ، ويوضع الحجرُ الثَّقيلُ على قلبه ، ويُجْلَدُ بالسِّياط على ظهره ، ويقولُ له أُميَّةُ بنُ خلف طاغية المشركين : يا بلال اكفر بإله محمد ! فماذا كان بلال يقولُ : كان يقول : أحدٌ أحدٌ . فَرْدٌ صَمَدٌ . لَا وَالِدٌ وَلَا وَلَدٌ . ربُّ السماءِ والفضاء والجبالِ والشَّجَر رَبِّى عَزِيزٌ قادِرٌ لَهُ جبينى قد سَجَدْ . فيقول له سيِّده يا بلال أتعصينى وأنا سيِّدُك ، فيردُّ عليك بلالُ قائلاً يا أميَّة إن أكُنْ عصيتك فقد أطَعْتُ اللهَ . عذِّبْ ما شئت ، واضْرب ما شئت ، فَلَنْ تنال إلا هذا الجسد الَّذِى سَيَأْكُلُه الدُّودُ وأمَّا روحى وقلبى وعقلى ، فلن يصل إليها إلا الله .

إيمان إذا ما تمكن من النفس وخلُص إلى شغاف القلب يكاد يَجْعَلُ المستحيل مُمْكناً . فماذا كانت منزلة بلال عند ربِّه . عندما عادَ الحبيب محمَّدٌ من رحلتى الإسراء والمعراج قال لبلال : لقدْ سمعت دُفَّ نعليْك فى رياض الجنة فى السماء ، فبم سبقتنى إليها يا بلال ؟ فقال بلال يا رسول الله إنَّنى ما أحدثت إلَّا توضأتُ ، وما توضأتُ إلَّا صليت لله ركعتين .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ .

والخشوع فى الصلاة عبارة عن حضور القلب ، وسكون الجوارح ، ولذلك اسمعوا معى ماذا قال الحبيب محمد « إذا قام العبد يصلى نصب الله وجهه إليه ، فإذا التفت العبد فى صلاته قال له الله : أهناك من هو خير منى حتى تنظر إليه وتنصرف عنى ؟!

تقول السيدة عائشة رضوان الله عليها ، وهى تحدثنا عن صلاة الحبيب

---

(٢) المجادلة ٢٢ .

المصطفى « كان يكلمنا ، ويحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه » .

وكان الإمام عَلِيٌّ رضى الله عنه ، وهو البطل المقدام الذى عرف الحرب وعرفته الحرب بطلا شجاعا كان إذا أراد أن يدخل الصلاة انتقع لونه ، واصفر وجهه فيسألونه يا إمام : مالنا نراك منتقع اللون مصفر الوجه ، فيقول لأننى قادم على أداء أمانة عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملناها نحن .

وها هو ذا حاتم الأصم العارف بالله يسأل ويقال له يا حاتم كيف أنت إذا دخلت الصلاة ؟ فيقول حاتم : إذا دخلت الصلاة جعلت كأن الكعبة أمامى والموت ورائى ، والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، والصراط تحت قدمى والله مطلع على ، ثم أتم ركوعها وسجودها فإذا سلمت لا أدرى أقبلها الله أم ردها على ؟ ﴿ **والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ** ﴾ طهارة اللسان . اسمع معى إلى ما قاله مولانا فى الحديث القدسى الجليل : « ضمنت لابن آدم الجنة إذا ضمن لى ما بين فكيه ، وما بين فخذيه » . إذا حفظت لله لسانك ، وإذا حفظت لله عرضك ؛ فاعلم أن الجنة مضمونة لك عند رافع السماء بلا عمد . طهارة اللسان :

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك إن أبدت إليك مساوئا ... فصنها ، وقل يا عين للناس أعين
وعاشر بمعروف ، وسامح من اعتدى ... وفارق ، ولكن بالتى هى أحسن

أتدرى ماذا يقول أعضاء الجسم لِّلسان كلَّ يومٍ ؟ يقول مبعوثُ العناية الإلهية وشمسُ الهداية الرَّبَّانية سيدنا محمد ﷺ : إنَّ ابْنَ آدم إذا أصْبح فإن الأعضاء كلَّها تذكر اللِّسان ، وتقولُ : « يا لسانُ اتَّقِ اللهَ فينَا » فإنَّما نَحْنُ بِكَ فإن استقَمْتَ استقمنا وإن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنا . واسْمَع مَعِى إلى ما قَاله سَيِّدُ المُرْسَلِينَ عِنْدَما سأَلَهُ عُقْبَة بْنُ عامرٍ ، وقَالَ لَهُ ما طريقُ النجاة يا رسولَ الله ؟ قال لَهُ الحبيبَ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلِيَسَعْكَ بَيْتُكَ ، وابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ » . هذا هو

طريق النجاة . والله الّذى رفع السماء بلا عَمد لو أنّ الأمة الإسلامية عملت بهذا الحديث وحده لكفى أن يكون طريقاً إلى سعادة الدّارين .

﴿ والَّذِينَ هُمْ للزكاة فاعلون ﴾ .

طهارة المال ما خالَطَت الصَّدَقَةُ مالاً إلا أهلكته . والحبيب المُصْطَفَى يروى عن رب العزة « أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك » . ولو أنَّ الأمة طبقت زكاة مالها ما رأيْتَ فى الطريق سائلاً ولا فى البيوت عاطلاً ، ولا فى السجون قاتلاً ، لو أنَّ دُوَل البترول أخرجت زكاة بترولها ما جاع فى المسلمين جائع ، ولا مدَّ يده أحدهم أيّاً كان .

أتدرون ما زكاة البترول ؟ زكاة البترول خُمْسُ ما يخرج من البترول . هناك دولٌ بترولية تخرج فى اليوم الواحد عشرة ملايين برميل من البترول . زكاة اليوم الواحد مليونان من البراميل البترولية . لو أن مليونى برميل من دولة واحدة وُزِّعت على فقراء المسلمين . والله ما جاع فى المسلمين جائع ، فما بالكم بباقى الدول الإسلامية البترولية لو أدَّت الزكاة هذا بخلاف المعادن وعروض التجارة والماشية والزروع . فلماذا لا نطبِّقُ الزكاة ولا نؤديها ؟ لو أنَّ الزَّكاة طُبِّقَتْ ما رأيت بيتاً جائعاً ولا عرياناً ، ولا محروماً ، ولا مغبوناً ، ولا مهضوماً ، ولا أكثرت الجفون من المدامع . ولا طَمأنت الجنوب فى المضاجع ، ولَمَحَتَ الرَّحمةُ الشقاءَ من المجتمع ، كما يمحو نور الصبح مداد الظلام فيا أيها السعداء أحنُوا إلى البائسين والفقراء ، وامسحوا دموع الأشقياء . وارحموا مَنْ فى الأرض يَرْحمكم من فى السماء . ماذا يقول مولانا للأغنياء ؟ وماذا يقولُ للفقراء . استمع إلى هذاالحديث القُدْسى الجليل « الأغنياء وكلائى والفقراء عيالى ، فإذا بخل وُكلائى على عيالى أخذتُهم ولا أُبالى » . ولقد كان ذلك كذلك ، فاسألوا التاريخ .

هنا مدرسة محمد يقول فيها الحبيبُ المصطفى « البر لا يبْلى والذّنب لا ينسى والدَّيَّانُ لا يموت اعْمل ما شئتَ كما تدين تدان » ويقول أيضاً كُلُّ ابن آدم خطاءٌ وخير الخطائين التّوابون » .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبيّنا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله خاتمُ الأنبياء والمرسلين .

أيها السادة الأعزاء :

فى عصر عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه جُمعت الزكاة ، وأراد عمر ابن عبد العزيز أن يوَزّعها ، فلم يجد فقيراً واحداً فى أنحاء الأُمّة ، وكان عُمَرُ يحكُم أمّةً تمتدُّ حدُودُهَا من الصين شرقاً إلى باريس غرباً ، ومن حدودِ سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندى جنوباً ، ومع ذلك جمع الزكاة فلم يجد مسكيناً واحداً يأخذُ الزكاة فماذا فعل عمر ؟ عَقِمَتْ أرحام الدولة العُمَرِيّة أن تَلِدَ مِسْكِيناً ، أو فقيراً . لماذا ؟ لأنه أصلح للنّاس ما أفسدته جاهليتهم ، فلمّا عَمَّ العدل ورَضى الله عن العادِلين وَسَّعَ لهُم أرزاقهم .

اسْمعوا إلى عمر بن عبد العزيز وهو يحاسب ولاته حساباً دقيقاً سأل يحيى ابن سعد ، وكان يحيى أميراً لمصر ـــ سألهُ عمرُ كيف تركت النّاسَ فى مصر ؟ قالَ لهُ : يا أميرالمؤمنين تركت الناس فى مصر بخير والحمد لله : غنيهم موفور ، وفقيرهم مجبور ،وظالمهم مقهور ، ومظلومهم منصور .. إذاً إقامة العدل توفرت . كما كانت هناك ثقة فى الله وتوكّل عليه ، فقد كان المصريون متعودين أن يأتوا بفتاة كلّ عام ويزيّنوها ويرمُوها فى نهر النيل ، ويقولون هذه عروس النهر ، واعتقدوا أنهم لو لم يفعلوا ذلك ما جاد النيل وما فاض خيره ، فلمّا دخل المسلمون مصر أرسل عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب يخبره بعَرُوسِ النيل . فماذا فعل عُمَرُ بن الخطاب ؟ أحضر صحيفة ، وكتب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عُمَر بن الخطاب إلى نيل مصرَ أمّا بعدُ فيأيُّها النيل إنْ كُنتَ تجرى بأمرك فلا حاجة لنا إليْكَ ، وإن كنت تجرى بأمر الله فاجر بأمر الله » . وقال

لعمرو بن العاص : ارمِ هذه الصحيفة فى النيل ، ولا ترمِ فتاة بعد اليوم ، فإن هذه جاهلية . فلما رَمَى عمرو بن العاص بالصحيفة فى نيل مصر زاد منسوب الماءِ ضِعفَ ما كان يأتى قَبْلَ ذلك . عقيدة فى الله توكّلٌ على الله . يقين بالله . صبرٌ مع الله . شكر لله . خوف من الله . رجاءٌ فى الله . محبةٌ لله . رضاً بما قضى الله . صدق مع الله . زهدٌ فيما حرَّم الله .

هذا هو علاجنا .

نعود مرة أخرى لعمر بن عبد العزيز لنرى ماذا فعل بفائض مالِ الزكاة . أصدرَ عُمَر أمراً بأداء الدُيون من بيت مال المسلمين « اقضوا عن الغارمين » المال عمَّ وطمَّ ، المالُ فاضَ وزاد ، المال أصبح يتمرَّغ فى خزينة الدولة لا يجد من يمدُّ إليه يدا . « إن الله تعالى إذا أراد بأهلِ الأرض خيراً نادى على الأرضِ وقال لها يا أرضُ أخرجى بركتك .

لقد رَوى الإمام أحمدُ فى مسنده أنَّ حَبَّ القمح كان فى عصر عبد الله بن زياد « وكان حاكماً عادلاً . قالَ كانت حبَّة القمح مثلَ نواةِ البلح ، قالوا وخرجت حبات القمح مكتوباً عليها هذا قمحنا فى عصر العدل .

ماذا فعل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بعد أداء الديون ؟ فاض المال فاصدر أمرا بأن من كان عنده عبد ويريد عتقه فليأخذ ثمنه من بيت المال فأعتق العبيد وفضل مال كثير فأصدر أمرا ثالثا : إيما شاب أراد أن يتزوج فزواجه على حساب بيت مال المسلمين فزوج الشباب كلهم وبقى المال .

أدى الديون . وأعتق العبيد ، وزوج الشباب ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول « شراركم عزابكم ، وأراذل موتاكم عزابكم » ولذلك زكى الله أعراض المؤمنين فقال « والذين هم لفروجهم حافظون » . ولعلك تلمح فى هذا التعبير دقة بالغة ، إذا عبر عن الفروج بالحفظ كما عبر عن الصلاة بالحفظ « والذين هم على صلواتهم يحافظون » كأن حفظ الأعراض لا يقل عند الله عن حفظ الصلاة فهذه عبادة وتلك عبادة .

﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُروجِهم حَافِظونَ إلا علَى أَزْواجِهِم** ﴾ ومن هنا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ينادى بأعلى صوته « يا معشر الشباب من استطاع

منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »

لا يجوز لمسلم ولا مسلمة أن يُفَرِّط أى منهما فى عرضه لئن العرض ملك لله والفتاة إنما هى مؤتمنة عليه ، وليست مالكه له ، ولذا فإنها إن فرطت فيه ، واقترفت جريمة الزنا أقيم عليها الحد فجلدت مائة جلدة إن لم تكن قد تزوجت ، فإن كانت متزوجة أو سبق لها الزواج فإنها ترجم .

﴿ **أو مَا مَلَكَتْ أَيْمانُهُم** ﴾ وهن الأسرى من نساء الأعداء ويشترط لملك اليمين شروط : أن تكون الحرب إسلامية لا سياسية ، وأن تكون الحرب لإعلاء كلمة الله ، وأن تكون الدولة المحاربة تحكم بالقرآن ، وأن يأذن الإمام أمير المؤمنين بتقسيم النساء وألا يكون هناك تبادل أسرى . وفى غير هذا لا يصحُّ ملك اليمين . ونحن نحمد الله أن ليس على وجه الأرض الآن مملوكة بيمين واحدة لأن الإسلام ضيق المنابع ووسع المنافذ ؛ فكف العبيد على وجه الأرض ...

﴿ **فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأولَئِك هُمُ العَادون** ﴾ أى المعتدون على حدود الله فالزنا حرام واللواط حرام ، والعادة السرية حرام وعلاجها الصوم ، أو الزواج أو رياضة بدنية أو قراءة القرآن ، وذكر الله والمحافظة على الصلوات : وبعد ذلك يطهر الله المعاملات فيقول ﴿ **والَّذِيَن هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ** ﴾ الأمانات جمع أمانة ، وهى الرعاية لحقوق الله ، فالصلاة أمانة ، والصدق أمانة ، ومال اليتيم أمانة ، وفعل الطيبات أمانة ، والبعد عما حرم الله أمانة .

والعهد هو العقد المؤكد الموثق بطاعة الله .

بدأ الأعمال بالصلاة الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، وختم الأعمال بالصلاة والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أما البدء فالصفة فيه هى الخشوع وهو حضور القلب وسكون الجوارح ، أما المحافظة على الصلاة فى الختام فهى عبارة عن أدائها فى وقتها ، فإذا أذن المؤذن ، وكسلت عن الصلاة حتى خرج وقتها ، فأنت عند الله شر من الزانى وشارب الخمر ، هذا لمجرد التأخير فما بالنا بمن يصلى فرضاً واحدا فى الأسبوع وهو الجمعة ، ومن يصلى فى رمضان فقط ، ومن لا يصلى ولا يدخل المسجد إلا ليُصلى عليه وهو محمول على الأعناق .

إن فى القرآن لعجب . إنه يقول فى الآية الأولى ﴿ **الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ وفى الآية الأخيرة ﴿ **الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِم يُحَافِظُون** ﴾ فأفرد الصلاة فى الأولى ، وجمع الصلاة فى الأخيرة لماذا ؟ ليقول لك إن الصلوات جزء لا يتجزأ فمن ترك فريضة واحدة يكون كمن ترك الفرائض قال النبى صلى الله عليه وسلم ، تارك الصلاة مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف .

أما الذين يحافظون على الصلاة ويؤدونها فى أوقاتها واتصفوا بكل صفات الإيمان السابقة فما جزاؤهم ؟ : **أولئك** هم الوارثون يرثون ماذا ؟ يرثون الفردوس ، والفردوس أعلى درجة فى الجنة هم فيها خالدون . عندما يدخلونها تنادى الحور العين عليهم نحن الخالدات فلا نبيد ، نحن الراضيات فلا نسخط ، نحن المقيمات فلا نظعن ، نحن الناعمات فلا نيأس ، فإذا ما استقر بهم المقام يتجلى الله عليهم ويقول ياأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، ولكم أن تنعموا فلا تيأسوا أبدا . يا أهل الجنة هل رضيتم ؟ فيقولون : يا ربنا وكيف لا نرضى ، وقد أعطيتنا مَا لَمْ تعط أحدا من خلقك ؟ فيقول لهم المولى أنا أعطيكم أكثر من هذا . فيقول أهل الجنة وأى شىء أكثر من هذا ؟ وعندئذ تسقط الحجب بينهم وبين الله فينظرون إلى ذات الله ﴿ **وُجُوه يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾(١)

اللهم إنى أسألك أن تجعلنا من المؤمنين الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون اللهم اجعلنا من الوارثين للفردوس واجعلنا فيها خالدين .

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا اللهم اشف مرضانا ، وارحم موتانا ، وعليك بمن عادانا ، اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدى وحبيبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها ...

﴿ إن اللهَ يأمُر بالعَدْلِ والاحسان وإيتاءِ ذِى القُرْبَى وَيَنْهى عن الفَحْشَاءِ والمُنكرِ والبغْيِ يَعظِكُمْ لَعَلَّكُم تَذَكَّرون ﴾

---

(١) القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

الثقــةُ باللهِ

الحمد الله رب العالمين . يارب . ارحم ضعفنا ، وتول أمرنا ، وأحسن خلاصنا ، وفك أسرنا ، وأحسن ختامنا . بلغنا مما يرضيك آمالنا ، احشرنا فى زمرة نبينا وتحت لواء حبيبنا ، اللهم اشملنا بشفاعته . اللهم اسقنا بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا . اللهم أوردنا حوضه ، ولا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده . أجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك ، اللهم اغننا بالفقر إليك ، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك ، اللهم لا تحوجنا إلا إليك ، اللهم أكفنا بحلالك عن حرامك ، واغننا بفضلك عمن سوالـك . اللهم بصرنا بعيوبنا . اللهم رب لنا أولادنا . اللهم أطرد الشيطان من بيننا . اجعل جمعنا هذا جمعاً مرحوما ، واجعل تفرقنا من بعده تفرقنا معصوما ولا تدع منا ولا بيننا ولا فينا محروما ولا شقيا آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ،﴿ **إِذَا زُلْزِلَتْ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتْ الأَرْضُ أَثْقَالَها وَقَالَ الإِنْسَانُ مَا لها يَومُئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارِها بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا** ﴾ فى هذا اليوم تدنو الشمس من رءُوس العباد ، فيلجم الناس بعرقهم ، فبيننا وبين الشمس فى الدنيا اثنان وتسعون مليونا وثمانمائة وسبعون ألف ميل ، بينما سيكون بيننا وبينها فى الآخره ميل واحـد ، ولا يجد الإنسان مكانا يقف فيه إلا على قدر موضع قدمه . الزحام شديد والكرب عظيم ، وجهنم تنادى على أهلها وتقول أين كل جبار عنيد ؟ وقد بعثرت القبور ، ونصبت الموازين ، فالشمس كورت ، والنجوم انكدرت ، والجبال سيرت والعِشار عطلت والبحار سجرت ، والوحوش حشرت والموءودة سئلت بأى ذنب قتلت ؟ والصحف نشرت والجحيم سعرت والسماء كشطت ، والجنة أزلفت . فماذا يقول الله ؟ ماذا يقول الملك ؟

ينادى ويقول : يا ملائكتى : قربوا أهل لا إله إلا الله ؛ لأظلهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى ، فإنى أحب أهل لا إله إلا الله

يلقى الولد والده يوم القيامة فيقول يا أبتاه لقد كنت بك برا ، وإليك محسنا وعليك مشفقا ألا أجد معك حسنة يعود على خيرها اليوم ، فيقول الوالد لولده يا بنى ليتنى أستطيع ذلك إننى أشكو مما منه تشكو .

وتلقى الأم ولدها فى عرصات القيامة ، وفى ساحة العرض فتقول له يا بنى ألا تعرفنى ؟ فيقول لها : أنت أمى ؟ فتقول له : يا بنى لقد كان بطنى لك وعاء وكان ثدى لك سقاء وكان حجرى لك غطاء ، وأنا اليوم فى حاجة إلى حسنة يعود على خيرها اليوم . ألا أجد معك حسنة يا بنى؟ فيقول لها ولدها يا أماه ليتنى أستطيع ذلك إننى أشكو مما منه تشكين .

﴿ يٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكم واخشوا يوْماً لا يَجْزِى وَالدٌ عن وَلدِه ، ولا مَوْلُودٌ هَو جَازٍ عَن والدِهِ شَيْئاً . إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌ ، فَلا تَغُرَّنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الغُرُور ﴾[1] ...

لما علمت بأن قلبى فارغ ممن سواك ملأتــه بهداك
وملأت كلى منك حتى لم أدع منى مكانا خاليا لسواك

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله . قال له أحد الصحابة ذات يوم يا رسول الله : طوبى لمن رآك وآمن بك « طوبى » درجة فى الجنة أو شجرة يمشى الراكب فى ظلها مائة عام . فماذا قال له الحبيب ؟ قال له : طوبى ثم طوبى ثم طوبى لم آمن بى ولم يرنى .

سيدى يا أبا القاسم يا جلاء بصرى يا ذهاب همى وغمى وحزنى ،

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسى تتوق لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الطهر والكرم

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة .

---

(١) لقمان ٣٣ .

فنتحدث اليوم عن الثقة بالله إذا أردت أن تختار فعليك أن تختار ألا تختار واترك الاختيار للواحد القهار .

﴿ وَللهِ غَيْبُ السَّمٰوات والأرضِ وإليه يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّه فَاعْبُدْهُ وَتَوكَّلْ عَلَيهِ ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْملون ﴾(١)

نتحدث اليوم عن الثقة فى عالم ضعفت فيه الثقة فى الله فهذا يقول مالى ، وذاك يقول سلطانى ، وذلك يقول : قُوَّتِى وَجَاهِى ، وليس فيهم من يقول إن الحكم لله . نفوس اعتلت ، فلما اعتلت اهتزت ، فلما اهتزت اضطربت ، فلما اضطربت ضاعت ثقها فى خالقها . فأصبح الناس يقولون : ماذا أفعل لأعباء الحياة وقد كثرت ، وآخر يقول ماذا أصنع غدا ؟ ماذا أفعل لأولادى وقد كثرت ... وكان يجب على الجميع أن يعقل قول الله تعالى : **﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنِس إلا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أن يُطْعِمُون إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوةِ الْمَتينُ ﴾**(٢).

أخا الإسلام

دَع المقادير تَجْرى فى أعنتها ... ولا تبيتن إلا خالى البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

تعالوا إخوة الإسلام لنعيش مع صور من حياة الحبيب محمد لنتعلم الثقة بالله .

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه لا يخاف إلا الله ، ولا يخشى إلا الله وما سجد إلا لله وما ركع إلا لله ، وما عبد إلا الله ، وما سأل إلا الله ، وما توجه إلا إلى الله ، وما صام ولا صلى ولا زكى ولا حج إلا لله **﴿ قُلْ إِنَّنى هَدَانِى رَبى إلى صِرَاط مُسْتَقِيم دِينًا قيما مِلَّةَ إِبْرَاهِيم حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِن المشْرِكِين ، قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِىوَمَحْيَاىوَمَمَاتِى لله رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَه ، وبِذَلِك أُمِرْتُ ، وأنَا أوَّلُ المُسْلِمِينَ ، قل أَغَيْرَ اللهِ أبغى ربًّا ﴾**(٣) .

---

(١) هود ١٣٣ .
(٢) الذاريات ٥٦ ،٥٧، ٥٨ .
(٣) الأنعام ١٦١ ،١٦٢، ١٦٣ ، ١٦٤ .

أغير الله ؟! همزة استفهام تنخلع لها القلوب وتنفطر لها الأفئدة أغير الله أبغى ربًا ويجيب على ذلك قائلا ، وهو رب كل شيء

﴿ أغير اللهِ أتَّخذُ وليا فاطر السَّمَٰوات والأرض ، وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ ﴾ (١) .

تعالوا إخوة الإسلام لنطوف حول العقيدة الإسلامية فى قلب الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم .

دخل عمرو بن هشام على الحبيب محمد ذات يوم مهددا ومحذرا ومتوعدا ، وَكلنا نعلم من عمرو بن هشام . إنه أبو جهل قال له : يا محمد واللَّاتِ والعُزَّى لئن رأيتك بعد اليوم تصلى فلأطأن رأسك بقدمى هذا . أيام كان معسكر الشرك صاحب صولة وجولة وصولجان . المهدد هو أبو جهل ، وهذا الإنذار الشديد لرسول الله وحبيب الله هذا الإنذار لمبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية ، وهو سفير الله للعالمين.والعالمون جمع عالم ، والعالم يشمل كل شيء سوى الله ، فكل ما فى الوجود عالم إلا الله فلا يصح أن نسميه عالما ؛ لأنه خالق العالم والخالق لا يكون مخلوقا ؛ ولذلك فإذا غالطك مشرك وقال لك إذا كان الله قد خلق الخلق فمن الذى خلق الله ، فقل له الله خالق ، والخالق لا يكون مخلوقا ، فكيف يكون مخلوقا وهو الذى خلق ؟ سبحانه هو الأول فلا شيء قبله ، والآخر فلا شيء بعده الظاهر فلا شيء فوقه الباطن فلا شيء دونه .

قيل للحبيب محمد صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يأتى أحدنا فيقول إذا كان الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فقال الحبيب محمد إذا رأيتم ذلك فقولوا آمنت بالله ، ثم اقرءُوا هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم

كان ولا مكان . وهو على ما كان قبل خلق المكان . لم يتغير عما كان . علم ما كان وعلم ما يكون ، وعلم مالا يكون لو كان كيف كان يكون .

نحن مع رحمة الله **﴿ وَمَا أرسلناك إلا رَحْمةً لِلْعَالَمِين ﴾** العالم هو كل ما سوى الله .السماء عالم ، والنجوم عالم ، والملائكة عالم ، الجن عالم ، والانس

---

(١) الأنعام ١٤ .

عالم ، والطير عالم ، والأرض عالم ، والنبات عالم ، والبحار عالم ، ومحمد أرسل رحمة للعالمين

تعالوا لنرى هل تأثر الرسول بتهديد أبى جهل ؟ هل سرى الرعب والخوف إلى قلبه .. لا .. بل صلى الرسول أمام أبى جهل ذاته ، ولم يتوار عن عيون المشركين ، وركع وسجد وقال فى ركوعه سبحان ربى العظيم ، لأن الركوع لا يليق إلا لواحد هو العظيم سبحانه . وقال فى سجوده سبحان ربى الأعلى ، لأن الوجه لا يوضع على التراب إلا لواحد هو الأعلى وقف أبو جهل أمام الحبيب كأنه ذبابة حقيرة تحاول أن تحجب بجناحيها نور الشمس ، فسأل المشركون أبا جهل : يا عمرو بن هشام لقد أقسمت باللات والعزى لتطأن رأس محمد وهو يصلى ولم تفعل قال أبو جهل : واللات والعزى لقد هممت أن أطأ رأس محمد فرأيت بينى وبينه خندقا من نار وأجنحة وأهوالا جساما .

إذا سألت فاسأ ل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله . فلن ينفعك إلا الله عندما توضع فى قبرك ، وتنام على شقك الأيمن ويوضع الخد الشريف على التراب تنام نومة لا تقلب بعدها إلا يوم القيامة ، وتلبس ثوبا واحدا لا تغيره صيفا ولا شتاء هو الكفن ، عندما تدفن فى التراب ، وليس معك جليس ولا أنيس ولا صديق ولا رفيق ينادى عليك الله ، ويقول الله : عبد ى رجعوا وتركوك ، وفى التراب دفنوك ، ولو ظلوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أنا وأنا الحى الذى لا أموت .

القبر ينادى عليك كل يوم يقول لك أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الظلمة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الدود ، أنا بيت التراب ، يا ابن آدم لا تتكبر على ظهرى لأننى سأضمك غدا فى بطنى .

ولى فى فناء الخلق أكبر عبرة　　لمن كان فى بحر الحقيقة راق
شخوص وأشكال تمر وتنقضى　　فتفنى جميعا ، والمهيمن باق

كلنا سنموت ، وكلنا سنقبر ، كم علا هذا المنبر الذى أقف عليه علماء هم الآن تحت أطباق التراب .

مافى الحيـــاة بقـــاء　　مافى الحيـــاة ثبـــوت
نبنــــى البيـــوت وحتما　　تنهار تلك البيــــوت

ما الذى منعك يا عمرو بن هشام أن تبر بقسمك . يقول أبو جهل لقد : حاولة ذلك مرارا ولكننى رأيت بينى وبين محمد خندقا من نار واجنحة وأهوالا جساما . والله لو أكرمنا كتاب الله ما أهاننا أحد . والله لو أكرمنا كتاب الله لرفرفت راية الحبيب محمد على كل بلد .

إن الحبيب علمنا كيف يكون النصر ، وما طريق النصر إلا ثقة بالله والطاعة لله يقول الحبيب لقادة جيوشه : « انهوا الجيش عن الفساد فما فسد جيش إلا قذف الله الرعب فى قلبه ، انهو الجيش عن الغلول(١) ، انهوا الجيش عن الزنا »

وكان أبو الدرداء صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : مروا الجيوش أن يعملوا صالحا فإنما يحاربون بأعمالهم .

وها هو خالد بن الوليد عندما وقف يحطم الجبهة الفارسية أيام أبى بكر الصديق رأى جيش الفرس يصل إلى مائة وعشرين ألفا من المشركين ، بينما جيش التوحيد الذى يقوده خالد كان ثلاثين ألفا ، فأرسل إلى خليفة رسول الله يطلب المدد . فأرسل إليه الصديق على عجل « القعقاع بن عمر » وأرسل معه مذكرة ، ونظر خالد يرتقب المدد ، فلم يجد إلا القعقاع ومعه رسالة الصديق فقرأ خالد فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله إلى سيف الله المسلول خالد ، يا خالد لقد طلبت منى النجدة ، ولقد أرسلنا إليك النجدة أرسلت إليك القعقاع بن عمر ، ولعلك تقول : ما يفعل القعقاع وحده وأنا أقول لك إن الله لن يهزم جيشا فيه القعقاع بن عمرو » .

رجال رباهم سيد الرجال ، القعقاع أمة وحده ، لن يهزم جيش فيه القعقاع بن عمر .

كان من نظم الحروب أن يتقدم قائد الجيش أولا ليبارز قائد جيش العدو ، وأوصى قائد الفرس بعض جنده إذا أنا شغلت خالدا بالمبارزة ، فليطعنه أحدكم من خلفه ، ووقف خالد ليبارز ، وما أدراك ما خالد ، عجزت النساء أن يلدن مثل

---

(١) الخيانة فى مال الغنائم .

خالد ، قال أبو بكر : والله لأُنسِيَنَّ الروم وساوس الشيطان بخالد : وقف خالد يبارز ، وحاول بعض جند الفرس أن يضربوا حوله حركة التفاف ليطعنوه من الخلف ، وإذا بالقعقاع بن عمرو يضربهم فيسقطهم قتلى . لله دَرُّك يا أبا بكر !! والله لكأنك تنظر من وراء الحجب لكأنك يا صاحب الرسول ، لكأنك تنظر من بعيد لترى أعماقا بعيدة ، لترى ماذا سيفعل القعقاع مع خالد ، ولولا أن الله سخر القعقاع لخالد لطعن خالد . إن جيشا فيه القعقاع لا يهزم أبدا ، إنها الثقة فى الله ، إنه اليقين فى الله إذا سألت فاسأل الله ...

اسمع إلى ما جاء به أمين الوحى جبريل ليرد على أبى جهل ومعسكر الشرك كله حينما أقسم أن يطأ بقدمه رسول الله : قال رب العباد : ﴿ **أَرَأَيْتَ الَّذِى يَنْهى عَبْدا إذا صَلَّى أَرَأَيْتَ إنْ كانَ على الهُدى أو أَمَرَ بالتَّقْوَى ، أَرَأَيْت إن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى . كلا لئن لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بالناصِيَة** ﴾(١)

الناصية مقدم الرأس ، والسفع معناه الأخذ بشدة لنسفعاً ، هكذا بالقسم ، وبالتأكيد بنون التوكيد الخفيفة ، لأن أبا جهل والمشركين كلهم لا يستحقون التأكيد بالنون الثقيلة فكل أعداء الله ضعاف لا حول لهم ولا قوة ... ﴿ **ناصيةٍ كاذِبَةٍ خاطِئة فَلْيَدْعُ نادِيه**﴾(٢) فليدع جنده وأهله ، ﴿ **سَنَدْعُوا الزَّبَانِية** ﴾(٣) فرقة من زبانية جهنم كفيلة بأن تحطم الأرض ومن عليها وما عليها . أما أنت يا رسول الله ﴿ **كَلَّا لا تُطِعْهُ واسْجُد ، واقترب** ﴾(٤) سبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . هذه الكلمات هى كفارة سجود التلاوة .

أيها السادة الأعزاء . كانت هذه ثقته فى الله ، وكان هذا هو يقينه فى الله ، وكان إيمانه زاده إلى الله . سيدى أبا القاسم يا رسول الله

أنت الذى من نورك البدر اكتسى　　　والشمس مشرقة بنور بهاك

---

(١) العلق ٩ ، ١٥ .
(٢) العلق ١٦ ، ١٧ .
(٣) العلق ١٨ .
(٤) العلق ١٩ .

أنت الذى لما رفعت إلى السما بك قد سمت وتزينت لسراك
صلى عليك الله يا علم الهدى ما اشتاق مشتاق إلى مثواك

أيها الإخوة المسلمون

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابن آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطائين التوابون » .

* * *

السَّكِينَةُ مَنَ اللهِ

الحمد لله رب العالمين . يارب . ارحم ضعفنا ، وتول أمرنا ، و حسن خلاصنا ، وفك أسرنا واجبر كسرنا ، وانصر مظلومنا ، اجعل يومنا خيرا من أمسنا ، و غدنا خيرا من يومنا ، اللهم احشرنا فى زمرة نبينا ، وتحت لواء حبيبنا ، اللهم لا تفرق بيننا وبينه يوم القيامة حتى تدخلنا مدخله . اجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم لقائك .آمين . آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ،

يا عالم السر منا لا تكشف الستر عنا
وكن لنا حيث كنا ، وعافنا واعف عنا

إذا وقف العباد فى ساحة العرض على الله ينادى الله على رجل من أمة محمد ويحاسبه ولا يجد له من الحسنات ما يدخله الجنة ، فيأمر به إلى النار ، وبينما الرجل فى طريقه إلى النار إذ يجد عبدا صالحا فى أرض الموقف فينادى عليه ، يا فلان ، يا فلان ، ألا تعرف من أنا ؟ أنا الذى سقيتك شربة ماء فى الدنيا ، فاشفع لى عند ربك ، فيتوجه العبد الصالح إلى الملك ، ويقول يارب : إن عبدك هذا سقانى شربة ماء فى الدنيا فشفعنى فيه ، فيقول له الملك قد شفعتك فيه خذه وادخل به الجنة ونعيمها وحورها ونورها ، ورؤية ربها .

إلهـــى .

حاسبت نفسى لم أجد لى صالحا — إلا رجائى رحمة الرحمن
ووزنت أعمالى على فلم أجد — فى الأمر إلا خفة الميزان
وظلمت نفسى فى أمورى كلها — ويحى إذا من وقفة الديان
يا أيها الإخوان إنى راحل — مهما يطل عمرى فإنى فانِ
يارب إن لم ترض إلا ذا تقى — من للمسىء المذنب الحيران

نوح الحمام على الغصون شجانى	ورأى العزول صبابتى فبكانى
نوح الحمام ينوح من ألم النوى	وأنا أنوح مخافة الديان
يا واحدا فى ملكه ما له ثانى	يا من إذا قلت يا مولاى لبانى
أنسى وتذكرنى فى كل نائبة	فكيف أنساك يا من لست تنسانى

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله ، قال له أبو هريرة رضى الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيام يا رسول الله ؟ فقال الحبيب المصطفى : أسعد الناس يوم القيامة بشفاعتى : من قال لا إله إلا الله .

سيدى أبا القاسم يارسول الله يا جلاء بصرى ، يا ذهاب همى وغمى وحزنى

يا صاحب الحوض الشهى مذاقه	أنت البشير بواسع الجنات
أنت الرسول فلست تنطق عن هوى	وشفيعنا فى الحشر والميقات

صل عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم ، وما ناحت على الأيك الحمائم أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة .

نعيش اليوم مع صور من حياة الحبيب محمد تدور حول « السكينة » تعالوا نبحث عن السكينة . ما هى السكينة ؟ هى طمأنينة ينزلها الله فى قلب عبده المؤمن عند الشدائد . فتهون عليه الدنيا وما فيها ومن فيها .

نتعلم السكينة من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

كان الرسول يجلس أمام الكعبة فى المسجد الحرام ، وجاء رجل إلى المسجد الحرام وكان المشركون متحلقين هناك ، وكان الرجل من قبيلة آراش ، فقال لهم يا قوم إن لى عند أبى جهل دينا ، وقد ماطلنى ، ولم يؤد دينى ، أليس منكم رجل يطالبه بدينى ويرد إلى حقى فيرد المشركون مستهزئين ليس بيننا رجل يأتيك بحقك إلا ذلك الرجل الذى يجلس هناك الأبيض الوجه المشرب بحمرة ، ونظر الرجل فلم يجد إلا رسول الله ، وهو لم يكن يعلم أنه رسول الله ؛ لأنه كان غريبا فذهب إلى الرسول وقال له يا أخا العرب إن على عمرو بن هشام دينا لى ، وقد ماطلنى فهل ترد لى حقى منه ؟ وما كان من عادة المصطفى أبدا أن يقول : لا :

ما قال لا قط إلا فى تشهده	لولا التشهد كانت لاؤه

وذهب معه الحبيب صاحب المروءة ، الرجل النبيل الجليل الذى رأى امرأة عجوزا ذات يوم تتكفأ فى طرقات مكة ، تريد أن تحمل حملا ثقيلا من الأرض ، ولكنها لا تستطيع حمله ، فنادت على سيدنا محمد ، وهى لا تعرف أنه رسول الله وقالت له أيها الشاب احمل على هذا الحمل ، وبدلا من أن يحمل الحمل عليها حمل الحمل عنها ، فلما حمله عنها قالت له : يا أخا العرب إنك لعلى خلق عظيم ، ولكنى أوصيك بوصية فاسمعها منى لقد ظهر فى مكة رجل اسمه محمد يدعى النبوة فلا تصدقه ولا تتبعه ، فقال لها : ألا تعلمين من أنا يا أمة الله ؟ أنا محمد رسول الله ، فقالت أنت أنت فقال : أنا هو ، فقالت العجوز أشهد أن لا إله إلا ، وأنك رسول الله

خلق ، وقدوة ، جلال ، كمال .

وذهب الحبيب مع الرجل الغريب إلى أبى جهل ليقضى له دينه ، وكان أبو جهل حديد اللسان ، حديد البصر حديد القلب ، لو وزعت قسوة قلبه على أهل الأرض جميعا ما بقى للرحمة سبيل إلى قلب واحد منهم ، ولكن الحبيب ما خشى أحدا إلا الله ، وطرق الباب ، وقال أبو جهل من الطارق ؟ وقال الحبيب محمد ، وفتح أبو جهل الباب ، وقال : ماذا تريد يا محمد ؟ قال اقض لهذا الرجل دينه ،فدخل أبو جهل وأتى بالدين ، وسلمه لصاحبه كاملا غير منقوص ، وأطلق الرجل ساقيه للريح يجرى سرورا خشية أن يرجع أبو جهل فى كلامه ، فقالوا له : هل قضاك دينك ؟ قال نعم ، وبارك الله فى محمد ! فذهبوا إلى أبى جهل وقالوا له يا أبا الحكم : أخفت من محمد ؟ وأنت فينا من أنت ؟ فقال لهم أبو جهل : واللات والعزى عندما فتحت له الباب لم أر وجه محمد ولكننى رأيت وجه أسد لو تأخرت أو تقدمت خطوة لطحننى بين أنيابه .. ثقة وسكينة من خاف الله وحده خوف اللهمنه جميع خلقه ، ومن لم يخف الله خوفه الله من جميع خلقه .

فأنزل الله سكينته عليه ، والسكينة إذا نزلت على القلوب زادتها ثقة وطمأنينة ويقينا فى الله ، وتوكلا على الله .

إن مشاكلنا ليس لها سوى حل واحد هو الرجوع إلى الله ، وإذا استمررنا على ما نحن عليه فالمستقبل أمامنا مثل ﴿ **بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوجٌ من فَوقِهِ مَوَجٌ مِن فَوقِهِ سَحَابٌ ظُلمَاتٌ بعضُها فَوقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَم يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَم**

يَجْعَلْ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نورٍ ﴾(١)

وإذا عدنا إلى الله وتعلمنا من رسول الله الثقة والاعتماد على الله تطهرت قلوبنا ، وصلحت أحوالنا ، وأذكر لكم مثالا لعالم تعلم الثقة ، والطمأنينة والسكينة من رسول الله . كان أحمد بن طولون قد ظلم وتكبر ، واستشعر الناس الظلم فذهبوا إلى علمائهم يطلبون منهم أمر الحاكم بالمعروف ونهيه عن منكره ، وذهب العالم أبو الحسن أحمد بن بنان إلى الحاكم ، وطلب مقابلة الحاكم دون خوف ودون نفاق كما فعل أحد الشعراء عندما وقف أمام أحد الحكام يقول :

بشراى إن صلاح الدين قد عادا　　　وأصبحت هذه الأيام أعيادا
لو كان يعبد من بين الأنام فتى　　　كنا لشخصك دون الناس عبادا

كذب ونفاق ودجل ، والدنيا لا تساوى هذا . الدنيا إذا حلت أوحلت ، وإذا كست أوكست ، وإذا جلت أوجلت ، وإذا ينعت نعت ، وكم من ملك رفعت له علامات فلما علا مات ..

ودخل أبو الحسن على ابن طولون ، وقال له اتق الله فى الرعية لقد ظلمتهم وأشار ابن طولون إلى جلاديه ، وقال لهم خذوه فاعتلوه وجوعوا له أسدا ثلاثة أيام ، ثم ضعوه مع الأسد ودعوه ، وأخبرونى بعد ذلك ماذا فعل به الأسد ؟

وأخذ الرجل ووضع فى زنزانة حتى جاع الأسد ثم أدخل العالم على الأسد والأسد يزمجر من شدة الجوع وأغلق الباب عليهما . ومضت ساعات ، وطلب ابن طولون التقرير . ماذا فعل الأسد بأبى الحسن ؟ وفتح الحارس الباب فماذا رأى العالم ساجدا والأسد فى حراسته .

إلهى . ما هذا العالم ساجد والأسد فى حراسته . إنها عناية الرحمن ﴿ **إنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إلا آتِي الرَّحْمَن عَبْداً لَقدْ أَحْصَاهُم وَعَدَّهُم عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَومَ القيامَةِ فَرْداً ، إنَّ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُم الرحْمَنُ وُدًّا** ﴾(٢) .

---

(١) النور ٤٠ .

(٢) مريم ٩٣ ، ٩٦ .

العالم ساجد ، والأسد واقف خاشع .

لا يملك الروح والرزق إلا الله ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت :

لا تخضعن لمخلوق على طمع	**فإن ذلك نقص منك فى الدين**
لا يقدر العبد أن يعطيك خردلة	**إلا بإذن الذى سواك من طين**
فلا تصاحب غنيا تستعز به	**وكن عفيفا ، وعظم حرمة الدين**
واسترزق الله مما فى خزائنه	**فإن رزقك بين الكاف والنون**
واستعن بالله عن دنيا الملوك	**كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين**

لا تركع إلا لله ولا تسجد إلا لله ، استغن بالله كما استغن الملوك عن الدين

وجيء بالعالم أمام الحاكم ، وقال الحاكم لأبى الحسن لماذا لم يقربك الأسد بسوء ؟ وقال أبو الحسن عندما أغلقتم هذا القفص على وعلى الأسد كنت أتلو قول الله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا** ﴾

وإذا العناية لاحظتك عيونها	**نم فالمخاوف كلهن أمان**
لا تضيقن بالأمور فقد تكـ	**ـشف غماؤها بدون احتيال**
ربما تكره النفوس من الأمر	**له فرجة كحل العقال**
كن عن همومك معرضا	**وَكِلِ الأمور إلى القضا**
وانعم بطول سلامة	**تسليك عما قد مضى**
فلربما اتسع المضيق	**وربما ضاق الفضا**
ولَرُبَّ أمر مسخط	**لك فى عواقبه رضا**
الله يفعل ما يشاء	**فلا تكن متعرضا**

هذه الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ، ولذلك فاسمع معى إلى ما قاله الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم : « من أصبح حزينا على الدنيا فقد أصبح ساخطا على ربه ومن شكا مصيبة نزلت به فكأنما يشكو الله عز وجل ، ومن قعد إلى غنى لينال من ماله فقد ذهب ثلثا دينه » .

﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْم رَبّكَ فَإنكَ بِأعْيُنِنا ﴾

وإن ضاق رزق اليـوم فاصبر إلى غد عسى نكبات الدهر عنك تزول
صن النفس واحملها على ما يزينها تعش سالما ، والقول فيها جميل
ولا ترين الناس إلا تجملا نبا دهر أو جفاك خليل

﴿ واصْبِر لِحُكْم رَبِّك فإنَّك بِأعْيُنِنا ، وَسَبّح بِحَمدِ رَبّكَ حِيَن تَقُومُ ، وَمِنْ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وإدبَار النُّجوم ﴾(١)

هكذا تعلم أبو الحسن من كتاب الله . قال ابن طولون يا أبا الحسن أى شيء كنت تخشى وأنت مع الأسد ؟ قال أبو الحسن كنت أخشى أن يصيبنى الأسد بلعابه فينجس ثوبى فلا أستطيع الصلاة . ثقة وسكينة وطمأنينة، تعلمها أبو الحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

(١) الطور ٤٨ ، ٤٩ .

صور من أخلاق المجتمع المسلم

الحمد لله رب العالمين . يارب . لا تدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبا إلا غفرته ، ولا كربا إلا فرجته ، ولا عيبا إلا سترته ، ولا دينا إلا أديته ، ولا مريضا إلا شفيته ، ولا ميتا إلا رحمته ، ولا سائلا إلا أعطيته .. اللهم ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه ، وباعد بيننا وبين الحرام كما باعدة بين المشرق والمغرب وأشهد أن لا إله إلا الله ، إذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم الله : يا عبادى لقد رضيت عنكم فهل رضيتم عنى ؟ فيقولون يا ربنا وكيف لا نرضى عنك ونحن نتمنى رضاك ؟! فيقول لهم الله يا عبادى : إن لكم على عهدا أن أرضى عليكم فلا أغضب أبدا ، وإن لكم على عهدا ألا تبلى ثيابكم ، ولا يفنى جديدكم . أتدرون ما نصيب أقل واحد فى الجنة ؟ نصيب أقل واحد فى الجنة يعدل الدنيا عشر مرات ، وأعلى واحد فى الجنة من ينظر إلى ذات الله كل يوم مرتين بكرة وعشيا .

يا معشر السادة : إن أهل الجنة طولهم كطول آدم ستين ذراعا ، وفى جمالهم على جمال يوسف ، وفى سنهم كسن عيسى ثلاثا وثلاثين سنة ، وفى أخلاقهم على أخلاق الحبيب محمد ﴿ **وإنك لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم** ﴾ (١) ، كان خلقه القرآن إنه الحبيب المصطفى . إنه الأمين المجتبى .

لا إله إلا الله العلى العظيم ينادى أهل الجنة : لقد رضيت عنكم . المولى رضى . وإذا رضى الله فنظرة بعين رضاه تجعل الكافر وليا وقطرة من فيض جوده تملأ الأرض ريا

إلهـــى

أنا لا أضام وفى رحابك عصمتى ... أنا لا أخاف وفى حماك أمانى
أنا إن بكيت فلن ألام على البكا ... فلطالما استغرقت فى العصيان
يا واحـداً فى ملكه ماله ثان ... يامن إذا قلت يا مولاى لَبَّانى
أنسى وتذكرنى فى كل نائبة ... فكيف أنساك يامن لست تنسانى

---

(١) القلم ٤ .

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله علمنا الثقة فى الله وعلمنا الاعتماد على الله ، وعلمنا إذا سألنا أن نسأل الله وإذا استعنا أن نستعين بالله ، وإذا توكلنا أن نتوكل على الله . اسمع إلى قول خاتم الأنبياء والمرسلين وهو يعلمنا هذه القيم ويغرس فينا تلك المبادىء فيقول : « من أصبح وهمه الدنيا فرق الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولا ينال من الدنيا إلا ما كتب الله له ، ومن أصبح وهمة الآخرة جمع الله عليه شمله وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة »[1]

إن هذا الحديث يكشف لنا عن سر شقائنا فى الحياة وعن سر حيرتنا فيها أولم ينصرف الناس إلى الحياة أو لم يتكالب الناس على الشهوات ؟ أو لم يتكاسل الناس عن الصلوات ؟ بلى شغل الناس بالدنيا فافتقروا ولو شغلوا بالله لأغناهم الله ، وأعطاهم الدنيا ورفعهم فى الآخرة .

سيدى أبا القاسم يا حبيب الله ، يا نور بصرى ، يا ذهاب همى وغمى وحزنى يا أبا الزهراء

يا خير مخلوق وأفضل مرسل   وشفيع قوم أذنبوا وأساءوا
أنوارك العظمى إذا ما أشرقت   يوم القيامة فالورى سعداء

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم ، وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة . مع صفحات من السيرة العطرة لنرى كيف كان الوفاء من خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم لأمه آمنة ، روى الإمام القرطبى فى تذكرته عن عائشة رضى الله عنها قالت لما رجعنا من حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرت إلى وجه الرسول فوجدته حزينا مهتما حتى كدت أبكى لحزنه فقلت له يا رسول الله مالى أراك حزينا ، فقال لها الحبيب هذا قبر أمى وأنا ذاهب الآن لزيارتها . وذهب الرسول ليزور قبر أمه آمنة ، وهو الحزين ، وزار القبر ورجع إلى عائشة لكنها قالت عندما رجع رأيت البشر والسرور على وجهه ، فاستبشرت خيرا ، فقلت خيرا يا رسول الله ؟

(١) راغمة : ذليلة .

أتدرون لماذا سر الرسول ؟ إنه يقول لعائشة لما وقفت أمام قبر أمى سألت الله أن يحييها لى فأحياها لى فآمنت بى ونطقت بالشهادتين ثم ماتت .

إنه الوفاء ، وإذا ذكر الوفاء فأبو الأوفياء محمد ، إنه الإخلاص وإذا تحدثنا عن الإخلاص فالإخلاص مشتق من مصدر هو محمد إنه الخلق ، وإذا ما أردنا الحديث عن الأخلاق فأبو الأخلاق محمد . إن الله تعالى أراد أن يدخل السرور على قلب حبيبه فأحيا له أمه ؛ فآمنت به ومن قبل أحيا له أباه فآمن به ؛ ليطمئن قلبه ؛ ليهدأ روعه ؛ ليسكن فؤاده . أبواه أحق الناس بالإيمان به ، وأراد ربك أن تقر عيناه فآمنا بابنهما .

هكذا يكون الوفاء للأم مصدر الحنان . يوم تموت الأم ينادى مناد من قبل الله يا ابن آدم ماتت التى كنا نكرمك لأجلها ، فاعمل صالحا نكرمك لأجله .

فما بالنا نرى الناس لامهاتهم يعقون ، ولشهواتهم يخضعون وللدنيا يطيعون . وللمال يسمعون ويصغون .

إن الأيام علمتنا أن من أساء معاملة أبيه رزقه الله بولد يلقنه الدروس ، ومن أساء معاملة أمه رزق بزوجة لا تجعله يهنأ ولا ينام .

أخا الإسلام : الدنيا ساعة اجعلها طاعة . النفس طماعة عودها القناعة إن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقال له يا أمير المؤمنين لقد اشتريت دارا ، وأريد أن تكتب لى عقدا لشراء بيديك ، فوجد سيدنا على أن الدنيا قد تربعت على قلب الرجل حتى أنسته ذكر ربه أراد أن يعلمه الوفاء بالعهد الذى أخذه الله علينا ونحن فى عالم الذر ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فماذا يفعل امير المؤمنين ؟ يريد أن يلقن الرجل درسا فى ذكر الله وعدم نسيان مولاه . من الذى خلق السماوات والأرض ؟ الله . من الذى أنزل من السماء ماء ؟ الله . من الذى أنبت به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله ؟! .. من الذى جعل الأرض قراراً ؟ من الذى جعل خلالها أنهارا ؟ من الذى جعل بين البحرين حاجزا ؟ من الذى صورنا فأحسن صورنا ؟ من الذى يجيب المضطر إذا دعاه ؟ من الذى يكشف السوء عمن ناداه ؟ من الذى يهدينا فى البر والبحر ؟ من الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ؟ ... لا إله إلا الله

فماذا يفعل الإمام على أمام هذا الرجل الذى زاد عنده حب الدنيا حتى أصبح فى قلبه ودمه ؟ أمسك الإمام بقلمه وقرطاسه وكتب بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد اشترى ميت من ميت دارا تقع فى بلد المذنبين وسكة الغافلين ، لها أربعة حدود . الحد الأول الموت والحد الثانى القبر والحد الثالث الحساب والحد الرابع إما جنة وإما نار كما يريد الواحد القهار . ونظر الرجل إلى عقد الشراء فحزن فقال يا إمام جئت إليك لتكتب لى عقد شراء دار فكتبت لى عقد شراء مقبرة !! فقال له الإمام كلمات أصبحت مثلا ، وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها قال له الإمام يا هذا :

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها إلا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنها وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مسلطنة حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها
كم من مدائن فى الآفاق قد بنيت أمست خرابا وأفنى الموت أهليها
إن المكارم أخلاق مطهرة الديـن أولها والعلم ثانيها
والعقل ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والفضل ساديها
والبر سابعها ، والشكر ثامنها والصبر تاسعها ، واللين باقيها
لا تركنن إلى الدنيا وما فيها فالموت لاشك يفنينا ويفنيها
واعمل لدار غدا رضوان خازنها والجار أحمد والرحمن ناشيها
قصورها ذهب والمسك طينتها والزعفران حشيش نابت فيها

فلما سمع الرجل هذا الكلام من أمير المؤمنين قال له يا أمير المؤمنين إننى قد تصدقت بدارى على الفقراء والمساكين !! لماذا ؟ من كلمات سمعها . لا . بل من قلب أفاض بالكلمات فإن الذى يتحدث هو على رضى الله عنه ، وقد هدى الله على يديه هذا الرجل فلم تعد الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه بل صفا قلبه فاتصل بالله ، وأيقن أن الرازق الله وأن المعطى هو الله . وهكذا تعلم الرجل كيف يكون الوفاء بعهد الله ، وكيف يكون السير على نهج مولاه .

معشر السادة : هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلٌّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

﴿ ولا تحسبَنَّ الله غافلاً عَمَّا يَعْمَل الظَّالمون ، إنَّما يُؤَخِّرُهُم لِيَـومٍ تَشْخَصُ فِيه الأَبْصَارُ ﴾[1].

وكيف يغفل وقد أخبرنا عنه حبيبه « اتق دعوة المظلوم ولو كان كافرا فعليه كفره » ويقول أيضا : « كل ابن آدم خَطَّاءٌ وخير الخطائين التوابون »

* * *

(١) إبراهيم ٤٢ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

معشر السادة الأعزاء . عندما ذهب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليتسلم مفاتيح بيت المقدس اعترضته فى الطريق مخاضة من طين فنزل أمير المؤمنين عمر عن فرسه وخاض فى الطين برجليه ، فقال له أمير الجيوش أبو عبيدة ابن الجراح أمين هذه الأمة أتخوض فى الطين بقدميك وأنت أمير المؤمنين قال عمر يا أبا عبيدة لو غيرك قال هذه الكلمة لأوجعته ضربا . نعم أخوض فى الطين بقدمى ، لقد كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام ، فإذا ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله .

اسمعوا هذه الكلمة من فم الفاروق : العزة فى الإسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ونحن نعلم من هو محمد ؟ يقول محمد صلى الله عليه وسلم عن نفسه متحدثا بنعمة الله عليه : « بينما أنا بين النائم واليقظان والأنبياء إذا نامت أعينهم لا تنام قلوبهم — بينما أنا كذلك إذ أتانى جبريل وميكائيل فى المنام فقال جبريل لميكائيل — زنه يا ميكائيل فوزننى ميكائيل بعشرة رجال فرجحت بهم ، فقال له جبريل وزنه بمائة رجل فوزننى بمائه رجل فرجحت بهم ، فقال جبريل زنه بألف رجل فوزننى بألف رجل فرجحت بهم فقال جبريل والذى بعثك بالحق لو وزناه بأهل السماوات والأرض جميعا لرجح بهم » .

هذا هو رسول الله ونبى الله . ﴿ **يَاأَيُّها النَّبِىُّ إنَّا أرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيرا ، ودَاعِياً إِلى اللهِ بإِذْنِهِ وسِرَاجاً مُنيرا ، وَبَشِّرِ المؤْمِنِين بأَنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً ، وَلَا تُطِعِ الكافِرِينَ وَالْمُنافِقِينَ وَدَعْ أذَاهُمْ وَتوكَّلْ عَلَى اللهِ ، وَكَفَى باللهِ وَكِيلاً**[1] ﴾

هذا هو النبى الذى سوى بين البشر جميعا ﴿ **يَاأَيُّها الناسُ إنا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَر وأُنْثَى ، وجَعَلْنَاكُم شعُوبا وقَبائِل لِتَعارَفوا ، إنَّ أكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ**

---

(١) الأحزاب ٤٥ ، ٤٨ .

أتقاكم ﴾(٢)

ولقد أعلن محمد صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع كلمته المدونة للعالم أجمع «كلكم لآدم وآدم من تراب . لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » هذا هو محمد الذى ينزل السوق ليشترى قميصا يلبسه وإذا به يجد خادمة تبكى فى الطريق فيسألها ما يبكيك يا أمة الله فتقول يا رسول الله إن أهلى أرسلونى بأربعة دراهم لأشترى بها أشياء من السوق لكنها وقعت منى ، ولست أدرى بم اشترى ؟ فأعطاها محمد العظيم أربعة دراهم من دراهمه الثمانية ، وذهب إلى السوق فاشترى قميصا بدرهمين وبينما هو عائد إذ وجد مسكينا يطلب ثيابا فأعطاه قميصه الذى اشتراه ، واشترى قميصا آخر بدرهمين ، ووجد مسكيناً آخر فأعطاه القميص الذى اشتراه ، وعاد إلى بيته ، وبينما هو فى طريق العودة إذ وجد الخادمة ما تزال واقفة ، فسألها لماذا تقفين حتى الآن ؟! ألم تشتر الأشياء ؟ قالت لقد اشتريتها يا رسول الله . قال لها : إذا فلم الوقوف ؟ قالت له لا استطيع الرجوع إليهم فقد تأخرت كثيرا ، وأخشى أن يضربونى ، فقال لها الرسول تعالى معى وسوف أذهب معك . يا فتاة سيرى ورائى خشية أن يعبث الهواء بثوبك ، وسارت الفتاة وراء الرسول وذهب إلى أهل البيت وألقى السلام على أهل البيت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فلم يسمع ردا للسلام ، فكرر السلام ، فلم يسمع ردا للسلام ، فكرر السلام فردت النساء قائلات وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا رسول الله . فقال لهن الحبيب لماذا لم ترددن السلام مرة ومرة ، فقالت النساء . كنا نرد فى سرنا لتكرر السلام فى بيتنا فينزل الله البركة فى بيتنا . نساء تعلمن وتخرجن فى مدرسة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم . فقال لهن الحبيب يا إماء الله أتقبلن شفاعتى فى هذه الخادمة فلا تضربنها ، فقالت النسوة وكيف لا نقبل شفاعتك فيها والله سيقبل شفاعتك فى الأمة كلها يا رسول الله . لقد قبلنا شفاعتك فيها وأعتقناها لوجه الله إكراما لشفاعتك فيها يا رسول الله .

ولما خرج الرسول بعد عتق الجارية قال ما رأيت دراهم أعظم من هذه الدراهم الثمانية اعتق الله بها أمة وكسا بها فقيرين .

---

(٢) الحجرات ١٣ .

هذا هو محمد صلى الله عليه وسلم يتقاطر نورا ورحمة . محمد الذى ظللته الغمامة هذا هو رسولنا أسس مجتمعا عظيما لم تسمع البشرية عن مثله يحدثنا عن هذا المجتمع عمر بن الخطاب يقول : كنت أقوم بشئون القضاء أيام أبى بكر قال فسرت فى ضواحى المدينة ألتمس عملا أتاجر فيه مع الله فرأيت خيمة متواضعة فى ضاحية من ضواحى المدينة ، فذهبت إلى تلك الخيمة فوجدت امرأة عجوزاً عمياء تعيش وحدها فسألها : كيف حالك يا أمة الله ؟ ما شأنك ؟ قالت يا عبد الله إن ابنى خرج مجاهدا مع رسول الله فاستشهد ، وليس معى أحد إلا الله وحده ، فقال لها وزير العدل فى خلافة الصديق يا أمة الله ساقوم على خدمتك ولا تخبرى أحداً عنى ، فكان يصلى الفجر ويذهب إلى خيمة العجوز العمياء ، فيكنسها ويرشها ويحضر لها الإفطار ، ويقرؤها السلام ، ويعود بعد الظهر ليحضر الغداء ، وبعد العشاء ليحضر العشاء ، وذات صباح ذهب إلى خيمتها فوجد الخيمة قد كنست ورشت وطعام الإفطار بين يديها ، فسألها من الذى فعل هذا قالت له جاءنى رجل وفعل هذا ولم اعرف من هو . وفى اليوم التالى جاء وأحضر الإفطار واختبأ وراء صخرة ليرى من الذى يتردد على خيمة العجوز العمياء ، ونظر من وراء الصخرة فوجد رجلا يتألق النور على جبينه يخرج من خيمتها . أتدرون من هذا الرجل ؟ إنه الخليفة أبو بكر الصديق . الخليفة بنفسه ووزيره عمر يتعاقبان على خدمة عجوز عمياء .

هذا هو المجتمع الذى أسسه محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكن هذا المجتمع لابد أن يفهم أن له أعداء واضحين ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾(١) وانظر إلى استخدام القران لحرف لن الذى يفيد النفى فى المستقبل على إطلاقه هكذا ... ﴿ **قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الذى جَاءَكَ من الْعِلْمِ مالكَ مِنَ اللهِ من وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ** ﴾(٢)

ماذا قال الفاروق عمر عندما رأى أبا بكر خارجاً من خيمة العجوز العمياء أسرع إليه وشد على يديه ، وقال أنت يا خليفة رسول الله أنت الذى سبقتنى إلى خيمة العجوز . والله ما سابقت أبا بكر إلى خير إلا سبقنى إليه .

هؤلاء رجال تخرجوا فى جامعة الإسلام فكونوا أمثالهم واحذوا حذوهم .

(١ ، ٢) البقرة ١٢٠ .

وسيروا على نهجهم تفلحوا .

اللهم إنى أسألك أن توحد صفوفنا وأن تعلى راياتنا وأن تثبت على الإيمان قلوبنا . اشف مرضانا ، وارحم موتانا ، وأهلك أعداءَنا ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين . أكثروا من الصلاة والسلام على سيدى وحبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها .

﴿ إن الله يأمر بالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذِى القُرْبى ويَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكرِ والبَغْيِ يَعِظُكم لعلكم تَذَكَّرُون ﴾[1] .

* * *

(١) النحل ٩٠ .

الصَّبْرُ والفَرجُ

الحمد لله رب العالمين . يارب . لا تدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبا إلا غفرته ، ولا كربا إلا فرجته ولا عيبا إلا سترته ، ولا دينا إلا أديته ، ولا مريضا إلا شفيته ، ولا ميتا إلا رحمته ، ولا سائلا إلا أعطيته ، ولا غائبا إلا إلى أهله سالما غانما رددته . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وفك أسرنا ، وارحم ضعفنا ، وتول أمرنا ، وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا ، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا .

وأشهد أن لا إله إلا الله زكى قلوب أحبائه فقال : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾(١)

وزكى عبادتهم فقال : ﴿ **الَّذِينَ هُم فِي صلاتِهِمْ خَاشِعُون** ﴾(٢) .
وزكى ألسنتهم فقال : ﴿ **والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُون** ﴾(٣) .
وزكى أموالهم فقال : ﴿ **والَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ** ﴾(٤) .

وزكى أعراضهم فقال : ﴿ **وَالَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حَافِظُونَ** ﴾(٥)
وزكى معاملاتهم فقال : ﴿ **والَّذِينَ هُم لأَمَانَاتِهِم وَعَهْدِهِم رَاعُونَ** ﴾(٦) .

وزكى سلوكهم فقال : ﴿ **والَّذِينَ هُم عَلَى صَلَواتِهِم يُحَافِظونَ** ﴾(٧) .

---

(١) المؤمنون آية ١ .
(٢) المؤمنون آية ٢ .
(٣) المؤمنون آية ٣ .
(٤) المؤمنون آية ٤ .
(٥) المؤمنون آية ٥ .
(٦) المؤمنون آية ٨ .
(٧) المؤمنون آية ٩ .

وزكى درجاتهم فقال : ﴿ **أولَـئِكَ هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾ [١] .

هذه الآيات هى جدول الأعمال لأعضاء حزب لا يدعون إلى مناصب زائلة ولا إلى كراسى زائفة ولا إلى متاع فان . إن هذا الحزب هو حزب الله وما أدراك ما حزب الله ﴿ **أولئك كَتَبَ فى قُلُوبِهِمُ الإيمانَ وأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنه وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأنهارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ ألا إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفلِحون** ﴾ [٢] نعم حزب الله ألا أن حزب الله هم المفلحون

يَا مَنْ بدنياه انشغل وغره طول الأمـــل
الموت يأتى بغتـــة والقبر صندوق العمل

واشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله زكى الله عقله فقال : ﴿ **وَالنَّجَمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوى** ﴾ [٣]

وزكى لسانه فقال : ﴿ **مَا يَنْطِقُ عنَ الْهَوىَ** ﴾ [٤] وزكى شرعه فقال : ﴿ **إِنْ هَو إلاَّ وَحِىٌ يُوحَى** ﴾ [٥] وزكى جليسه فقال : ﴿ **عَلَّمَهُ شَدِيدُ القوى** ﴾ [٦] وزكى فؤاده فقال : ﴿ **مَا كَذَبَ الْفُؤادُ مَـا رَأى** ﴾ [٧] وزكـى بصره فقال : ﴿ **مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى** ﴾ [٨] وزكاه كله فقال : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [٩] الله ! لا إله إلا الله !

هذا هو نبينا . هذا هو حبيبنا . هذا هو شفيعنا يقول له الأمين جبريل ذات يوم يا رسول الله : أتدرى كيف رفع الله ذكرك ؟ فيقول سيد الخلق وحبيب الحق

---

(١) المؤمنون آية ١٠ ، ١١ .
(٢) المجادلة آية ٢٢ .
(٣) النجم آية ١ ، ٢ .
(٤) النجم آية ٣ .
(٥) النجم آية ٤ .
(٦) النجم آية ٥ .
(٧) النجم آية ١١ .
(٨) النجم آية ١٧ .
(٩) القلم آية ٤ .

الله أعلم يا جبريل فيقول له أمين الوحى : إن السلام يقرؤك السلام ويقول لك : رَفعت ذكرك بأن اسمى لايذكر إلا ومعه اسمك . نعم فى الآذان نقول أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، وفى الإقامة كذلك وفى التحيات كذلك وعندما ننام على فراش الموت نختم كلامنا بكلمة « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

قولوها وطهروا بها القلوب فإن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة .

سيدى يا أبا القاسم ! يا جلاء بصرى يا ذهاب همى وغمى وحزنى ! يا رسول الله ! يا حبيب الله يا خير خلق الله .

بَلَغ العلا بكماله كشف الدجى بجماله
عظمت جميع خصاله صلوا عليه وآله

صلى عليك الله يا علم الهدى ما حبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة نحن اليوم على موعد لزيارة بيوت ستة من أنبياء الله على أن نختم الكلام بمسك الختام محمد صلى الله عليه وسلم ، فإلى هناك ، إلى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه إلى بيوت إذا طلع الفجر وحدت ربها فإذا ما جاء الليل تناجى مليكها .

إلى بيت الخليل إبراهيم ، وقد بلغ من العمر ستٍ وثمانين سنة لم يرزق ولدا ، وأهديت هاجر إلى سارة ، وقامت سارة بدورها فاهدت هاجر إلى إبراهيم ، ودخل بها إبراهيم ، وقال : ﴿ **إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾(١) .

أيها السادة الأعزاء إن الإسلام لا يعرف اليأس ، بل إن اليأس أعدى أعداء الإسلام. فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال فلابد من دخول القبر ، فإذا ضاقت بك الأيام واستحكمت حلقاتها فاعلم بأن الليل إذا

---

(١) الصافات ٩٩ ، ١٠٠ .

اشتد ظلامه أوشك الفجر أن ينبلج نوره .

يا صاحب الهم إن الهم منفرج	أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه	لا تيأسن فإن الكافى الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تجزعن فإن الصانع الله
إذا بليت فثق بالله وارض به	إن الذى يكشف البلوى هو الله
والله مالك غير الله من أحد	فحسبك الله فى كل لك الله

اسمع هذه الدعوة النبوية الإبراهيمية « رب هب لى من الصالحين » وهكذا دعوات الصالحين لا يقول رب هب لى غلاما وإنما يقول رب هب لى من الصالحين . لأن الغلام إذا لم يكن صالحا كان عارا . وشنارا[1] ووبالا على أهله . أما رأيت العبد الصالح مع كليم الله موسى ؟ يرى غلاما فيقتله ؛ فيثور موسى ؛ وكان موسى عصبى المزاج ﴿ **قال أَقَتَلْتَ نَفساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ، لَقَد جِئْتَ شَيْئاً نُكْرا** ﴾[2] فيقول له العبد الصالح : ﴿ **وأَمَّا الغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاه مُؤمِنِين فَخَشِينَا أن يُرهِقهُما طُغْياناً وَكُفْرا ، فَأَرَدْنَا أن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُما خَيْرا منه زَكَاةً وأَقْرَبُ رُحْما** ﴾[3] .

إذا طاب أصل الشئ طابت فروعـه	ومن عجب جادت يد الشوك بالورد
وقد يخبث الأصل الذى طاب فرعه	ليظهر فعل الله فى العكس والطرد

هب لى من الصالحين . والله سبحانه وتعالى هو المجيب لمن دعاه وإذا أراد قضى المراد .

استمع إلى ما طلبه موسى من ربه : ﴿ **رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِى وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى واحْلُلْ عُقْدةً من لِسانِي يَفقَهوا قَولِى ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مَنْ أَهْلِي هَارونَ أخي اشْدُد بِهِ أزْرِى وَأَشْرِكْه فِي أمرِى كِي نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا** ﴾[4] .

---

(١) شَنَاراً : عَيْباً وعاراً .

(٢) الكهف ٧٤ .

(٣) الكهف ٨٠ ، ٨١ .

(٤) طه الآيات ٢٥ : ٣٥ .

ثم استمع إلى ما قاله تعالى لموسى : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يا مُوسَى ﴾(١) هكذا كلمة واحدة ، ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إلا وَاحدة كَلَمْحٍ بالْبَصَرِ ﴾(٢)

من اعتمد على عقله ضل ومن اعتمد على ماله قل ، ومن أعتمد على علمه ذل ، ومن اعتمد على الناس مل ، ومن اعتمد على الله فلا ضلا ولا قل ولا ذل ولا مل ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله . أما إذا سألت غير الله من قوى الأرض الزائفة فعملك ﴿ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فى يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ﴾(٣) أو ﴿ كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفَّاه حسابه والله سريع الحساب ﴾ ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجَيٍّ يَغْشَاهُ مُوجٌ مِن فَوْقِهِ مُوج مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْض إِذا أخرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراهَا ، وَمَن لَمْ يَجعَل الله لَه نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُور ﴾(٤)

النور نور الله ، العظمة لله ، الكبرياء لله الثناء لله الحمد لله . الخضوع لله . الخشوع لله . الرفعة لله المجد لله العزة لله . الجلال لله . الجمال لله الكمال لله قولوا لا إله إلا الله .

إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله

تعال لنرى إبراهيم وقد بلغ من العمر ستة وثمانين عاما ماذا قال ؟ قال رب هب لى من الصالحين لم يذهب إلى منجم أو قارئة فنجان . إنما ذهب مباشرة إلى من يقول : ﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً ﴾(٥) فماذا كانت ثمرة هذه الدعوة الإبراهيمية ؟ ﴿ فَبَشرنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾ هكذا دعا إبراهيم ربه واستجاب له ربه ﴿ رَبِّ هَبْ لِي من الصَّالِحِينَ فَبَشَّرناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾(٦)

---

(١) طه ٣٦ .
(٢) القمر ٥٠ .
(٣) إبراهيم ١٨ .
(٤) النور ٣٩ ، ٤٠ .
(٥) الجن ٢٦ .
(٦) الصافات ١٠١ .

الغلام حين يولد لا يسمى غلاما وإنما يسمى طفلا ، ومتى يسمى غلاما إذا ما بلغ أشده . فلماذا لم يقل القرآن فبشرناه بطفل حليم وإنما قال فبشرناه بغلام حليم حتى تكون البشارة ذات وجهين : الوجه الأول : أن هذا الإنسان سيولد له ولد . الوجه الثانى : أن هذا الولد سيعيش حتى يصير غلاما وسيكون حليما .

أتدرون من هذا الغلام الحليم إنه إسماعيل ﴿ **فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يا بُنَّى إِنِّى أَرَى فى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانْظُر مَاذَا تَرَىَ قَالَ يا أَبتِ افْعَل ما تُؤمَر ستَجِدُنى إنْ شَاءَ الله مِن الصَّابِرِين** ﴾(١) غلام وصفه الله بأنه من الصالحين ووصفه بأنه حليم ووصفه بأنه من الصابرين . فلاح وحلم وصبر . اللهم اجعل أبناءنا كذلك ، اجعلهم صالحين حكماء صابرين يا نعم المولى ويا نعم النصير .

والآن ننتقل إلى بيت إسحاق . إبراهيم بلغ من العمر تسعا وتسعين سنة ، مائة إلا سنة واشتاقت سارة زوجه إلى غلام وكيف لا ؟ وهاجر كانت جارية لسارة ، والله تعالى لا يضيع أجر المحسنين الصابرين . اسمع إلى الحديث القدسى الجليل : « إذا ابتليت عبدى ببلاء فى بدنه أو ماله أو أهله أو ولده واستقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا وأدخله الجنة بغير حساب ﴿ **إنَّما يُوفَّى الصَّابرون أجْرَهم بِغَيرِ حِسَاب** ﴾(٢)

سارة عندها من العمر خمسة وثمانون عاما ، وإبراهيم عنده من العمر تسع وتسعون سنة ، وأخذت سارة تسأل ربها الغلام ، وكان إبراهيم رجلا مضيافاً ، جاد بنفسه للنيران ، وجاد بماله للضيفان ، جاد بابنه اسماعيل ليذبحه للقربان . ومرت ثلاثة أيام على إبراهيم لم يطرق بابه ضيف فتوجه إبراهيم إلى رب العزة وقال يارب أنا لا أطيق أكثر من هذا فارزقنى ضيوفا ...

« من أكرم ضيفاً وهو لا يعرفه فكأنما أكرم الله جل جلاله » .

وطرق باب إبراهيم طارق ، وفتح الباب فلم يكن ضيفاً واحدا وإنما كانوا ثلاثة ، نظر إبراهيم إلى ثلاثتهم فوجد الوجوه ناضرة تعرف فيها نضرة النعيم ليس على الثياب غبار ليس على الرءوس تراب من وعثاء السفر ، وليسوا من أهل البلد

---

(١) الصافات ١٠٢ .

(٢) الزمر ١٠ .

فمن أين هؤلاء ؟

﴿ وَلَقَد جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمِ بِالْبُشْرَى . قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾[١] ، لماذا قال إبراهيم سلام بالرفع ، ولم يقل سلاما بالنصب . كما قالت الضيوف؟ إن الضيوف قالت سلاما أما إبراهيم فقد قال سلامٌ . أتدرون لماذا لأن هناك فرقا بين سلاماً وسلامٌ ؛ لأن سلاماً مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره نسلم سلاماً أما سلامٌ فإنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره تحيتى سلامٌ وهناك فرق بين نسلم سلاماً وتحيتى سلامٌ لأن نسلم سلاماً جملة فعلية تدل على التجديد والحدوث وتناسب أمر القادم ، أما تحيتى سلام فهى جملة اسمية تدل على الثبات والدوام ، والثبات أقوى من التجدد ؛ فيكون إبراهيم قد رد على التحية بأحسن منها .

ثم دخل الضيوف فما لبث أن جاء بعجل حنيذ مع أنهم ثلاثة تكفيهم ثلاثة أرطال من اللحم ، لكن الكريم إذا أرد أن يكرم يكرم دون أن يقيم للكرم ميزانا . حنيذ أى عجل مشوى ليكون أطيب لحما ، وأشهى مذاقا وأصح فائدة ، وقدم العجل أمام الثلاثة ، فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة عجب لأمرهم ، واسر خيفة منهم . من هؤلاء الذين يقدم إليهم اللحم فلا يمدون إليه يدا ؟!! فقال الأمين جبريل يا خليل الرحمن ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكِ بِغُلَام عَلِيم ﴾[٢] نحن رسل ربك ، ملائكة والملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون ولا يتناسلون ولا يوصفون بذكورة أو أنوثة فمن قال إن جبريل رجل ذكر فهو فاسق ، ومن قال إنه أنثى فهو كافر . قال الله تعالى ﴿ وجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِين هُم عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثا أَشَهِدُوا خَلْقَهُم ستُكتب شَهَادَتُهم ويُسْأَلُونَ ﴾[٣]

إذا فما وظيفتهم ؟ وظيفتهم التسبيح لله قال تعالى ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ والنَّهارَ لَا يَفْتُرون﴾[٤] التسبيح عندهم كالنفس عندنا ، فإذا كنت يا ابن آدم تتنفس فى الدقيقة الواحدة ست عشرة مرة فإن الملائكة تتنفسها شهيقها وزفيرها سبحان الله والحمد لله لا إله إلا الله الله أكبر قال الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام

---

(١) هود ٦٩ .
(٢) الحجر ٥٣ .
(٣) الزخرف ١٩ .
(٤) الأنبياء ٢٠ .

« أطت(١) السماء أطا ، وحق لها أن تئط ، ما من موضع قدم إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجدا لله وكل الملائكة ليلة المعراج لقيت رسول الله بابتسامة إلا ملكا واحدا لم يضحك ولم يبتسم سأل عنه الحبيب محمد رفيق رحلته جبريل : من هذا الملك الذى لا يبتسم يا جبريل فقال له الأمين جبريل إن هذا الملك خازن النار ، وهو الذى ينادى عليه أهل النار قائلين ﴿ **يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ** ﴾(٢) . اسأل ربك أن يقضى علينا بالموت حتى نستريح

أتدرون أيها الإخوة الأعزاء بعد متى يرد عليهم ؟ قال المفسرون يرد عليهم بعد مضى ألف عام من الزمان ، ويرد عليهم قائلا ﴿ **إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾(٢)

يا معشر الإخوة نظر إبراهيم إلى ضيفه المكرمين وقد قالوا له ﴿ **إنا نبشرك بغلام عليم** ﴾(٣) وإذا بامرأته قائمة فضحكت عجبا من هذه البشارة ، وقالت أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى شيخا إن هذا لشيء عجيب ؟! الاستفهام هنا للتعجب ، أألد وأنا عجوز ، وهذا بعلى بلغ من الكبر عتيا إن هذا لشيء عجيب فقالت الملائكة : اتعجبين من أمر الله ؟

يقول علماء التفسير إنها لما قالت هذه الكلمة نزل عليها دم الحيض فى نفس الوقت الذى بشرت به . بعد خمسة وثمانين غاما حاضت ﴿ **إنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُن فَيكُون** ﴾ ﴿ **اتَعْجَبِين مِن أَمْرِ اللهِ رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيكُم أَهْلَ الْبيتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ** ﴾(٤)

ورزقت سارة اسحاق وإسحاق وإسماعيل أخوان رزق بهما إبراهيم على حين فترة من الكبر ولذلك بشر القرآن الكريم بمولدهما حتى يبعث الأمل فى نفوس اليائسين ، وقال إبراهيم : ﴿ **الْحَمْدُ اللهِ الذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ**

---

(١) أطَّ : أحدث صوتا كصوت الرحل تدل على أنه عجز عن الحمل من الثقل .

(٢) الزخرف ٧٧ ، ٧٨ .

(٣) الحجر ٥٣ .

(٤) هود ٧٣ .

وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدّعاء ﴾(١) ثم دعا الله له ولذريته ، ولم يطلب من الله لهما المال ، وإنما قال ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾(٢) مقيم الصلاة حياة بلا عبادة حياة جوفاء يشخشخ فيها الهواء كأنما يشخشخ فى رءوس التماثيل ، حياة بلا تقوى حياة عجفاء لا خير فيها ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصلَاةِ رَبَّنا وَتَقَبَّلْ دُعاءِ رَبَّنا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِلمُؤْمِنِينَ يَومَ يَقُومُ الحِسَابُ ﴾(٣).

أيها السادة الأعزاء مازلنا فى مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ، يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت ، أعمل ما شئت كما تدين تدان » اعمل ما شئت.

يا نائم الليل مسرورا بأوله ... إن الحوادث قد يأتين أسحاراً

اعمل ما شئت . إذا غرتك قوتك فلماذا استحكمت فيك شهوتك ، وإذا غرك غناك فارزق عباد الله يوما واحدا .

اعمل ما شئت يا ابن آدم يا حفنة من التراب تداس بالأقدام وتتكبر على الواحد العلام . اعمل ما شئت . أولك نطفة مذره ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين هذا وذاك تحمل فى جوفك العذرة.

يا من ينتنك عرقه ، يا من توذيك بقة يا من تقتلك شرقة

يا مدعى الكبر إعجابا بصورته ... انظر خلاك إن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما فى بطونهم ... ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا ... أقصر فإنك مأكـول ومشروب

اعمل ما شئت كما تدين تدان ، ويقول أيضا كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون .

---

(١) إبراهيم ٣٩
(٢) إبراهيم ٤٠ .
(٣) إبراهيم ٤٠ ، ٤١ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين

أيها السادة الأعزاء إن القرآن قد جمع العرب ولمّ شملهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس فأصبحوا بالقرآن يساوون كل شيء ، كما أنهم بغير القرآن لا يساوون شيئا .

اسمع معى إلى ما قاله الحبيب محمد الذى حمل منهج الله وهو يقول إذا ظهرت فى أمتى هذه الأشياء حل بهم البلاء : ما هى تلك الأشياء يا رسول الله ؟ « إذا صار المغنم دولا ، أى إذا استولى الحكام على أموال الناس بالقوة وقل فى هذا ما شئت : تأميم ـــ حراسة ـــ مصادرة ـــ ضرائب ـــ تنوء بها كواهل العباد اعتداء على حدود الغير واغتصاب الأرض » كل ذلك يقع مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « من غصب شبرا من أرض طوقه من سبع أراضين يوم القيامة » .

هكذا أصبح الناس يستحلون كل شيء فى سبيل المال ، قد يحلفون كذبا طلبا للمال ، ويظنون أن هذا الحلف يمكن أن يكفر عنه ، والحلف كذبا إذا تعمده الحالف ليس له كفارة ؛ لأنه اثقل من الكفارة فهو بالنسبة للكفارة كنسبة الجبل إلى النملة ، فهل تسطيع النملة أن تحرك الجبل من مكانه ؟! ولذلك فإن هذا اليمين يسمى اليمين الغموس ؛ لأنه يغمس حالفه فى نار جهنم .

يمين الله الذى أصبح على ألسنة الناس يجرى جريان الماء من أعلى الجبل بينما المسيح بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام يمشى إذا وجد سارقا يسرق متاعا فقال له المسيح : لم تسرق ياأخى ؟ فقال اللص : والله ماسرقت . أتدرون ماذا قال المسيح ؟ قال له : ياأخى صدق الله وكذبت عيناى أنا ، إكراما ليمين الله . يمين الله الذى أصبح عند الناس لا مضمون له .

بينما مالك بن دينار رضى الله عنه يمشى فى إحدى طرقات البصرة ذات ليلة إذ سمع رجلا مخموراً مستلقيا على ظهره ، وقطرات الخمر تسيل من على شفتيه ، وهو يقول بأعلى صوته الله الله . فقال الإمام مالك لأغسلن فم هذا المخمور إكراما لاسم الله حتى لا يخرج الاسم من بين شفتيه مخمورين فغسل الشفتين بالماء وذهب مالك بن دينار لينام فسمع هاتفا فى المنام يقول له : يا مالك طهرت فمه من أجلنا فطهر نا قلبه من أجلك وجاء أذان الفجر ، وذهب مالك ليصلى الفجر فى مسجد البصرة فوجد رجلا فى إحدى سوارى المسجد يبكى ، ويقول : إلهى هأنذا واقف بجنابك لألوذ برحابك ، فلا تطردنى من بابك . أقبلت توبتى فأهنىء نفسى أم رددتها على فأعزى نفسى ؟ فقرب منه مالك بن دينار وقال له : من أنت يرحمك الله وكيف حالك ؟ فرد الرجل عليه قائلا : إن الذى هدانى قد أخبرك بحالى أنت الذى غسلت لى شفتى من أجل لفظ الجلالة .

قلوب اتصلت فعرفت فصفت فنقيت فهذبت فخشيت فوصلت ، فاستنارت فلما استنارت بنور الله نادها الله ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم لا تَقْنَطوا مِن رَحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم** ﴾ (١) .

« إذا صار المغنم دولا ، وصارت الزكاة مغرما » الزكاة وهى ربع العشر فى المال كل عام مرة ، يعتبرها الناس مغرما ثقيلا ، بينما الله ينادى فى حديثه القدسى الجليل ، ويقول : « عبدى انفق أنفق عليك » وعلى حين ترى الناس يتضررون من أداء الزكاة تراهم لا يتضررون من الإنفاق ببذخ على ما حرَّم الله .

اسمع إلى ما قاله الحبيب بعد ذلك ، « وصارت الأمانة مغنما ، فمثلا تقول لرجل خذ هذه الأمانة عندك حتى أعود من سفرى . لا وصل بيننا ولا وثيقة دين ، وتعود من سفرك ، وتقول له اعطنى الأمانة ، يقول لك وهل لك عندى من أمانة ؟ اتق الله !! فتقول له سأذهب إلى القضاء ليقول لك إن للمحكمة سبعة أبواب اذهب ما شئت . أتدرون ماذا يقول هذا لرب العالمين يوم القيامة يأتى الله بخائن الأمانة ويقول له أد الأمانة لصاحبها فيقول له يارب لقد ذهبت الدنيا فأين آتيه بها ؟ فيقول للملائكة اذهبوا إلى بئر من آبار جهنم فيذهبون به إلى هذا البئر

---

(١) الزمر ٥٣ .

ويقولون له انظر فى قاع البئر فيجد الأمانة فى قاع البئر فيقولون له انزل من هذا البئر وائت بالامانة لصاحبها فيهوى فى البئر سبعين سنة ، ولا يصل إلى قاعه .

اتقوا الله فى الأموال . اتقوا الله فى الحقوق . إن رجلا تاجرا مات وكان قد صلى وحج وزكى ، فرآه صاحب له فى المنام فسأله كيف حالك بعد لقاء الله قال له التاجر الميت ، لقد لقيت الله وهو على غضبان ، قال له كيف وأنت صليت وصمت وزكيت وحججت ، قال له التاجر الميت أتدرى يا فلان إن الله سألنى سؤالا لم أجد له جوابا ، قال لى : لماذا كنت فى الدنيا إذا أردت أن تزن للناس بضاعتهم لماذا لم تمسح كفة الميزان قبل أن تضع فيها البضائع ؟!

انظروا أحوالنا اليوم ، وأحوال أسواقنا ، ومنَ يسرق ومن يغش والحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يقول : « من غشنا فليس منا » . إن الله يغار . يغار فيقول : ﴿ **وَيْلٌ لِلْمُطَفِفِينَ . الَّذِينَ إذا اكْتالُوا عَلى النَّاسِ يَسْتَوفُونَ . وَإِذَا كَالُوهُمْ أو وَزَنُوهم يخسَرُونَ . أَلَا يَظُنُ أُولَئِكَ أَنَّهم مَبْعُوثُون لِيَومٍ عَظِيم . يَومَ يَقُومُ النَّاس لِربِّ العَالَمِين** ﴾[1] .

رأى الصحابى الجليل أبو هريرة رضى الله عنه رجلا يغش اللبن بالماء فقال له أبو هريرة يا هذا ماذا تقول لربك إذا قال لك خَلِّصِ اللبنَ من الماء وخَلِّصِ الماء من اللبن ؟ ماذا عساك أن تقول ؟!

إذا صار المغنم دولا ، والزكاة مغرما ، والأمانة مغنما ، وأكرم الرجل صديقه وعق أباه . أليست تلك أحوالنا بعد الزواج ؟ أليس الكثير منا يتجه إلى زوجته وينسى أباه وأمه ؟

ثم ماذا ؟ إذا لبسوا الحرير إذا اتخذوا القينات والمعازف ، الموسيقى والغناء . وهل أصبح للناس من همٍّ اليوم سوى الموسيقى والغناء ومشاهدة الأفلام والمسلسلات واللهو والبعد عن الدين والجهل بتاريخ الإسلام والمسلمين .

ثم ماذا ؟ وأكرم الرجل مخافة شره . ثم ماذا ؟ ولعن آخر هذه الأمة أولها . ماذا يحدث إذا حدث كل هذا « إذا صار المغنم دولا ، وصارت الزكاة مغرمـا ، والأمانة مغنما ، وأكرم الرجل صديقه وعق أباه ، وَلَبِس الناس الحرير واتخذوا

---

(١) المطففين ١ ، ٦ .

القينات والمعازف ، وأكرم الرجل مخافة شره ، ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا الريح الحمراء ، أتدرون ما الريح الحمراء ؟! إنها الأمراض المعدية ، وقد انتشرت وظهرت أمراض غريبة لم يسمع عنها . لماذا ظهرت فينا هذا الموبقات فحلت الأمراض المعدية ، وحل بنا البلاء ؟!! وأقوى أنواع البلاء بلاء النفوس . لقد أصبحت النفوس شحيحة بالخير وابتعدت عن منهج الله بينما الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يقول : « ستكون فتن » قال على فما المخرج فيها يا رسول الله قال « كتاب الله» .

إن أموال العرب يتحكم فيها أثرياء وأمراء ولا يسيرون بها فى الطريق المستقيم فمع الغنى الفاحش الموجود عند بعض العرب يعلم الله أن هناك ملايين من المسلمين لا يجدون الغذاء ، وإذا وجدوا الغذاء لا يجدون الكساء ، وإذا وجد الكساء لا يجدون الغطاء ، وإذا وجدوا الغطاء لا يجدون الدواء . ما هذا ؟ هل وصلنا إلى المرحلة التى قال فيها الله : ﴿ **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا** ﴾(١) أمرناهم بماذا ؟ أمرناهم بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى .. لا يقولن أحد كيف يأمرهم ثم يدمرهم ؟ أتدرى يا أخى بم أمرهم الله ؟ إن الله لا يأمر بالفحشاء . إن الآية الكريمة قالت أمرنا مترفيها ففسقوا فيها ولم تقل أمرنا مترفيها أن يفسقوا فيها وإلا لكان الأمر هنا أمر بالفسق . وإنما قالت أمرنا مترفيها ففسقوا وبم يأمر الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى** ﴾(٢)

أيها السادة الأعزاء هناك ثلاثة أسئلة تدور على الألسنة فاسمعوا الاجابة عنها :
السؤال الأول : ما هو التوحيد ؟

الإجابة : هو إفراد المعبود بالعبادة ذاتا وصفات وأفعالا .

السؤال الثانى : ما هو الإيمان الذى ينجى من النار ؟

الإجابة : الإيمان الذى ينجى صاحبه من النار يتركب من ثلاثة جقائق
الحقيقة الأولى : التصديق بالجنان : بالقلب

---

(١) الإسراء ١٦ .

(٢) النحل ٩٠ .

الحقيقة الثانية : الإقرار باللسان : لا إله إلا الله
الحقيقة الثالثة : العمل بالأركان : بأحكام الله .

إذا حقيقة الإيمان الذى ينجى صاحبه من عذاب النار تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بأوامر الواحد الديان .

السؤال الثالث : ما أركان الإيمان ؟
الإجابة : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .

اللهم ارفع راية ديننا . اللهم انصر من نصر دين محمد ، اللهم اخذل من خذل دين محمد ، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا كربا إلا فرجته . نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير فاتنين ولا مفتونين يا نعم المولى ويا نعم النصير غفرانك ربنا وإليك المصير . أيها السادة الأعزاء : أكثروا من الصلاة والسلام على سيدى وحبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْى يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾(١)

* * *

(١) النحل ٩٠ .

اللجـوءُ إلى الله

الحمد لله رب العالمين . يارب اكرمنا ولا تهنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وارفعنا ولا تضعنا . اللهم لا تدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبا إلا غفرته ، ولا كَربا إلا فرَّجته ، ولا عيبا إلا سترته ، ولا دينا إلا أديته ، ولا مريضا إلا شفيته ، ولا ميتا إلا رحمته ، ولا سائلا إلا أعطيته ولا مظلوما إلا نصرته ، ولا مكسورا إلا جبرته ، ولا حاجة إلا قضيتها بفضلك يا أرحم الراحمين . آمين ... آمين .

أشهد أن لا إله إلا الله زاد محمدا تعظيما ، إذا أراد أن يخاطب الأنبياء ناداهم بأسمائهم إلا محمدا! اسمع إلى خطابات المولى إلى كوكبة الأنبياء . ﴿ **وَيَا آدم اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوجُكَ الْجَنَّة** ﴾[1] ﴿ **يَا نُوح اهْبِطْ بِسَلَامٍ مَنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ** ﴾[2] ﴿ **يَا إِبْراهِيمُ قَدْ صَدَّقْتُ الرُّؤيَا** ﴾[3] ﴿ **يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا رَبُّكَ** ﴾[4] ﴿ **يَا زَكَريا إِنا نُبُشِّرُكَ بِغُلَام** ﴾[5] ﴿ **يَا يَحيىَ خُذ الْكِتَابَ بِقُوَّة** ﴾[6] ﴿ **يَا دَاودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ** ﴾ ﴿ **يَا عِيسَى إِنِّى مُتَوفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَىَّ** ﴾[8] إما إذا أراد أن يخاطب حبيبه ومصطفاه ، فلا يقول يا محمد ، وإنما يقول : ﴿ **يَـٰأَيُّها النَبِىُّ إِنَا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ..** ﴾[9] **ياأَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ماأُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ** ﴾ ، ﴿ **ياأَيُّها الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِى الْكُفْر** ﴾[10] . حتى فى بيان الأحكام يقول له

---

(١) الأعراف ١٩ .
(٢) هود ٤٨ .
(٣) الصافات ١٠٤ ، ١٠٥ .
(٤) طه ١١ ، ١٢ .
(٥) طه ٧ .
(٦) طه ١٢ .
(٧) ص ٢٦ .
(٨) آل عمران ٥٥ .
(٩) الأحزاب ٤٥ .
(١٠) المائدة ٦٧ .

﴿ يَاأَيُّها النَبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمْ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ (١) حتى فى مجال الملاطفة الرقيقة يقول : ﴿ يَاأَيُّها النَبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ ﴾(٢) حتى إذا أراد أن يخاطب نساءه لا يقول يا نساء محمد ، وإنما يقول : ﴿ يَا نِسَاءَ النَبِى لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مَن النِّسَاءِ ﴾

أشرق النـور فى العــوالم كما	بشرتها بأحمد الأنبــاء
جاء للناس والسرائر فوضى	لم يؤلـف شتــاتهن لواء
وَحِمَى الله مستباح وشرعـه	والحق والصواب وراء
ولجبريل جيئـة وذهـاب	وصعود من الثرى وارتقاء
تلك آى الفرقان أرسلها	الله ضياء يهدى بها من يشاء
نسخت سنة النبين والرسل	كما ينسخ الضياء الضيـاء

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمد رسول الله . عندما ولد نظر حواليه فلم يجد أباه بجانبه فيوم أن ولد كان قد مر على وفـاة أبيه ثلاثة أشهر . اليتيم . اختار الله أباه ، وهو جنين فى بطن أمه حتى لا يقول أبى أبى ، وإنما يقول ربى ربى .

جعلت حياتك للزمان رضيعا	ومشى بشيرك فى النهار مذيعا
الله أكبر حين بشر قائلا	ولدت أمينة للأنام شفيعا

سيدى أبا القاسم يا نور قلبى يا رسول الله أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة وكشفت الغمة ، ومحوت الظلمة ، وجاهدت فى الله حتى أتاك اليقين . صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة .

سوف نرى إن شاء الله تعالى رعاية الله لعباده كما تتجلى فى مولد بعض الأنبياء

---

(١) الطلاق ١ .

(٢) التحريم ١ .

وليعرف أن العودة إلى كتاب الله فيها الفرج وفيها الشفاء وفيها الطمأنينة . ماذا قال القرآن فى خلق آدم وماذا قال فى مولد اسماعيل واسحاق ؟ وماذا قال فى مولد موسى

أما آدم فالقرآن الكريم يحدثنا عن خلقه : ﴿ **إِذ قَال رَبُّكَ لِلْمَلائِكَة إِنِّي خَالِق بَشَراً مَن طِين فإِذَا سُويتُهُ وَنَفَخْتُ فِيه مِن روحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾ (١) إنى خالق بشرا من طين ، وما الطين إلا تراب وما الطين إلا تراب يداس بالأقدام . ﴿ **هَو الَّذى خَلَقَكُمْ مِن طِينٍ . ثُمَّ قَضَى أَجَلا ، وأَجَلٌ مُسَمًّى عِنَدَهُ ثُمَّ أَنْتُم تَمْتَرونَ** ﴾ (٢)

﴿ **إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ فإِذَا سَويتُهُ** ﴾ لم يقل فقعوا له ساجدين لأن الطين لا يستحق هذه التحية من الملائكة . إنما قال : ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحى** ﴾ هنا تأتى تحية الملائكة لأن الإنسان الطينى قد أكرمه الله حين نفخ فيه من روحه .

ثم ينتقل القرآن بعد ذلك إلى مولد إسماعيل ، وكان فى مولده عجب ، فإبراهيم عندما رزقه كان عنده من العمر ست وثمانون سنة ومع ذلك قال تعالى : ﴿ **وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إَلى رَبِّى سَيَهْدِين رَبِّ هَبْ لِى مِن الصَّالَحِينَ . فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ** ﴾ (٣)

وينتقل النظم الكريم إلى مولد إسحاق ولعل النظم الكريم إنما نص على مولد إسحاق لأن إبراهيم رزقه ، وعنده من العمر تسعة وتسعون عاما ، لا يأس من رحمة الله

يا صاحب الهم إن الهم منفرج — أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه — لاتيأسن فإن الكافى الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة — لا تجزعن فإن الصانع الله
إذا بليت فثق بالله وارض به — إن الذى يكشف البلوى هو الله

---

(١) ص ٧٢ ، ٧٣ .
(٢) الأنعام ٢ .
(٣) الصافات ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١

والله مالك غير الله من أحد فحسبك الله فى كل لك الله

إسحاق يولد لأبوين بلغا من الكبر مبلغا . وهذا بعلى شيخا ، يا ويلتا أئلد وأنا عجوز .. عجوز وهن عظمها ... وهذا بعلى شيخا ، إن هذا لشيء عجيب . قال لها جبريل وقد نزل عليها ضيفا أتعجبين من أمر الله ... ﴿ **وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ** ﴾(١) ولم يتقتصر الأمر على إسحاق وإنما قال الله لها ستلدين إسحاق وسيعيش إسحاق حتى يتزوج وينجب يعقوب ، وهكذا ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .. لا تيأس من رحمة الله . إذا ضاقت بل الأمور وإذا ما احدمت شدائد الأيام ، وإذا ما اكفهرت جنبات الحياة فعد إلى كتاب الله وسنة رسوله .

إذا كنت فى خوف فقل « حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ »(٢)

فالله سبحانه وتعالى يقول عمن قالوا ذلك ﴿ **فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** ﴾(٣) وإن كان مرضك فى جسمك فقل ما قال أيوب ﴿ **مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾(٤) فالله سبحانه وتعالى يجيب عمن قال ذلك ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ** ﴾(٥) ... وإن كان مرض هما أو غما أو حزنا فقل ما قاله نبى الله يونس عندما ألقى فى البحر والتقمه الحوت وأصبح فى بطن الحوت وفى الظلمة الشديدة نادى ربه . ﴿ **فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾(٦) ... هكذا الإيمان . إذا باشرت بشاشته شغاف القلوب تكاد تجعل المستحيل ممكنا ، إنه الايمان . يحرك الجبال ويسير العوالم . لما وجد يونس نفسه فى بطنَ الحوت ما بكت عيناه ، وما شكا من الله مرة وإنما شكا إلى الله كل مرة . ومافر من الله مرة وإنما فر إلى الله كل مرة . هكذا إن كنت فى غم فقل لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فإن الله سبحانه وتعالى عقب من دعا بذلك قائلا ﴿ **فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ** ﴾(٧) . ولا يقولن

---

(١) هود ٧١ .
(٢ ، ٣) آل عمران ١٧٣، ١٧٤ .
(٤ ، ٥) لأنبياء ٨٣ ، ٨٤ .
(٦ ، ٧) الأنبياء ٨٧، ٨٨ .

قائل لعل هذا الدواء خاص بيونس وحده[1] . لأن الله سبحانه وتعالى قال بعد ذلك ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ .

فإذا كان الأعداء يمكرون لك ليؤذوك ويدبروا لك المكايد[2] فقل ما قاله مؤمن من آل فرعون : ﴿ **وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ** ﴾[3].

قلها وأنت واثق من نتائجها وفوائدها المرجوة وستأتى لك النتيجة إن شاء الله تعالى كما عقب ربنا سبحانه وتعالى على من قال ذلك ﴿ **فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَامَكَرُوا** ﴾[4]

ثم ينتقل بنا القرآن إلى مولد موسى ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُم مُوسَى أن أرضِعِيه فَإِذَا خِفْتِ عِلَيهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلا تَحْزَنِى إِنَّا رَادُّوه إِليكِ وَجَاعِلُوهُ مِن الْمُرْسَلِينَ** ﴾ هكذا رعاية الله تخاف أمه عليه وهو بين ذراعيها فتلقيه فى اليم ولا تخاف . نعم إن رعاية الله سوف تشمله وجند الله سوف تحوطه ، ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيكَ مَحَبَةً مِنِّى ولِتُصنَع عَلَى عَيْنِى** ﴾.

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خطَّاءٌ وَخَيْرُ الخطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

---

(١) كلمة وحده كلمة تلازم النصب على الحال ، وهى حال مؤولة بمعنى منفردا .

(٢) الصحيح (المكايد) ومن الخطأ إن نقول (المكائد) لأن فعيلة لا تجمع على فعائل إلا إذا كانت الياء زائدة . أما هنا فالياء أصلية فالمفرد (مكيدة) على وزن مفعلة بخلاف صحيفة وصحائف .

(٣ ، ٤) غافر ٤٤ ، ٤٥ .

حجة الوداع

الحمد لله رب العالمين . يارب . ارحم ضعفنا وتول أمرنا وأحسن خلاصنا واجبر كسرنا وانصر كل مظلوم . واقهر كل ظالم . اللهم اسقنا بيد رسولك شربة ماء لا نظمأ بعدها أبدا آمين ... آمين

وأشهد أن لا إله إلا الله يؤتى الحكمة من يشاء . يقولَ الإمام الشافعى رضى الله عنه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام وأنا ابن سبع سنين ، فقال لى : يا شافعى أتدرى من أنا ؟ فقلت له : أنا منك وأنت منى يا رسول الله ... نعم لأن الشافعى مُنَسَّبٌ إلى هاشم بن عبد مناف جد رسول الله وأم الشافعى منسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله وزوجة الشافعى السيدة حميدة منسبة إلى عثمان بن عفان .

أتدرى من أنا يا شافعى ؟ نعم يا رسول الله : أنا منك وأنت منى قال الشافعى فوضع الرسول فمه على فمى فجرى ريقى بريقه فعرفت ما بين السماء والأرض . فلما أخذتنى رعدة وضع يده على صدرى فاستقر ظاهرى ، وتفجر العلم من باطنى .

ومع ذلك جلس الشافعى ذات يوم مع تلميذه الإمام أحمد بن حنبل فقال الشافعى :

أحب الصالحين ولست منهم لعلى أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارتهم معاصى وإن كنا سويا فى البضاعة

فرد عليه الإمام أحمد بلسان الأدب الرفيع فقال له يا سيدى :

تحب الصالحين وأنت منهم ومنكم سوف يلقون الشفاعة
وتكره من تجارتهم معاصى وقاك الله من شر البضاعة

الشافعى مع علمه وفضله وذكائه وسخائه يقول أحب الصالحين ولست

منهم . إذا لم تكن أنت منهم فمن يكون يا شافعى ؟

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله اختار المدينة منزلا ، وقال فى ذلك : المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان ، وأرض الهجرة ، ومثوى الحلال والحرام من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها ؛ فإن من مات بالمدينة كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة .

سيدى يا أبا القاسم يا جلاء بصرى يا ذهاب همى وغمى وحزنى يا رسول الله ـــ إذا كان الذى يموت فى المدينة ستكون له شهيدا وشفيعا يوم القيامة فما جزاء من يموت بمكة وهو محرم للحج أو العمرة ؟ اسمع إلى قول الحبيب المصطفى : « من مات محرما بعث يوم القيامة ملبيا يخرج من قبره يقول لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » .

عندما ينادى المنادى من مكان قريب ويقول أيتها العظام النخرة أيتها اللحوم المتناثرة . أيتها الجلود المتمزقة قومى لفصل القضاء بين يدى علام الغيوب ... يا دنيا من خدمنا فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه .

سيدى يارسول الله

روحى بحبك فى الضياء تهيم والشوق منى فى هواك عظيم
والقلب مسرور بذكر محمد فى ذكره نور وفيه نعيم

صلى عليك يالله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم

أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة . نلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع .. قبل بدء المسير توافدت سيول من البشر تجتاح الآفاق من شرق الأرض وغربها ليكون لها شرف الحج مع أعظم مخلوق ، وأحاط الصحابة بالرسول صلى الله عليه وسلم فى جموع غفيرة ، وكانت هذه الجموع كلها تهتف لإله واحد . فمن الذى جمع هذه الألوف المؤمنة ؟ إنه الواحد القهار . والجموع كلها تهتف لله الواحد القهار وكلها تردد : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

ومن ميقات المدينة ويسمى ذو الحليفة ، أحرم الرسول صلى الله عليه وسلم

وأحرم الصحابة كلهم فلبسوا الرداء وهو ما يستر النصف الأعلى من الجسم كما لبسوا الإزار وهو ما يستز النصف الأسفل من الجسم هكذا لا مخيط فى ملابس الإحرام ، حتى الحذاء لا خيط فيه ، ولا يعلو إلى الكعبين إنما هو دونهما لماذا التجرد من ملابسنا ؟ لنتشبه بنا بعد موتنا حينما نلف فى أكفاننا ؛ ولأننا فى رحلة إلى الله ولتظهر المساواة فلا غفير ولا وزير ، ولا غنى ولا فقير ، ولا عظيم ولا حقير ولا كبير ولا صغير . الكل أمام الواحد واحد . فكل المظاهر تختفى فحينما ترى الجميع تحسبهم وكأنهم خرجوا من القبور فى ثياب واحدة . وتوجه ركب الحبيب إلى الحرم ودخل الحبيب إلى المسجد الحرام وتوجه إلى الحجر الأسود ووضع شفتيه على الحجر الأسود وانهمرت الدموع من مقلتى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسأله الفاروق عمر بن الخطاب جبار الجاهلية وعملاق الإسلام فيقول له : ما يبكيك يا رسول الله ؟ فيقول الحبيب المصطفى هنا تسكب العبرات يا عمر .. فلما ذا البكاء ؟ ولماذا تقبل الحجر ؟ أما البكاء فلأن شريط الذكريات قد مر أمام الرسول من يوم بنى إبراهيم البيت الحرام . وبقيت من أحجار البيت بقية هى الحجر الأسود وضعه إبراهيم فى هذا الركن المبارك . أما تقبيل الحجر ، فلأن الحجر يكون شاهدا يوم القيامة لكل من قبله أو أشار إليه عند الزحام ..

اقرأ قول الله تعالى : ﴿**إذا زُلْزِلَتْ الأرْضُ زِلْزَالَها وَأَخْرَجَت الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ، وَقَالَ الإنْسَانُ مَالَها ، يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَها بِأَنّ رَبَّك أَوْحَى لَهَا**﴾[1] الأرض تحدث أخبارها . الأرض تحدث بكل ما جرى عليها والحجر قطعة من الأرض فم قبله أو أشار إليه عند الزحام كان شاهدا له أمام الواحد القهار . أوما سمعت قول الحبيب المصطفى « اتقوا الله فى أمكم الأرض ، الأرض أمنا ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُم ، وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُم تَارَةً أُخرى** ﴾ [2] ولذلك عندما يضع الدافن ابن آدم يدفنه على شقه الأيمن . ويضع الخد الأيمن على التراب ويحثوه بثلاث حثوات من التراب ، وأنت يا ابن آدم نائم على التراب : يقول فى الأولى منها خلقناكم ، ويقول فى الثانية وفيها نعيدكم ، ويقول فى الثالثة ومنها نخرجكم تارة أخرى .

---

(١) الزلزلة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٢) طه ٥٥ .

إننا يا معشر المسلمين نولد مرتين . المرة الأولى من أرحام أمهاتنا والمرة الثانية من أرحام القبور يوم القيامة . المرة الأولى عندما تولد يا ابن آدم يقول الله لك : ابن آدم لقد أخرجتك إلى الدنيا تقيا نقيا نظيفا فلا تبدل أوامرى . فإذا وضعت فى نعشك يقول لك الله يا ابن آدم أين الأمانة التى أمرتك بحفظها ؟ لماذا خنتها ؟

معشر المسلمين الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن قبل الحجر طاف بالبيت سبع مرات ، وهو يقول : ﴿ **رَبَّنا آتِنا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَة حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّار** ﴾[1] . يطوف كماتطوف الأفلاك ، فما من شىء فى هذا الوجود إلا ويطوف لله ، حتى أدق الأشياء وهو الذرة . الذرة أدق المخلوقات إذا تأملت كهاربها السالبة وكهاربها الموجبة ، رأيت الكهارب السالبة تدور حول النواة حيث الكهارب الموجبة تطوف فى دقتها ، وتطوف فى هذا الحجم الذى لا يكاد يرى ، تطوف إكراما لمن ؟ وتسبيحا لمن ؟ لله الواحد القهار . من المجرة إلى الذرة ومن الذرة إلى المجرة . لوسألت العالم من عرشه إلى فرشه ، ومن سمائه إلى أرضه ، وقلت له من خالقك لقال لك بلسان الحال والمقال : أنا مخلوق للواحد الديان .

سل الواحة الخضراء والماء جاريا — وهذى الصحارى والجبال الرواسيا
سل الروض مزدانا سل الزهر والندى — سل الليل والإصباح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما — وسل كل شىء تسمع الحمد ساريا
فلو جن هذا الليل وامتد سرمدا — فمن غير ربى يرجع الصبح ثانيا
تأمل فى نبات الأرض وانظر — إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات — بأبصار هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات — بأن الله ليس له شريك

معشر الإخوة الاعزاء . وبعد أن فرغ المصطفى من الطواف توجه إلى مقام إبراهيم وصلى ركعتين ، وكان عمر قد قال للحبيب صلى الله عليه وسلم قبل أن يصلى فى مقام إبراهيم : ما ضر لو صلينا فى مقام إبراهيم يا رسول الله . قال

---

(١) البقرة ٢٠١ .

الحبيب لم يأمرنى الله بالصلاة هنا يا عمر ، وقبل غروب الشمس كان سفير الأنبياء جبريل قد نزل على الحبيب يقول الله تعالى ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾ فقال الحبيب لقد انزلها الله موافقة لرأيك يا عمر .

ثم توجه الحبيب إلى ماء زمزم وشرب منه . وماء زمزم لما شرب له . من شرب منه بنية الشفاء شفاه الله . ومن شرب منه بنية قضاء الحاجة قضى الله حاجته ، ومن شرب منه بنية الشبع اشبعه الله ، ومن شرب من الماء بنية الرى رواه الله ...

ثم توجه الحبيب وسعى بين الصفا والمروة سبع مرات وقرأ قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ** ﴾(١)

أتدرون لماذا الشرب من ماء زمزم أتدرون لماذا السعى ؟ إن الشرب من ماء زمزم إشارة إلى أن هذا الدين هو دين الحياة هو دين الصفاء هو دين الوفاء .

أما السعى فإنه شريط عميق الأبعاد ويظل يرجع بنا إلى حيث هاجر ومعها رضيعها ، وليس فى ثديها ما ترضعه . فماذا تفعل هاجر ؟ ماذا يفعل قلبها الرءوم ؟ إنها صعدت فوق الصفا لعلها تجد على البعد ماء ثم هبطت إلى المروة وصعدت لعلها تجد ماء ، وظلت على هذه الحال سبع مرات ، ولم تجد لرضيعها ماء . عرق جبينها وكلت قدماها .

وإذا بالأوامر تصدر من المولى عز وجل إلى الأمين جبريل أن يهبط إلى الأرض ويضرب الأرض بجناحيه فتنبعث عين زمزم من تحت جناح جبريل ، وشرب الرضيع وشربت أمه ولا يزال الماء جاريا إلى يوم القيامة .

وزمزم تجرى بين عينيك أعينا ... من الكوثر المعسول منفجرات
لك الدين يارب الحجيج جمعتهم ... لبيت طهور الساح والشرفات
أرى الناس أفواجا ومن كل بقعة ... إليك انتهوا من غربة وشتات
تساووا فلا الأنساب فيها تفاوت ... لديك ولا الأقدار مختلفات

---

(١) البقرة ١٥٨ .

وفى اليوم الثامن من ذى الحجة توجه الركب الكريم إلى منى وصلى الحبيب المصطفى فى منى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر واليوم تطلع علينا شمس عرفة وتنير بنور ربها . وفى عرفات يتجلى الله على عباده الواقفين ويباهى بهم الملائكة الكرام ويقول للملائكة : يا ملائكتى هؤلاء عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين يرجون رحمتى ويخافون عذابى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم : أفيضوا عبادى مفغورا لكم ولمن شفعتم فيه .

لقد وقف رجل فى عرفات يقول : الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة . فسمع هاتفا يقول له : يا عبد الله مهلا ؛ إننا لم نفرغ حتى اليوم من كتابة ثوابها فى العام الماضى .... الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة ...

وصلى الرسول صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر فى مسجد نمرة قصراً وجمعا ركعتين ركعتين فى وقت الظهر ، ثم توجه إلى الموقف فألقى خطبة جامعة اسمعوا هذا الدستور . اسمعوا هذا التوجيه من النبى العظيم . اسمعوا ماذا قال فى يوم عرفات وابكوا على أنفسنا . قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا . كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » « لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » وكأنك يا رسول الله تستشف الحجب وتنظر من وراء سياج الغيوب ؛ لترى ما أصبحنا عليه ، دماء تسيل بغير ذنب ، وأصبح بأسنا بيننا شديدا ، وأصبح الخطر يتهددنا .

غربت شمس يوم عرفة وتوجه ركب الحبيب إلى المزدلفة وصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير صلى المغرب فى وقت العشاء ثم وقف بالمشعر الحرام وبات بالمزدلفة

وفى يوم النحر رمى الحبيب الجمار ونحر الهدى وحلق الشعر وطاف بالكعبة طواف الزيارة ثم عاد إلى منى ليبيت بها . ثم رمى الجمرات فى الأيام التالية ليوم النحر ثم توجه إلى الكعبة ليطوف طواف الوداع ...

أيها السادة الأعزاء هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

معشر السادة . عاد المصطفى إلى المدينة المنورة ، وقضى فى رباها وفى رحابها اثنين وسبعين يوما وفى يوم من أيام العام الحادى عشر من الهجرة يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لغلام له يسمى أبا مويهبة . يا أبا مويهبة تعال لنزور البقيع . وذهب الحبيب إلى مدافن البقيع وقال للأموات : السلام عليكم يا أهل البقيع هنيئا لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه . لقد أقبلت الفتن يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى . ثم عاد الرسول إلى بيته وشكا صادعا شديدا نزل به ، وينام على فراش المرض ثلاثة عشر يوما ، والحمى تهز البدن الشريف هزا . وكان الرسول يمسح الوجه الشريف بماء بارد . ودخل عليه وفد من الصحابة على رأسهم ابن مسعود ، وعندما رآهم الرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم مرحبا بكم وحباكم الله وابقاكم الله ونفعكم الله وسددكم الله .

إن الله تعالى أوصانى وإياكم بتقواه . وأوصانى وإياكم ألا نتكبر على الله فى بلاده وعباده فقال تعالى : ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾(١)

قال ابن مسعود : متى الأجل يا رسول الله : قال الحبيب لقد دنا الأجل والفراش الأوفى وسدرة المنتهى والرفيق الأعلى . قال ابن مسعود فمن يغسلك يا رسول الله ؟ قال الحبيب رجال من أهل بيتى مع ملائكة كثيرين يرونكم من حيث لا ترونهم . ودخل على ليغسل الجسد الشريف قال على والله ما استطعت أن أخلع ثياب رسول الله من شدة النور الذى طرأ من جسمه .

فمن يكفنك ؟ وفيم يكفنك ؟ قال الحبيب في يمنية بيضاء أى قطعة من نسيج

---

(١) القصص ٨٣ .

اليمن الأبيض . قال على ما استطعت أن أجرد الجسد من الثياب فكنت أصب الماء على القميص ثم بعد ذلك أمر بالقميص على الجسد الشريف .

من يصلى عليك يا رسول الله ؟ قال إذا غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على شفير القبر ساعة وحدى ؛ فإن أول من يصلى على خليلى الله .

الله زاد محمدا تعظيما وحباه فضلا من لدنه عميما

ثم يصلى علىَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وملك الموت ، ثم ادخلوا علىَّ فصلوا جماعات وفرادى .

ثم قال الحبيب لأصحابه أبلغوا من غاب من صحابتى منى السلام ، واشهدكم إننى أسلم على كل من قال « لا إله إلا الله » وعليك السلام يا صاحب الخلق الكريم يا رسول الله . وينام الرسول على فراش الموت وتدخل فاطمة لتقف بجانبه والرسول يقول سبحان الله إن للموت لسكرات ، وتمسح الوجه الشريف بالماء ويقول : « اللهم هون علىَّ سكرات الموت . إذا كان الرسول يقول هذا فماذا نقول نحن ؟! إن فاطمة تبكى وتقول واكرباه على كربك يا أبتاه ، والحبيب محمد يرد عليها قائلا لا كرب على أبيك بعد اليوم . ويدفن الرسول . وتقول فاطمة لبلال بعد دفن أبيها يا بلال كيف سولت لكم أنفسكم أن تضعوا رسول الله فى بطن الأرض ؟

صبت على مصائب لو أنها صبت على الأيام عدن لياليا

فيقول لها بلال : يا يحانة رسول الله والذى بعث أباك بالحق لو استطعنا أن نضع رسول الله بين السماء والأرض لفعلنا ولكن ما نفعل ؟ وقد أنزل الله على أبيك قرآنا يقول فيه : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾[1] .

سيدى يا رسول الله أتأذن لنا بزيارة المقام الشريف . وقبل المقام تجد الروضة المباركة : من صلى بها أربعين صلاة كتب الله له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق .

وأمام قبر المصطفى نقف خاشعين متأدبين قائلين السلام عليك يا حبيب الله . أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة ومحوت الظلمة ،

---

(١) طه ٥٥

وجاهدت فى الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله خير ماجزى نبياً عن أمته . السلام عليك من أبى السلام عليك من أمى السلام عليك من ولدى السلام عليك من كل من حملنى إليك السلام .

اللهم عافنا واعف عنا اللهم اغفر لنا وارحمنا اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع مجيب الدعوات . يسر أمرنا فرج كربنا بلغنا مما يرضيك آمالنا .

أكثروا من الصلاة على حبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها .

عباد الله ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْاحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذَى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْى يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ** ﴾

* * *

بين الحج والزواج

الحمد لله رب العالمين يارب ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فأنت علينا قادر . الطف بنا فيما جرت به المقادير إنك يا مولانا على ما تشاء قدير . اللهم اجبر كسرنا . اشف كل مريض وارحم كل ميت . آمين .... آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، إذا أحب الله عبدا ابتلاه ، فإذا صبر اصطفاه ، فإذا رضى اجتباه ... مر أحد الناس بعبد من أهل البلاء فقد عينيه وشلت يداه ورجلاه ، فسمعه يذكر الله ويقول : الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه ، وصل يالله على سيدنا محمد .. فقال له الرجل : يا عبد الله عجبت لك مما عافاك الله مما ابتلى به كثيرا من خلقه ؟ فقال له العبد الصابر ؛ وهب لى لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وجسدا على البلاء صابرا ...

لا إله إلا الله . هكذا فاقد العينين يذكر الله بذكر عجيب . العينان ذهبتا والله تعالى يقول فى الحديث القدسى الجليل : « إذا ابتليت عبدى بفقد حبيبتيه ــ يعين عينيه ــ فصبر ، لم أجد له جزاءً إلا الجنة . العينان ذهبتا ، واليدان شلتا والرجلان شلتا ومع هذا يحمد الله ويصلى على رسوله

إلهى

مازلت أعرف بالإساءة دائما ... ويكون منك الصفح والغفران
لم تنتقصنى إن أسأت وزدتنى ... حتى كأن إساءتى إحسان
منك التفضل والتكرم والرضا ... أنت الإله المنعم والمنان

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله وهو نائم على فراش الموت قال ثلاث كلمات : ماذا قال الحبيب كان يمسح الوجه الشريف بماء بارد ويقول لا إله إلا الله سبحان الله إن للموت لسكرات . اللهم هون على سكرات الموت .

الحبيب . خير خلق الله ينام على فراش سننام عليه جميعا .

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الحياة كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

الحبيب على فراش الموت يقول : لا إله إلا الله سبحان الله : إن للموت لسكرات . ثم يدعو الله فيقول اللهم هون على سكرات الموت . فماذا نفعل نحن وقد سودنا الصفحات ؟

سيدى أبا القاسم يا جلاء بصرى يا ذهاب همى وغمى وحزنى . يا أبا الزهراء . أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ومحوت الظلمة ، وكشفت الغمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين . صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .. أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة .

بين الحج والزواج نعيش اليوم لنتعرف رأى الإسلام . الحج أولا أم الزواج ؟ ويجيب عن هذا سيد المرسلين فى الحديث الشريف فيقول : يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ؛ وعلى هذا فإن الزواج قد يكون واجبا ، وقد يكون مستحبا .

إذا كان الشاب يمتلك القدرة على الزواج . القدرة المالية ، والقدرة على أداء الحقوق الجنسية ، وكان يخشى على نفسه الوقوع فى الزنا ، فقد أصبح الزواج فى حقه واجبا ، وبناء على ذلك يقدم الزواج على الحج . لماذا ؟ لأن الزواج هنا يعتبر العلاج كى لا يقع فيما حرم الله . أما إذا كانت المقدرة المالية موجودة ولكن الشاب يملك نفسه ويستطيع أن يكبح جماح نفسه ولا يخاف على نفسه الزنا فالزواج هنا مستحب له ، ولذا يقدم الحج ؛ لأن الحج واجب والزواج هنا أصبح مستحبا . فيتقدم الواجب على المستحب .

أما إذا خشيت الوقوع فى الزنا ، فقد أصبح الزواج واجبا فيقدم ، والرسول صلى الله عليه وسلم يعالج النفس علاجا حكيما فهو الذى يقول : لو خشيت أن ألقى الله بشئ لخشيت أن ألقى الله عزبا .

هذا دليل على عظمة الإسلام ونقائه ودليل على صفاء الإسلام ووفائه

فالإسلام كالنار الهادئة التى تقتل الجراثيم ولكنها لا تحرق المريض ، وكالهواء الهادىء الذى يدفع الشراع ولا يغرق المركب ، لأن الإسلام شريعة من خالق الأرض والسماوات العلا . يقول لك قدم الزواج على الحج إن خشيت الوقوع فى الجرائم لماذا ؟ لأن الإسلام لم يسمح للشهوة الجنسية أن تتسرب من العبدإلا فى حالة الزواج والزواج لا غير ، فهو المنفذ الوحيد لقضاء الشهوة . ومن ثم فإن النبى صلى الله عليه وسلم ينادى ويقول : « الزنا يورث الفقر » ويقول بشر الزانى بخراب بيته ولو بعد حين .

وإذا كان الإسلام قد حرم الزنا ، فإنه حرم ما يدعو إلى الزنا ، فالخلوة بالمرأة الأجنبية حرام : قال الحبيب عليه الصلاة والسلام . ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما . قال أحد الصحابة : ولو كانت المرأة صالحة يا رسول الله ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : ولو كانت المرأة مريم ابنة عمران

اسمعوا يا سادة . لو خلا بالمرأة أجنبى عنها ، ولم ينظر إليها ولم يرتكب شيئا فإن مجرد الخلوة قد أوقع صاحبه فى الإثم ، ولو كان رجلا صالحا ، ولو كانت المرأة صالحة .

اسمع أخا الإسلام إلى قول عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهويقول « لا تخلون بامرأة ولو كنت تحفظها القرآن الكريم » . سبحان الله مجرد الخلوة ، حتى ولو كنت تحفظها القرآن يجعلك ترتكب بهتانا وإثما مبينا ....

القرآن الكريم الذى جعل الله قراءة كل حرف منه بعشر حسنات حتى أنك لو قلت بسم الله الرحمن الرحيم كان لك بها مائة وتسعون حسنة لأن البسملة بها تسعة عشر حرفا ، ولك بكل حرف عشرة حسنات . هذا القرآن مع جلاله ومع بهائه ومع كماله لو خلوت بامرأة تحفظها القرآن فى خلوة ؛ فإن الله غاضب عليك .

يالله لمجتمع أصبحت الخلوة فيه شيئا منتشرا ، لا يخجل منه ، نعم لا يخجل منه مع أنه حرام .. الخلوة حرام ، والقبلة حرام ولمس الأجنبية حرام حتى إن الحبيب عليه الصلاة والسلام لم يضع يده فى يد امرأة إلا أن تكون ذات محرم فلا يصح للرجل أن يضع يده فى يد المرأة الأجنبية بحجة أن يصافحها أو يسلم عليها

وهذا بلاء بل وباء بل خروج على منهج الله ؛ قال الحبيب عليه الصلاة والسلام « لأن يضرب أحدكم بمخيط فى رأسه ، فيسيل دمه خير له من أن يضع يده فى يد امرأة لا تحل له . وضع الرجل يده فى يد امرأة بحجة المصافحة أو السلام عليها حرام . وأنا أقول هذا الكلام وأعلم أنه غريب غرابة اليتامى على موائد اللئام لأن المجتمع لم ين على تعاليم الله ، وتعاليم حبيبه ومصطفاه .

اسمعوا هذه الأحكام : الخلوة بالأجنبية حرام . لمس الأجنبية حرام تقبيل الأجنبية حرام ، وضعك يدك فى يد امرأة لا تحل لك : أى لم تكن زوجتك ولا أمك ولا أختك ولا عمتك ، ولا خالتك ، ولا ابنة أخيك ، ولا ابنة أختك أى لم تكن ذات محرم . إذا وضعت يدك فى يد امرأة ليست ذات محرم حرام .

لماذا لأن يد المرأة جزء من جسمها ، فإذا وضعت يدك فى يدها فكأنك لمست جسمها ، واللمس حرام . اسمع معى مرة أخرى ما قاله سيد الأنبياء والمرسلين « لأن يضرب أحدكم بمخيط فى رأسه فيسيل دمه خير له من أن تمس يده يد امرأة لا تحل له » ولذلك لما دخل النبى مكة فاتحا ، وجاءت النساء يبايعنه أمر رسول الله هند زوجة أبى سفيان أن تضع يدها فى يد كل امرأة تبايع بالنيابة عن رسول الله ، ولم يضع يده فى أيديهن ، جعل هناك مندوبة فى البيعة تضع يدها فى يد المبايعة بالنيابة عن أطهر مخلوق وأعظم مخلوق سيدنا محمد . وإنما حرم الله القبلة ، والخلوة والنظرة واللمس ، لماذا ؟ لأنها جميعا مقدمات الزنا ، قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ ولم يقل ولا تزنوا . لو قال ولا تزنوا لكان المنهى عنه هو الزنا وحده لا غير أما قوله تعالى ولا تقربوا فإن النهى هنا منصب على قرب الزنا ، لا على الزنا نفسه . النهى هنا منصب على مقدمات الزنا وهو الخلوة والنظرة واللمسة والقبلة فإذا كان الله نهى عن مقدمات الزنا فمن باب أولى يكون قد نهى عن الزنا ذاته ، ومن هنا فإن من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلى ظله : « رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله » .

إن رجلا ألجأه المبيت إلى غار فى جبل فسقطت صخرة فسدت عليه الباب فقال لأذكرن الله بشيء يفرج الله به كربى وكان معه اثنان غيره . فقال اللهم إنك تعلم إنه كانت لى ابنة عم ،وكنت أريد الزواج منها ، ولكنها أبت على ،جاءتنى

ذات يوم تطلب منى دنانير فقلت لها : لا أعطيك إلا إذا مكنتنى من نفسك فذهبت إلى غيرى وطلبت منه أن يمدها بالمال . فأبى عليها ، فعادت إلى ـــ كاسفة البال قليلة الرجاء ـــ وقالت يا ابن العم أعطنى من مال الله ، قلت لها : حتى أتمكن منك ، فقالت يا أبن عمى تعال وافعل ما تشاء . وقبل أن اتمكن منها قالت لى : يا ابن عمى أغلق الأبواب قلت لها : لقد أغلقتها ، قالت لى لقد بقى باب لم تغلقه . قلت لها وأين هو ؟ قالت باب من لا يغفل ولاينام . قال الرجل فوقفت فى مكانى ، وقد خشع قلبى لله رب العالمين قلت لها يا ابنة عمى قومى وخذى من مالى ما شئت فإنه هدية لك . اللهم إن كنت فعلت هذا ابتغاء مرضاتك ففرج عنا ما نحن فيه ، فزحزح الله الصخرة عن باب الجبل بسبب هذا العمل الصالح .

أيها المسلم أيها الشاب . تكثر الأسئلة حول العادة السرية أو ما يسميه فقهاء المسلمين الاستمناء باليد . كثيرا ما يأتى شباب مصفر الوجوه . إذا رأيته خيل إليك أنه خرج من عالم المقابر .

أبصرت هيكل عظيم فذكرت سكان المقابر
فكأنه هو ميت أحياه عيسى بعد عازر
قد كاد يهزمه النسيم وكاد تذروه الأعاصر
وتراه من فرط الهزال تكاد تتعبه المواطر
فانظر إلى أعضائه لم يبق فيها ما يظاهر

ولم يعد الأمر خفيا على أحد ، فليست العادة السرية بسرية ، فقدانتشرت المجلات التى تفتن العابد وتثير الغرائز والكوامن حتى أصبحت رائحة الزنا تفوح

احفظ منيك ما استطعت فإنه ماء الحياة يصب فى الأرحام

يسأل الشباب عن ممارسة هذا العمل الشنيع القاتل هل يجوز للشباب أن ينزلوا منيهم بأيديهم ؟ والجواب على ذلك نفهمه من قول الله جل جلاله ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِم حَافِظُون إلَا عَلَى أَزْوَاجِهِم أَو مَا مَلَكَتْ أَيمَانُهُم فَإِنَّهُم غِيرُ مَلُومِينَ** ﴾ ويكون بذلك قد أغلق كل طرق الحرام ، فطرق الحرام مسدودة ممنوعة قال تعالى : ﴿ **فَمَن ابْتَغَى وِرَاء ذَلِكَ فَأولَئِكَ هُمْ الْعَادُونَ** ﴾ أى المعتدون على حدود الله أى إن الذى يطلب غير الزواج أو ملك اليمين يكون قد اعتدى على حدود الله .

وفى الوقت الذى ينادى الإسلام فيه بهذا النداء نرى مجلس العموم البريطانى ومجلس الكنائس البريطانى يبحثون الشذوذ الجنسى ، يبيحون للرجل أن يأتى الرجل ، والحبيب يقول : « إذا رأيتم من يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » ويقول أيضا : « ملعون من عمل عمل قوم لوط » ويقول أيضا « ملعون من أتى امرأة فى دبرها » إذا فعمل قوم لوط لعنة فيجب علينا أن نتدبر ونتذكر .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلٌّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

مَعَ نبى الله يوسف

الحمد لله رب العالمين : يارب . نسألك الهدى والتقى . يارب نسألك العفاف والغنى ، يارب لا تدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبا إلا غفرته ، ولا كرباً إلا فرجته ، ولا عيبا إلا سترته . ولا مريضا إلا شفيته . ولا ميتاً إلا رحمته ، ولا سائلاً إلا أعطيته ، ولا غائبا إلا رددته ، ولا مظلوما إلا نصرته ، ولا ظالما إلا قهرته ، ولا حاجة إلا قضيتها يا أرحم الراحمين . آمين

وأشهد أن لا إله إلا الله ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلَامُ ﴾ . لما التقى يعقوب عليه السلام بابنه يوسف بعد أربعين سنة ، قال يوسف لأبيه يا أبت لم أكثرت على من الحزن حتى أبيضت عيناك . ألم تكن تعلم يا أبتاه أن الله إن لم يجمع بيننا فى الدنيا فسيجمع بيننا يوم القيامة ؟ فلم الحزن ؟ قال يعقوب يا بنى والله ما كنت أبكى على الفراق إنما كنت أبكى خوفا عليك أن تغير دين الإسلام فيفرق الله بينى وبينك يوم القيامة .

وإذا رميت من الزمان بشدة ... وأصابك الأمر الأشق الأصْعَبُ
فاضْرَعْ لِرَبِّك إنّه أدْنَى لِمَنْ ... يَدْعُوهُ من حبْـل الوريد وأقرب

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله يقول : « رأيت ليلة المعراج فى السماء الثالثة الكريم ابن الكريم ابن الكريم . يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم ، فإذا هو قد أعطى شطر الجمال كله » سيدى يا أبا القاسم يا رسول الله . إذا كان يوسف قد أعطى شطر الجمال كله فإن الله أعطاك الجمال كله إلا أن النساء لم تفتتن بك كما أفتتنت بيوسف لأن الله قد كسا جمالك يا محمد بالوقار والجلال .

يا سيدى يا رسول الله معذرةً ... إذا كبا فيك تبيانى وتعبيرى
ماذا أوفيك من حَقٍّ وَ تكْرُمَةٍ ... وأنت تعلو على ظنى وتقديرى

أبا القاسم يا رسول الله أشهد أنك رسول الله وأشهد أنك قد بلغت الرسالة

وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ومحوت الظلمة وكشفت الغمة ، وجاهدت فى الله حق جهادِه حتى أتاك اليقين ، صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة . نعيش اليوم مع نبى الله يوسف فى سجن مصر ، ونود أن نعرف أولا لماذا دخل يوسف السجن ؟ والسؤال مرير والإجابة عليه أمر من الحنظل دخل يوسف السجن لأنه لم يرض أن ينام على الحرير أميرا فى معصية الله ورضى أن ينام على الحصير سجينا فى طاعة الله ... ولو كانت هناك عدالة لكان يوسف جديرا بأن يكافأ على عفته ونزاهته . لكنه دخل السجن لأنه أصر على أن يطيع الله . إنها مؤامرة نسائية ، والرسول العظيم محمد عليه الصلاة والسلام يقول : « ما تركت بعدى فتنة أشد على الرجال من النساء » .

وإذا رجعنا إلى محاكمة يوسف رأينا يوسف وقد استحق من الله فضلاً عظيما يقول عنه رب العزة ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكماً وَعِلْماً وَكَذَلِكَ نَجْزِى المُحْسِنِينَ** ﴾(١)

تدور الأيام وينشأ يوسف فى قصر العزيز وإذا بأمرأة العزيز تدخله بابا من بعده باب من بعده أبواب ، وتغلق الأبواب جميعها ، وكان عندها صنم تعبده داخل هذه الغرفات ، فقامت وألقت على وجه الصنم غطاء فقال لها يوسف ماذا تفعلين ؟ قالت له يا يوسف أغطيه لأننى أستحى أن يرانى وأنا أراودك عن نفسك . قال لها سبحان الله عجبت لك . تستحين من صنم لا يسمع ولا يبصر ولا تستحين من الله السميع البصير .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

فقالت له ما أجمل عينيك يا يوسف قال لها هما أول مَا يسيل منى بعد الموت قالت له ماأجمل شعرك يايوسف قال لها هو أول مايتساقط منى بعد الموت قالت له ما أجمل جسمك يا يوسف ، قال لها هو أول ما يأكله الدود منى بعد الموت .

---

(١) يوسف ٢٢ .

قالت له : « هيت لك » يعني تهيأت لك فأقبل عَلَىّ . ﴿ **قال مَعَاذَ اللهِ إنه رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاى إنه لا يُفْلِحُ الظَّالِمون** ﴾(١) . هى تقول : هيت لك وهو يقول معاذ الله أى ألجأ إلى الله ، واستغيث بالله ، واستعين بالله ، وأفر إلى الله ﴿ **وَرَاوَدَتْه التَّى هُو فِى بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِه ، وَغَلَّقَتِ الأَبْوابَ** ﴾(٢) وراودته بمعنى طلبته برفق وَلين ومُرَاوَدة ، وقال التى هو فى بيتها ولم يصرح باسمها ستراً عليها وعدم جَرح لها ؛ لأن القرآن يستر ولا يكشف . وقال التى هو فى بيتها ولم يقل صاحبة البيت ليبين لك أنه كان فى بيتها ضيفا ، وكان الواجب عليها أن تكرم ضيافته « هو فى بيتها » . وبدلت الإكرام بالوقوع فى المعصية . وقالت هيت لك أى أقبل فقد تهيأت لك . وكان ذلك بعد ما غلقت الأبواب ، وكانت الأبواب كثيرة ولم يكن بابا واحدا ، وقال « غلقت » ولم يقل « أغلقت » لأن هناك فرقا بين الإغلاق والتغليق ، لو أنه قال أغلقت لأفاد ذلك أنها ردت الأبواب ردا خفيفا ، وإنما قال غلقت ليفيد أنها ثبتت الإغلاق تثبيتاً مُحكما بحيث لا يقوى على فتحها أحد إلا الله جل فى علاه .

وقالت : هيت لك . قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى ثم أدبها بعد ذلك وقال ﴿ **إنه لا يُفلِحُ الظالمون** ﴾ . فماذا تتوقع هى بعد ذلك ؟ إنها نزلت من برجها القاصى لتتمرغ تحت قدمى عبد مملوك لها لكنه أبى عليها ، ورفع رأسه شامخا عليها . وكأنه يقف فى قمة علياء ينظر إليها وهى فى حضيض الغبراء كأنه يتبوأ مناط الثريا ، ويتربع على قبة الفلك لينظر إليها وهى تتمرغ فى تراب المعصية ، تتمرغ فى طين السيئات .... فماذا تتوقع يا مسلم ؟ أن تضربه تأديبا . فَهَمَّت به ضرباً ، وهمَّ بها دفاعا عن نفسه ، همت أن تضربه ؛ لأنه ضايقها ؛ ولأنه أخرج حفيظة نفسها ، ولأنه كسر أوامرها ؛ ولأنه تمرد على طاعتها . فماذا يكون الموقف ؟

الموقف يمر سريعا وزوجها على وشك الحضور ويوسف يفسد عليها خطتها ، همت به ضربا وهم بها دفاعا عن نفسه . ولما حاولت أن تضربه ، وحاول أن يدافع عن نفسه ، إذا بربك سبحانه وتعالى يفتح الأبواب بقدرته ، إذا

---

(١) يوسف ٢٣ .

(٢) يوسف ٢٤ .

بالأبواب تفتح بقدرة من لا يغفل ولا ينام .

﴿ وَمن يَتقِ الله يجْعِلْ له مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقْه مِن حيثُ لَا يحْتَسِب ، وَمَن يَتوكْل عَلِى الله فَهُو حَسْبُه إِنّ اللهَ بالغُ أمْره قَد جَعَلَ الله لِكُل شَىء قَدراً ﴾(١) .

حاولت أن تضربه تأديبا ، وحاول أن يدافع عن نفسه شرعا ، لكن ربك حل المشكلة حلا عادلا وسريعا ففتح الأبواب بقدرته ، وإذا بيوسف يجرى أمامها وهى تجرى وراءه ، فقطعت قميصه من خلفه لأنها رأت زوجها لدى الباب واقفا ... قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا . بعد هذا كله . بعد **﴿ إِنَّه رَبِّى أَحْسَن مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْظالِمُونَ ﴾**(٢) بعد أن فتحت الأبواب بقدرة الله . قالت **﴿ ما جزاء من أراد بأهلك سوءً إلاَّ أن يُسُجَنَ أو عَذَابٌ أليمٌ ﴾**(٣) جَعَلَت من نَفْسِها قاضيا وخصما . إنَّه خصم فى القضيه فكيف تكون قاضيا ؟ ومع ذلك كان القياس يقتضى أن تقول : ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يقتل . لكنها لم تطالب بقتله لأن عندها أملاً طويلاً أن تلين رأسه فيسمع كلامها بعد ذلك . لم ترض أن تطالب برأسه لأنها لم تفقد الأمل فى مراودة يوسف فقالت : « إلا أن يسجن أو عذاب أليم » فماذا قال العزيز سيدها وزوجها نظر إلى يوسف فقال يوسف : هى راودتنى عن نفسى . ولكن من يسمع لكلام المظلومين الضعفاء .. أمعك شهود يا يوسف ؟ بعد جلسة الاستراحة نتابع إن شاء الله .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

---

(١) الطلاق ٢ ، ٣ .

(٢) يوسف ٢٣ .

(٣) يوسف ٢٥ .

الخطبة الثانية

الحمد الله رب العالمين . وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين . معشر السادة الأعزاء نتابع معا الاستماع إلى شهود البراءة ليوسف . وكان الشهود خمسة . شهد له بالبراءة أحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين وأعدل العادلين وهو الله . قال تعالى : ﴿ **كَذِلك لنصرفَ عنه السوءَ والفَحْشَاءَ** ﴾ كذلك . أى فقلنا مثل ذلك لنصرف عنه . وهناك فرق دقيق بين قول الله تعالى : ﴿ **كذلك لِنَصْرِفَ عنه . السُّوءَ والفَحْشاءَ** ﴾ وقولنا « كذلك لنصرفه عن السوء والفحشاء » فرق دقيق جدا . لو قال تعالى كذلك لنصرفه عن السوء والفحشاء لكان يوسف مندفعا إلى السوء والفحشاء والله يمنعه . أما معنى قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء فمعناها أن يوسف ثابت فى مكانه لا يتحرك والسوء والفحشاء يحاولان أن يقرباه فصرفنا السوء والفحشاء عنه . يوسف ثابت ثبات الجبال الشامخات لا تحركه العواصف ولا تؤثر فيه الرياح القواصف ثابت . تقول له : ما أجمل عينيك ! فيقول هما أول ما يسيل منى بعد الموت . فتقول : ما أجمل شعرك فيقول هو أول ما يتساقط منى بعد الموت . فتقول ما أجمل جسمك فيقول : هو أول ما يأكله الدود منى بعدالموت : تقول له : هيت لك وهى اسم فعل أمر بمعنى أقبل . وفى قراءة أخرى هيئت لك بمعنى تهيأت لك فأقبل على . قال معاذ الله ... يوسف ثابت ثابت ، والسوء والفحشاء تحاولان أن تقرباه ، فصرف الله عنه السوء والفحشاء ، ولم يصرفه هو عن السوء والفحشاء . لأنه متمسك بحبل الله المتين . إذا فأول من شهد ببراءة يوسف هو الله رب العالمين .

وشهد أبليس نفسه . إبليس يشهد ببراءة يوسف فما نص شهادته . قال الله تعالى فى شأن يوسف : إنه من عبادنا المخلصين ولم يقل من عبادنا المؤمنين أو

المحسنين أو المتقين ؛ لأن إبليس قال لرب العزة : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ . وإذا كان يوسف من عبادنا المخلصين فلا سلطان للشيطان عليه حسب إقرار الشيطان نفسه وإذا كان الشيطان لا سلطان له على يوسف فكيف يعصى يوسف ربه ؟!

﴿ **إنه لَيْسَ له سلطانٌ على الذين آمنوا وعَلَى رَبِّهم يَتَوكَّلون** ﴾[1] ﴿ **إنه من عبادنا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ والمُخْلَصِين بفتح الَّام معناها الذين أخلصهم الله واصطفاهم له . أما المخلصين بكسر اللاَّم فمعناها أنهم الذين أخلصوا دينهم لله واعتصموا بالله ، وهذا هو الفرق بن المخلِصين والمخلَصين .

المخلِص هو الذى أخلص لله ، والمخلَص هو الذى أخلصه الله له .

أما الشاهد الثالث فهو ابن أخت امرأة العزيز ، وهو غلام لم يتجاوز شهراً من عمره . كان فى المهد صبيا ، وإذا به يصيح بأعلى صوته ، لما رأى العزيز واقفا أمام يوسف عليه السلام نادى الغلام الرضيع : ﴿ **إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل فَصَدَقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصُه قُدَّ من دُبُر فكَذَبَت وَهُوَ من الصادقين** ﴾[2] . إن كان قميصه قطع من الأمام فهى صادقة وهو كاذب ؛ لأنه يريد الهجوم عليها وهى تمنعه فقطعت فميصه من الأمام . وإن كان فميصه قطع من الوراء فهى كاذبة وهو صادق لأنه حاول أن يفر من أمامها فجرت وراءه فطعبت فميصه من الخلف . بينة ليت بعدها بينة ودليل قاطع ، وشهادة صادقة ، ويشنف العزيز سمعه من الذى يتكلم داخل الحجرة ، وليس داخلها إلا غلام رضيع هو ابن أخت امرأة العزيز وإذا بهذا الغلام هو الذى ينطق من الذى أنطقه ؟ أنطقه من لا يغفل ولا ينام . أنطقه الله الذى أنطق كل شيء .

وكان الواجب على العزيز أن يَطوى الملف وأن يحكم ببراءة يوسف لكنه كان رجلا ضعيفا أمام زوجته فلما رأى قميصه قُدَّ من دُبر أى قطع من الخلف قال إنه من كيدكن . أى إن ما حدث وما جرى من كيدكن ولاحظ أن « من » تُفيدُ التبعيض والتجزئة . إن كل الذى حدث جزءً من كيدكن . أما كيدكن فعظيم . ﴿ **إنهُ منْ كَيْدِكُنَّ إنَّ كَيْدَكُنَّ عَظيم** ﴾ .

(١) النحل ٩٩ .

(٢) يوسف ٢٦ ، ٢٧ .

أما كيد الشيطان فيقول فيه مولانا ﴿ **إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفًا** ﴾ .

وهذا عجب . امرأة تدخل يوسف السجن وامرأة أخرى تنجى موسى من ذبح فرعون .

والشاهد الرابع هو امرأة العزيز نفسها قالت : ﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدْتُه عن نفسه فاسْتَعصَم** ﴾[1] . وهكذا أقرت على نفسها والإقرار سيد الأدلة لأنه حجة قاصرة على المقر . ﴿ **وَلَقَدْ رَاودَتُه عَنْ نفسِه فَاسْتَعْصَمَ** ﴾ طلب العصمة ، وطلب اللجوء إلى الله واستمسك بحبل اللهِ المتين . ثم ماذا ﴿ **وَلئن لم يَفعل ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَاً مِن الصَّاغِرِينَ** ﴾[2] إن لم يسمع كلامى وما آمُرُهُ به ليدخلن السجن . فماذ قال يوسف . ﴿ **قَالَ رَبِّ السجنُ أحبُّ إلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إليه** ﴾[3] . إنما قال مما يدعوننى[4] إليه ولم يقل تدعونى لأن التى دعت إلى الخطيئة ليست واحدة ، وإنما دعت النسوة كلهن يوسف إلى الخطيئة ألم تقرأ قول الله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أكْبَرْنَهُ وقَطَّعْنَ أيْدَيَهُنَّ ، وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَراً . إَن هَذَا إلا مَلك كَرِيم . قَالتْ فَذلِكُنَّ الْذِى لُمْتُنَّنِى فِيه ، وَلَقَد رَاودْتُه عَنْ نفسه فاسْتَعْصَمَ** ﴾[5] قالت النسوة أطع سيدتك يا يوسف فقال يوسف ﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أحبُّ إليَّ مما يَدْعُونَنى إليه** ﴾ وأنا الضَّعيف . موتٌ فى طاعة الله خير من حياة فى معصية الله .

أما الشاهد الخامس فقد شهد ليوسف وهو فى داخل السجن وهن النساء اللاتى قطعن أيديهن . فإن الرجل لما جاء إلى يوسف وقال يا يوسف أنا مبعوث الملك إليك . لقد حكم الملك لك بالإفراج فقم وارتد ثيابك لتقابل الملك . ولم يرض يوسف أن يلبى نداء الملك وقال للرجل المبعوث ارجع إلى ربك : أى إلى سيدك الملك واسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهم . إن ربى بكيدهن عليم .

(١ ، ٢) يوسف ٣٢ .

(٣) يوسف ٣٣ .

(٤) يدعوننى فعل مضارع مبنى على السكون لاتصاله بنون النسوة ونون النسوة فاعل ، ولا يصح أن تقول إنه فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل ؛ ذلك لأن الواو وهنا لام الكلمة (يَدْعون) على وزن (تفعلين) .

(٥) يوسف ٣١ ، ٣٢ .

وهكذا حرص يوسف على إظهار براءته ولم يرض أن يخرج من السجن وقال للمبعوث ﴿ **ارْجِعْ إلى رَبِّكَ فاسْأَلْهُ مَا بال النِّسْوَةِ اللاتى قَطَّعنَ أيديَهُنَّ إن رَبِّى بِكَيْدهِنَّ عَلِيمٌ** ﴾(١) الداعى هنا هو مبعوث الملك الذى جاء بالإفراج عن يوسف .

والنبى صلى الله عليه وسلم يقول عن نبى الله يوسف : « ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » يعنى لو دخلت السجن كما دخله يوسف وجاء مبعوث الملك يقول لى اخرج من السجن لخرجت من السجن وما لبثت فيه ساعة . أما يوسف جزاه الله خيرا فإنه لم يرض أن يخرج من السجن ، وقال للمبعوث ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن . إن ربى بكيدهن عليم . أسمعتم ماذا يريد المصطفى أن يقول ؟ . الداعى هنا هو مبعوث الملك وليس الداعى هنا هو امرأة العزيز الداعى هنا هو مبعوث الملك الذى جاء بقرار الإفراج عن يوسف لأن نص الحديث يقول : « ولو لبثت فى السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعى » لأن النبى محمدا يسأل الله العافية ؛ فالسجن فيه ابتلاء واختبار وامتحان ونحن عبيد إحسان ولسنا عبيد ابتلاء .

ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن ان ربى بكيدهن عليم . ورجع المبعوث إلى الملك وجمع الملك النسوة اللاتى قطعن أيديهن وسألهن سؤالا ما خطبكن إذ راودتُن يُوسف عن نفسه ؟ والشاهد الخامس قال : ﴿ **قُلْنَ حَاش للهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ** ﴾ . « ما » نافية ، « علمنا » فعل وفاعل ، وعليه جار ومجرور ومن حرف للتوكيد وسوء مفعول به والتقدير ما علمنا عليه سوءا والنكرة إذا وقعت بعد النفى تفيد العموم . ما نافية وسوء نكرة والنكرة بعد النفى تفيد العموم . فما بالك إذا دخلت من على النكرة يعنى ما علمنا عليه أى سوء .

قالت امرأة العزيز شهادة أخرى من امرأة العزيز ببراءة يوسف ، ﴿ **قالت امْرَأَةُ الْعَزِيز الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ** ﴾ ظهر الحق جليا . ﴿ **أنا رَاوَدْتُه عن نَفْسِه وإنه لَمِنَ الصَّادقِين** ﴾ هكذا « أنا » وهى تفيد القصر والحصر . أنا راودته عن

---

(١) يوسف ٥٠ .

نفسه وإنه لمن الصادقين .. يامُبرِّىء المظلومين . يارب . يامُنَجِّى الضعفاء يارب . وقد أكدت شهادتها له بصدقه بعدة مؤكدات « إنه لمن الصادقين » فأكدَتْها بإن واللام واسمية الجملية هكذا لتنفيذ إفادة قاطعة حاسمة بأن يوسف لا يشك فى براءته أحد .

كل ذلك تقوله امرأة العزيز عن يوسف ،وهو غائب فى سجنه بقول لم أغير شهادة ولم أغير كلاما ، ﴿ **لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لا يَهْدِى كَيْدَ الخائِنِين . وَمَا أُبَرِىءُ نَفْسِى** ﴾[1] هذا الكلام من كلام امرأة العزيز وليس من كلام يوسف لأن يوسف مازال فى السجن ﴿ **وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِى إنَّ النَّفَسَ لَأَمارَةٌ بالسّوءِ إلا مَارحِمِ رَبّى إنَّ رِبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[2] ويوسف لم يقل « ومـا أُبـرِّىء نفسى » لأنه لو قالها لكذب الله تعالى فى شهادته والله قد برأه ، فكيف يبرؤه الله وهو يقول وما أبرى نفسى . هذا تكذيب لشهادة الله ، ومعاذا الله أن يكون كاذبا . أما هذه العبارة فإنها من كلام امرأة العزيز نفسها فهى التى قالت وما أبرىء نفسى .

يقول الحبيب المصطفى رأيت الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم وفى قول الحبيب صلى الله عليه وسلم ووصفه ليوسف بأنه الكريم ابن الكريم شهادة وبراءة ليوسف عليه السلام .

أسأل الله العظيم أن ينصر الإسلام وأن يعز المسلمين . اللهم انصر ديننا اللهم أعل كلماتنا اللهم وحد قلوبنا . اشف مرضانا . ارحم موتانا أهلك أعداءنا . بلغنا مما يرضيك آمالنا .

اكثروا من الصلاة والسلام على سيدى وحبيبى ونور قلبى محمد طبِّ القلوب ودوائها ، وعافية الأبدان وشفائها ، ونور الأبصار وشفائها .

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون .

(١ ، ٢) يوسف ٥٢ ، ٥٣ .

مع نبى الله موسى

الحمد الله رب العالمين . يارب لا تدع لنا فى هذا اليوم العظيم ذنبا إلا غفرته ، ولا كربا إلا فرجته ولا عيباً إلا سترته ولا دينا إلا أديته ولا مريضا إلا شفيته ، ولا غائبا إلا إلى أهله غانما سالما رددته اللهم استر عوارتنا وآمن روعاتنا ، اللهم لاتفضحنا بين خلقك ، اللهم لاتخزنا يوم العرض عليك اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك يانعم المولى ويانعم النصير غفرانك ربنا وإليك المصير آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله من أراد أن يُكلم الله تعالى فليدخل فى الصلاة ومن أراد أن يُكَلِّمَه الله تعالى فليقرأ القرآن . أتدرى يا أخا الإسلام ماذا يقول الله وأنت تقرأ سورة الفاتحة اسمع إلى قوله تعالى فى الحديث القدسى الجليل : « إذا قال عبدى بسم الله الرحمن الرحيم قال الله ذكرنى عبدى ، فإذا قال : الحمد لله رب العالمين ، قال الله حمدنى عبدى ، فإذا قال الرحمـن الرحيم قال الله أثنى علىَّ عبدى فإذا قال : مالك يوم الدين قال الله مجدنى عبدى ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله منى العون ومنك العبادة يا عبدى ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله سألنى عبدى ولعبدى ما سأل .

إلهى أستحى أن أسألك وأنا أنا . ولكن كيف لا أسألك وأنت أنت ؟

إن كانت ذنوبى لها حد وغاية ، فإن عفوك لا أول له ولا نهاية .

ابن آدم : أتدرى ماذا تقول الطير يوم الجمعة وهى تسبح ؟ إنها تقول وهى تسبح يارب سلم يارب سلم خشية أن تقوم القيامة .

تَزَوَّد من التَّقوى فإنَّك رَاحل ... وسارع إلى الخيرات فيمن يُسارِعُ
فما المالُ والأهلُون إلا وَدَائِع ... ولابُدَّ يَوْماً أن تُرَدَّ الودَائِعُ
أتسْمَعُ الطَّيرَ وطَالَ الصياح ... وقَدْ بَدَا فى الأُفقْ نُورُ الصبَّاح
ما صاح إلا بَاكِياً ليلــة ... وَلَّت من العمر السريع الرواح

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله كان ينساب فى أخلاقٍ أرق من النسيم ، وأنضر من صفحة الروض الوسيم ، يقول صاحب القلب الرحيم والخُلُقِ العَظيم « إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم » . أَدَبٌ وَخُلق . فَمَنِ الذى أدبه ، يقول الحبيب : أَدَّبَنى رَبِّى فَأَحْسَنَ تأديبى ، إن الذى أدبه هو الله سيدى يا أبا القاسم يا رسول الله يا جلاء بصرى ، وذهاب هَمِّى وحُزْنى ، صلى عليك الله يا عَلَمَ الهدى ما هَبَّت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فيا حُماة الإسلام وحراس العقيدة نحن اليوم ضيوف على سيدنا موسى بن عمران كليم الله وأمه يُوكَابِد . نَعَمْ مع سيدنا موسى الذى قال له موْلانا ﴿ **وأنا اخترتك** ﴾(١) وقال له ﴿ **وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحبَّةً مِنِّى** ﴾(٢) وقال له ﴿ **ولِتُصْنَع عَلى عَيْنى** ﴾(٣) وقال له : ﴿ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾(٤) وقال له ﴿ **وَكَانَ عِنْدَ الله وَجِيها** ﴾(٥) . أما حبيبه مُحمد فقال له ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاك إلا رحْمَةً للعالِمين** ﴾(٦)

﴿ **إنا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبشِّراً وَنَذِيراً ، ودَاعِياً إِلى الله بِإِذْنِهِ وسِرَاجاً مُنِيرَاً** ﴾(٧)

وقال فى الحديث القدسى : وعزتى وجلالى يا محمد لو سلك إلى كل طريق واستفتحوا على كل باب ما فتحت لهم حتى يأتوا خلفك يا محمد .

مع موسى وأمه نعيش . لماذا ؟ لأن القرآن الكريم أشار إلى مولد الكليم ليبين لك أن الإله إذا قضى فقضاء الله نافذ وليُبَين لك أن الله إذا حكم فلا معقب لحكمه ، وليبين لك أن الله إذا أراد قضى المراد ولا جدال فيما أراد .

موسى نشأ فى جو اختلطت فيه القيم ، ولد فى مصر فى عصر رجل قال لشعب مصر ﴿ **أنا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾(٨) ثم زاد الأمر طغيانا وبهتانا وكذبا وضلالا

(١) طه ١٣ .
(٢ ، ٣) طه ٣٩ .
(٤) طه ٤١ .
(٥) الأحزاب ٦٩ .
(٦) الانبياء ١٠٧ .
(٧) الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ .
(٨) النازعات ٢٤ .

فقال ﴿ يَأَيُّها الملأ ما عَلِمْتُ لَكُمْ من إلهٍ غيرى ﴾[1] . فماذا كا موقف الشعوب ؟ كان عليها أن تناقشه الحساب وكان عليها أن ترده إلى صوابه . ولكن الله سجل لنا هذه الحقيقة لتلك الشعوب عندما قال تعالى : ﴿ فاستَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوه ؛ إنَّهُم كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ، فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِين ﴾ وتلك عاقبة كل شعب يصفق ، ويستعرض حناجره ولا ترى فى الحياة تقدما ولا رفاهية ولا سعادة ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا كان أمراؤكم خياركم ، وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض أولى بكم من بطنها ، وإذا كان أمراؤكم شراركم . وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض أولى بكم من ظهرها » صلى عليك الله يا سيدى ، وأنت توجه هذا الخطاب إلى أمة الإسلام من أقصاها إلى أقصاها ومن شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها .

فماذا فعل فرعون ؟ أصدر فرعون قرارا إلى أعوانه وشياطينه ويقضى هذا القرار بإحضار كل مولود ذكر من بنى إسرائيل ليذبحه ويرى دمه . ونفذ فرعون تهديده ، فلما أسرف فرعون فى الذبح أشار عليه بعض مستشاريه أن ينفذ هذا القرار عاما وأن يوقفه عاما حتى يجدوا الخادمين من بنى إسرائيل وولد هارون فى عام وقف القرار ، وبذا نجا هارون من الذبح ، وولد موسى فى العام الذى ينفذ فيه الذبح ، ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء فى السماء ولا فى الأرض . اعلموا هذه الحقيقة جيدا يا إخوة الإسلام ما كان لك فسوف يأتيك ، وما قدر على ماضغيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فامضغه بعزة . ولو ركب ابن آدم الريح ليفر من رزقه لركب الرزق البرق حتى يقع فى فم ابن آدم ، اعلموا هذا لنثق فى الله ، لو قوى الإيمان ما اهتزت الثقة ، ما كان لك فسوف يأتيك ، ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت وَلَو كنتم فى بُروج مُشَيَدَة ﴾ يا فرعون لا تتعب نفسك ولا ترسل رجالك ، أنا الذى سأرسل بالطفل الوليد إلى قصرك وسوف يربى على عينيك ، وتجلسه على عرشك ، وسوف يضربك على وجهك ، وأنت لا تدرى من هو ؟ وسوف يأخذك إلى شاطىء البحر لتغرق هناك ، وسوف تقول له : أغثنى يا موسى فلن يغيثك وسوف أقول لموسى يا موسى لقد

(١) الزخرف ٥٤ ، ٥٥ .

استغاث بك فرعون سبعين مرة فلم تغثه وعزتى وجلالى لو استغاث بى مرة واحدة لوجدنى قريبا مجيبا .

ولد موسى وبعد مولده خافت عليه أمه ، وإذا بالحرس يبحث ويفتش عن موسى فماذا قال ربك لأم موسى . ﴿ **بَسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيم . طسم تِلْكَ آيات الكتابِ المُبين نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَبَأِ مُوسَى وفِرْعَوْنَ بالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، إنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فى الأرضِ وجَعَل أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُم يُذَبِّحُ أبْناءهم ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُم إنَّه كانَ مِنَ الْمُفْسِدِين ، وَنُرِيدُ أنْ نَمُنَّ على الَّذِينَ استُضْعِفُوا فى الأرضِ وَنَجْعَلَهم أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُم الوَارِثِين ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الأرْضِ وَنُرىَ فِرْعَوْنَ وَهامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم ما كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾(١) .

ولكم وقفت أمام قوله تعالى : ﴿ **إن فَرْعَونَ عَلَا فى الأرْضِ** ﴾ أردت أن أنظر إلى كلمة « علا » فوجدتنى أنظر إلى قمة شماء تنخلع الرقاب لرؤية ذراها فلما نظرت إلى قوله تعالى فى الأرض رأيت رأسى تنحنى إلى وهدة سحيقة لا أرى لها قرارا وهذا هو سر القرآن وعظمة جلاله علا فى الارض . ما هذا أينبغى لمن خلق من الطين أن يتكبر على الله رب العالمين علا تعطيك حرسا وايقاعا رتيبا يجعلك تحلق ببصرك فى آفاق الخيال الشاسعة فى الأرض . ما هذا ؟ هل الذى يعلو يعلو فى الأرض إن طريق العلو فى السماء .. إذا كنت من التراب فإن التراب إذا علا هبط وإذا كنت من الطين فإنك إذا قذفت قطعة من الطين فى أعلى الجو. هبطت بحكم قانون الجاذبية ، فبينك وبين الأرض جاذبية شديدة المغنطة أو ما قرأت قوله تعالى : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إلى الأرْضِ** ﴾(٢) لم يقل تثاقلتم وإنما قال أثاقلتم بقلب التاء ثاء وإدغام أحد المثلين فى الأخر . هذا اللفظ بثقله ، وبقوة جرسه يفيدك بأن بيننا وبين الأرض مصالحة وجاذبية شديدة المغنطة .

ما كان ينبغى لمن خُلق من الأرض أن يَعْلُوَ فى الأرض أبدا .

أول جرم ارتكبه فرعون « إن فرعون علا » والجرم الثانى « وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم » . الجرم الثالث « إنه

---

(١) القصص من ١ ، ٦ .
(٢) التوبة ٣٨ .

كان من المفسدين » .

ومع أن فرعون يذبح لم يأته العقاب بل لم يأته رسول فى نفس الوقت ، وإنما كان الرسول الذى سيرسل إليه طفلا نجاه الله من الذبح ... حِلْمٌ وَتَفَضُّل من الله .

﴿ وَأَوْحَيْنَا إلى أُمِّ مُوسَى أن أَرْضِعِيه فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْه فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ ﴾(١) .

وكان الوحى إلى أم موسى إلهاما وليس وحى رسالة فما بَعَثَ الله أبدا نبيا أنثى .

فى الآية المباركة السابقة « أمران وخبران ونهيان وبشارتان » ثمانية أساليب فى آية واحدة لا تزيد عن سطرين فى المصحف .

الخبر الأول « وأَوْحينا » الخبر الثانى « فإذا خِفتِ عَلَيه » .
الأمر الأول « لا تخافى » الأمر الثانى « ألقيه فى اليم » .
البشارة الأولى « إنا رادوه إليك » البشارة الثانية « وجاعلوه من المرسلين » .

فكيف استقبلت أم موسى هذا الوحى ؟ إن الله قال لها إذا خفت عليه فألقيه فى اليم ما هذا ؟ إنه فى نظر البشر تضارب وتناقض ، ولكنه فى علم الله منتهى الانسجام والاتساق . إن الذى قال للنار كونى بردا وسلاما على إبراهيم هو الذى قال لأم موسى **﴿ فإذا خِفْتِ عَلَيْه فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ ﴾**(٢) لو أن الله قال للنار كونى بردا على إبراهيم لتجمد ابراهيم من شدة برودتها ، ولو أن الله قال للنار : كونى سلاما على إبراهيم لتأذى إبراهيم من شدة حرها . ولكنه قال لها « كُونِي بَرْدَاً وَسَلَاماً عَلى إِبْرَاهِيمَ » ليجمع له الأمرين فيعيش إبراهيم فى روضة من رياض الجنة فى برد وسلام . سلب منها الحرارة والإحراق وأبقاها على الإضاءة والإشراق ، وكان ربك قديرا .

الم أقل لكم لو توكلنا على الله واتجهنا إلى الله ، وولينا وجوهنا إلى الله

(١ ، ٢) القصص ٧ .

.... ﴿ إذا خِفْتِ عَلَيْهِ فألْقِيه فى اليَمِّ ﴾ . ما احتجنا إلى شرق ولا إلى غرب إلى أين يذهب ؟ قال الله تعالى ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾(١) أو مَا سَمِعْتَ إلى هذهِ العظمة القُرآنية تتجلى فى أسمى معانيها ومبانيها وصيغها .. « عدوٌّ لى وعدوٌّ له » فرعون عَدُوٌّ واحد أو مارأيت أن الله يجعل من رجل واحد عدوين فى وقت واحد أحدهما عدو لله والآخر عدو لموسى ، والله إن اللسان والبيان والجنان لتعجز .كلها عن الوقوف أمام هذه العظمة . ثم ماذا ؟ إن فؤادها يرتجف ويضطرب يقول الله لها ﴿ ولَا تَخافِي ولا تَحْزَنى إنَّا رادُّوهُ إليْكِ وَجَاعِلُوهُ مِن المُرسَلِينَ ﴾(٢) وأخَذَتْ أم مُوسَى تَضع طِفلها فى صنْدُوقه وتَرميه فى الماء ، والصندوق يمشى بإذن ربه ، يُوَجِّهُهُ الله سبحانه وتعالى . هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

(١) طه ٣٩ .

(٢) القصص ٧ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبينا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين أيها السادة الأعزاء .

إلى شاطىء نهر النيل نذهب حيث ألقى موسى الكليم فى الماء وقبل وصول الصندوق إلى قصر الظلم وصلة العناية الإلهية ترعى الكليم موسى . فألقى الله محبة موسى . فى قلب زوجة فرعون ذاته وتنظر آسية بنت مزاحم زوجة فرعون فترى الصندوق . من الذى حمل الصندوق إلى
هنا ؟ ولماذا لم يسر فى أى اتجاه ؟ إنها إرا[illegible]
وَالأَرْضِ إلا ءَاتى الرَّحْمَنِ عَبْداً ، لَقَدْ أحْصَاهم [illegible]
القيامَةِ فَرْدا . إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لهم الرحمن وُدًّا ﴾[1] .

آيات بينات . هذه قدرة الله تعمل فدعوها تعمل ، فلا يستطيع أحد أن يستعجلها أو يقترح عليها . كان الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يقول ذات يوم أمام عائشة رضى الله عنها « يا مقلب القلوب ثبت قَلبى على دينك » فقالت عائشة : وأنت تدعو بهذا الدعاء يا رسول الله ، اتخاف أن يقلب قلبك وأنت المعصوم ، فقال لها : « يا عائشة وماذا أصنع ، وقلوب بنى آدم جميعا بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ؟ » ..

ولقد جعل مقلب القلوب حب موسى راسخا فى قلب آسية فأمرت بإحضار الصندوق وفتحه . ولقد تتبع الصندوق أخت موسى حتى وصل القصر . ﴿ **وقالت لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصرُتْ به عن جُنُب** ﴾ أى رأته من بعيد ، وهم لا يشعرون . وَكُلُّ الآيات تَدُل على أن مدبر الكون واحد ، وكل البراهين تنطق

---

(١) مريم من ٩٣ : ٩٦ .

بلسان حالها ومقالها أن مصرف الخلائق واحد . يُفتح الصندوق ويُرفع الغطاء ، فإذا في داخل الصندوق طِفل يضع إصبعه فى فمه ، والله أجرى اللبن فى إصبعه فأخذ يرضع من إصبعه لبنا خالصا سائغا للشاربين .

وإذا العناية لا حَظَتك عُيونُها نـم فَالْمَخاوِف كُلُّهُنَّ أمَانُ

أصبع ينزل لبنا فى فم طفل لأن هذا الطفل قال له الله ﴿ **وألقيتُ عَلَيْكَ مَحبَّةً مِنيّ** ﴾(١)

لَا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى ولا الشئون التى تَجرى بتقديرى
لى خَالِق رازق مَاشاء يَفْعَل بى أحاط بى عِلْمُه من قبل تَصْويرى

وتنظر امرأة فرعون إلى وجه الغلام فتجد فى عينيه بريقا يشع نورا فتقول لفرعون : ﴿ **قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوه . عَسى أن يَنْفَعَنَا أو نَتَّخِذَهُ وَلَداً** ﴾(٢) ويعقب الله بعد ذلك على الآية بقوله وهم لا يشعرون صفحة الغيب مُغطاة مُغماة مُحجّبة ، لا تراها العيون ولا تدركها الأفهام ولا الظنون ، لان الذى خطها هو الذى لا يجرى عليه زمان ولا يحويه مكان ، علم ما كان ، وعلم ما يكون ، وعلم مالا يكون لو كان كيف كان يكون .

فيقول فرعون بل قرة عين لك أنت . ويجلس الغلام الرضيع على حجر فرعون ويمد يده اليمنى ويلطم فرعون على وجهه وتثور ثائرة فرعون ويجن جنونه ولكن الله منع يده أن تمتد إلى موسى . بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله .

أراد ربك أن يجمع بين موسى وأمه فى قصر الطاغية فرعون ، جاءوا بالمراضع لترضع ، فأبى موسى أن يلتقم ثدى إحداهن ، ما رضى موسى أبدا . وأخت موسى جالسة بجوار أخيها فى قصر فرعون فقَالتْ لهم ﴿ **هلْ أدُلُّكُم عَلَى أهْلِ بَيْتٍ يَكفلونَهُ لكم وَهُمْ لَهُ نَاصِحُون** ﴾(٣) .

إنى أعلم سيدة ترضع الأطفال وكل الأطفال يقبلون عليها . فقال لها فرعون اذهبى وأتينا بها ، فتذهب إلى أمها وتأتى بأمها فعندما رأت أمها موسى ،

---

(١) طه ٣٩ .
(٢) القصص ٩ .
(٣) القصص ١٢ .

أوشكت أن تقول إنه ابني ولو قالت انه ابنى لذبح على الفور ، قال تعالى : ﴿ **إن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنا عَلَى قَلْبها لتكون مِن المُؤْمِنِين** ﴾[١] .

وعاشت أم موسى مع ابنها . ﴿ **وَحَرَّمْنَا عَلَيهِ المَرَاضِعَ من قَبْل** ﴾[٢] والتحريم هنا تحريم منع لا تحريم شرع . ﴿ **فَرَدْنَاهُ إلى أُمّه كَىْ تَقَرَّ عَيْنُها ولا تَحْزَنَ ، وَلِيَعْلَمُ ، أنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، وَلَكِنَّ أكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾

هكذا أشار القرآن إلى مولد موسى ليثبت لك أن الله إذا قضى فلا راد لقضائه ، وإذا حكم فلا معقب لحكم ، وإذا اراد قضى المراد .

نخلص من هذا إلى أننا لو اعتمدنا على الله ، ما سلط الله علينا بغاة البشر ولكننا تثاقلنا إلى الأرض ونسينا فريضة الجهاد وما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربت عليهم الذلة . إن أوراق قضيتنا ليس فى يد أحد من البشر ، وإنما هو فى يد الله وحده . إن حل مشاكلنا لا يقوى عليه عبقرى فذ ولا فليسوف بارع . إن حل مشاكلنا يتلخص فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أن أَهْلَ القُرى آمَنُوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض** ﴾[٣] هذا مفتاح مشاكلنا « الصلح مع الله » .

لكننا سمينا الأشياء بغير أسمائها سمينا الدين رجعية مع أنه لا تقدم لنا بغير الدين .

لقد أخذت أوربا تطبق روح الإسلام بعد أن تركناه نحن ،اسمع معى إلى حديث دار بين صحفى ينتمى إلى الإسلام وطبيب ألمانى قال فيه الصحفى إن الإسلام هو سبب تأخرنا فنظر إليه الألمانى نظرة أستغراب ودهشة وقال له اتسمح وتأتى معى لزيارة إحدى مستشفيات بون وذهب بهُ إلى غرفة العمليات فوجد مكتوبا على غرفة العمليات : ما ملأ ابن آدم وعاءً قط شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فاعلا ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، القائل محمد بن عبد الله . وبعد أن قرأها الصحفى قال نعم هذا

---

(١) القصص ١٠

(٢) القصص ١٢ .

(٣) الأعراف ٩٦ .

نبينا ، فقال له الألمانى : أليس نبيكم هذا هو الذى جاء بالإسلام ؟ فكيف أخركم الإسلام ونبيكم يقول هذا الكلام ؟ يؤسفنى يا صديقى أن يكون روح الإسلام فى بلادنا وجسد الإسلام فى بلادكم عودوا إلى الإسلام وتوبوا إلى الله . واحرصوا على حسن الخلق ، واحذروا سوء الأخلاق .

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا
وليس يقام بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

أيها المسلمون الأعزاء الصلح الصلح مع الله ليصلح الله أحوالنا .

اللهم فرج كربنا واستر عيبنا وآمن روعاتنا ، وتول أمرنا وأحسن خلاصنا ، وبلغنا مما يرضيك آمالنا . واختم بالصالحات أعمالنا .

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدى وحبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها ، وعافية الأبدان وشفائها ، ونور الأبصار وضيائها ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ .

* * *

مع نبى الله زكريا ونبى الله يَحْيَا

الحمد لله رب العالمين . يارب ارحم ضعفنا وتول أمرنا وأحسن خلاصنا وفك أسرنا ، اشف كل مريض وارحم كل ميت . أد ديوننا . اللهم إنا نسألك أن تلطف بنا فيما جرت به المقادير . لا تدع بيننا شقيا ولا محروما ، اللهم اجعل جمعنا هذا مرحوما ، واجعل تفرقنا بعده معصوما . اللهم ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه ، وباعد بيننا وبين الحرام كما باعدت بين المشرق والمغرب . اللهم اسقنا بيد نبينا شربة لا نظمأ بعدها أبدا . آمين .

وأشهد ألا إله إلا الله . لما نزل الأمين جبريل على سيدنا محمد يحمل قول الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلائكَتَهُ يُصَلونَ عَلى النَّبِى يـأَيُّهاالَّذِين آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تسْلِيما** ﴾[1] فماذا قال الحبيب محمد عند نزول هذه الآية قال . اللهم صلِّ على أمتى كما صليت على حتى تشركهم معى فى الصلاة .

فماذا قال الله تعالى ؟ لم يرفض الجبار طلب المختار ، وإنما أنزل جبريل بقوله تعالى : ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِيَن آمَنُوا أذكُروا اللهَ ذِكْرَاً كَثِيرَا وَسَبِحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاًهَو الَّذِى يُصَلِى عَلَيْكُم وَمَلائكته لِيُخْرِجَكُمْ من الظُلُماتِ إِلى النُّورِ** ﴾[2] .

وانظر إلى استخدام المبتدا « هو » معرفة والخبر « الذى » معرفة وتعريف المبتدا والخبر يفيد القصر أى أن الله هو الذى يصلى عليكم وكفى بصلاة الله علينا صلاة .

ثم انظر إلى استخدام الفعل المضارع « يصلى » ليوحى إليك بأن الصلاة مستمرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. يأمة محمد يصلى عليكم ربكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، وليست الظلمات هنا ظلمات ليل داج ، وليس النور هنا نور شمس وهاجة . إنما الظلمات هنا ظلمات شرك ،

(١) الأحزاب ٥٦ .
(٢) الأحزاب ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ .

والنور هنا نور توحيد فوحدوا الواحد . لا إله إلا الله . ﴿ **لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ وَكَانَ بالْمُؤمِنين رَحِيماً** ﴾[1] وانظر إلى جمع الظلمات للدلالة على تعددها وبيان أن طرق الشرك متعددة ، وإفراد النور للدلالة على أن طريق الواحد واحد .. ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤمِنِينَ رَحِيمَاً** ﴾ هو رحيم الآخرة ، لكنه رحمان الدنيا . وفرق بين الرحمن والرحيم . الرحمن وسعت رحمته فى الدنيا كل شىء وسعت المؤمن ووسعت الكافر فرزق الكل ؛ لأنه رحمان . أما الرحيم فإن رحمته يوم القيامة خاصة بأهل لا إله إلا الله ﴿ **تَحِيَّتُهم يَوْمَ يَلْقَوْنَه سَلامٌ وأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرَاً كَرِيماً** ﴾[2] . إلهى

أنا العبد المقر بكل ذنب وأنت السيد المولى الغفور
فإن عاقبتنى فبسوء فعلى وإن تغفر فأنت به قدير

وأشهد أن سيدنا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله ، لخص الحقيقة العليا والهدف العظيم والغاية المرجوة فى كلمات فقال : « **أفضل ما قلته أنا** والنبيون قبلى لا إله إلا الله » . ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وكان الحبيب يقول : « لقنوا الموتى لا إله إلا الله فإنها زاد الميت » أبا القاسم يارسول الله يا جلاء بصرى يا ذهاب همى وغمى وحزنى يا ابن عبد الله . أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة ومحوت الظلمة ، وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين ، صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة نعيش اليوم مع الأمل والحياة ألم يخفيه أمل ، وأمل يحققه عمل وعمل ينهيه أجل ، وبعد ذلك يجزى كل امرىء بما فعل . ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِي المِحْرَاب أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيى مُصَدِّقَاً بِكَلِمَةٍ مِن اللهِ وَسَيداً وَحَصُورَاً وَنَبِياً مِن الصَّالِحِين** ﴾[3] .

تعالوا بنا إلى بيت المقدس حيث نبى الله زكريا قائم يصلى ، ويدعو ربه ﴿ **رَبِّ هَبْ لِى مِن لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ** ﴾[4] . ويقول سبحانه

(١ ، ٢) الأحزاب ٤٣ ، ٤٤ .
(٣ ، ٤) آل عمران ٣٩ ، ٣٨ .

وتعالى : ﴿ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّك عَبْدَهُ زكريَّا إذْ نَادَى رَبَّه نِدَاءً خَفِيًّا ﴾(١) . ولماذا كان النداء خفيا ؟ ؛ لأن الله يسمع دبيب أرجل النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء . فمن أدب الدعاء ألا ترفع الصوت عند الدعاء . لقد جاء رجل إلى الحبيب صلى الله عليه وسلم ، وقال له يارسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ، وقبل أن يجيب مبعوث العناية الإلهية كان أمين الوحى جبريل قد نزل بقول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعوةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٢) ولذا نادى زكريا ربه نداء خفيا فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ العَظْمُ مِنِّى واشتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبَاً ﴾(٣) وهن العظم أى ضعف والعظم إذا ضعف ضعف كيان الجسم كله فالعظام هى أعمدة البناء الإنسانى فإذا ضعفت سقط البناء . واشتعل الرأس شيبا . ولم يقل اشتعل شيب الرأس لأنه لو قال اشتعل شيب الرأس لكان المشيب شعيرات ، أما قوله واشتعل الرأس شيبا فمعنى ذلك أنه لم يبق شعرة فى الرأس إلا وغزاها الشيب . وكلمة شيبا تميز محول عن الفاعل فماذا يقول الله للعبد إذا شاب ؟ إذا شاب العبد انحنى ظهره قال له الله من فوق سبع سموات : « عبدى شاب شعرك وانحنى ظهرك وضعف بصرك استحى منى فإنى أستحى منك ».

من بلغ الأربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار ، إذا ما بلغت الأربعين فاتجه إلى هناك ، إلى عتبة الخلود فإنك راحل من هنا ليست هذه دارنا ، وإن دارنا هناك لها نجمع وإليها نرجع .

﴿ وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِياً ﴾(٤) ليس بشقى من تشبث بحبال السماء . ﴿ وزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّه رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْداً وأَنْتَ خَيرُ الوَارِثِين ﴾(٥) .

مرة يقول ﴿ هَبْ لِى مِن لَدُنكَ ذُرِّيَةً طَيِّبَةً ﴾(٦) ومرة يقول ﴿ فَهَبْ لِى

---

(١) مريم ٢ ، ٣ .
(٢) البقرة ١٨٦ .
(٣) مريم ٤ .
(٤) مريم ٤ .
(٥) الأنبياء ٨٩ .
(٦) آل عمران ٣٨ .

من لَدُنكَ وَلياً ﴾(١) ومرة يقول ﴿ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾(٢) فلماذا تغيرت المقامات ولماذا تعددت الدعوات ، ليقول لك مولانا إذا دعوتنى فلا تدعُ مرة واحدة وإنما ادعنى كثيرا فإنى أحب العبد الملحاح فى الدعاء . إن ربكم حيى كريم يستحى إذا رفع أحدكم إليه يديه أن يردهما صفرا . حالة واحدة لا يستجيب ربك فيها الدعاء وهى أن يقول العبد دعوت فلم يستجب لى .

أما إذا دعا العبد وهو موقن بالإجابة استجاب الله له . والدعاء عبادة ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى اسْتَجِبْ لَكُمْ ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(٣) أذلاء صاغرين .

فماذا كان جواب ربك على زكريا ، كان زكريا قائما يصلى فى المسجد الأقصى والصلاة أحسن حالات العبد .. الناس فى مساجدهم والله فى قضاء حوائجهم . « لولا أطفال رضع ، وشيوخ ركع وبهائم رتَّع لصببتُ عليكم العذاب صبا » وكذلك كان الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم إذا استعد للنفير للجهاد فى سبيل الله وكان الجهاد فى أمة الإسلام فريضة ولا يرفع الذل والهوان إلا الجهاد ، وما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربت عليهم الذلة . كان الحبيب إذا أعد الجيش للجهاد ويقول لأصحابه احضروا ضعفاءكم وصبيانكم فيجمون الضعفاء والصبية يجمعون له أصحاب العاهات والعجزة . فيجتمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول لهم : « ادعوا الله أن ينصرنا » لماذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم ، إذا كان عندك ولد فيه عاهة فاعلم أن الله يوسع رزقك بسبب هذا الولد فلا تنهره وقل له قولا كريما

وكان جواب ربك على زكريا ﴿ يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾(٤) الله رزق والله سمى . رزقه الغلام وسماه يحيى ، ولعله اختار له اسم يحيى ؛ لأن فيه الحياة والعيش حتى يشب ويصير نبيا . فنعم المبشر الله ، ونعم المبشر زكريا ، ونعم المُبشر به يحيى ، ونعمت البشارة لأنها من الله . ﴿ أَنَّ اللهَ

---

(١) مريم ٥ .

(٢) الانبياء ٨٩ .

(٣) غافر ٦٠ .

(٤) مريم ٧ .

يُبَشِّرُكَ بِيحيَ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِن الله(٢) الكلمة هنا المقصود بها نبى الله عيسى، ولماذا سمى عيسى بالكلمة ؟ لأنه أثر من آثار كلمة واحدة قالها الله « وهى كن فيكون » .. فعيسى أثر من آثار كلمة « كن فيكون » ما كان الله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون .. فَيحيىٰ مصدقا بعيس وبرسالة عيسى ويحيى هو ابن خالة عيسى فعيسى ويحيى أبنا خالة .

«وسيدا» شريفا عزيز الجانب «مصداقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا» ومعنى حصورا أى حبيسا على طاعة الله لايخالف له أمرا والحصور كالمتبتل منقطع لعبادة الله وطاعة الله .

مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين والمفروض فى النبى أن يكون صالحا ، فلماذا قال بعد ذلك من الصالحين ؟ إنما قال من الصالحين ليفيدك إفادة تعم جميع البشر أن دعوة الولد لاتصل إلى أبيه بعد موته إلا إذا كان الولد صالحا ، وابنك من الصالحين يا زكريا فأبشر به فى حياتك وأبشربه بعد مماتك . فماذا قال زكريا عندما بشر بيحيى ﴿ **قال رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ امْرَاتِي عَاقِراً** ﴾(١) أى لا يلد وهو عنده من العمر ثمان وثمانون سنة ، وهى عندها من العمر ثمانون سنة ، وهنا يثور سؤال لابد منه . يقول قائل إن يحيى ولد لزكريا بعد مابلغ زكريا من الكبر عتيا ، وزكريا قال لرب العزة ﴿**فهب لى من لدنك وليا**﴾ كيف يدعوه وبعد مايستجيب الله له يقول زكريا ﴿**أنى يكون لى غلام؟**﴾. والجواب على ذلك أن قوله تعالى: ﴿**أنى يكون**﴾ كلمة أنى إذا دخلت على الجملة الاسمية تكون بمعنى أين كما فى قوله تعالى ﴿ **أنَّى لك هذا** ﴾ يعنى من أين لك هذا أما إذا دخلت على الجملة الفعلية فتكون بمعنى كيف ﴿ **أنى يَكونُ لِي غُلَامٌ** » يعنى كيف يكون لى غلام وكيف اسم استفهام يفيد الحال . كيف يكون لى غلام ؟ على أى حال سترزقنى الغلام يارب . هل ستعيدنى شابا كما كنت فى عصر الشباب ؟ وهل ستعيد زوجتى شابة كما كانت فى ريعان شبابها وزهرة صباها ؟ اترزقنا الغلام ونحن على هذه الحالة من الكبر ؟ .. فجاءت الإجابة من الله قاطعة ﴿ **قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ، وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَم تَكُ**

---

(١) آل عمران ٣٩ .

(٢) مريم ٨ .

شَيْئاً ﴾ سأرزقك الغلام ، وأنتما على هذه الحال من الكبر . فقال زكريا ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾ فقال له مولانا سيحبس الكلام عن لسانك ثلاثة أيام .

إذا حبس لسانك عن الكلام ثلاثة أيام فاعلم أن زوجتك حامل .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

معشر الإخوة الأعزاء .

إن الله سبحانه وتعالى قال فى سورة مريم ﴿ **يا زَكَرِيَّا إنا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ** ﴾ (١) وفى سورة آل عمران قال : ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَة وهُوَ قَائِمٌ يُصَلى فِى الْمِحْرَاب** ﴾ (٢)

الله بشره والملائكة نادته ، فكلا الآيتين فى مجرى واحد . ﴿ **قال رَبِّ اجْعِلْ لى آيةً قَالَ آيَتُكَ ألا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثلاثَة أيام إلا رَمْزاً ، وَاذْكُرْ رَبَّك كثيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ والإِبْكَارِ** ﴾ (٣)

أى إن كلامك مع الناس ممنوع لمدة ثلاثة أيام ـــ أما ذكر الله فلن يتوقف لسانك ؛ لأن ذكر الله لا يمنعه مانع ولا يقطعه قاطع ، قال الحبيب محمد : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأرفعها فى درجاتكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأفضل من إنفاق الذهب والورق وأفضل عند الله من أن تلقوا عدوكم فيضربوا أعناقكم وتضربوا أعناقهم » قلنا بلى يا رسول الله . قال « ذِكْرُ الله » .

﴿ **فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مَن الْمِحْرابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِم أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَة وَعَشِيًّا** ﴾ (٤) أى أشار إليهم أن يسبحوا الله فعلم أن اللسان قد حبس عن الكلام فجاء الفرج من الله . اسألُوا الله فإن الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج . وبعدما كان الخطاب موجها إلى زكريا توجه الخطاب من الله جل فى

---

(١) مريم ٧ .

(٢) آل عمران ٣٩ .

(٣) آل عمران ٤١ .

(٤) مريم ١١ .

علاه إلى يحيى ...

﴿ يَا يَحْيَى خُذ الكِتَابَ بِقُوةٍ ﴾[1] أى بعزم وصدق .

والأمة الإسلامية معها كتاب ، ولكنها لم تأخذه بقوة ، فصار الكتاب معلقا على أرفف المنازل تصنع منه الأحجبة والتمائم ، يقرأ فى المقابر ، مع أن القرآن كتاب حكيم ، ولم ينزل لتفتح به الحفلات إنما هو كتاب أنزله الله فى حكمة إنزاله : ﴿ إنَّا أَنْزَلْنَا إلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ ﴾[2] كتاب أنزله الله ليحكم به المسلمون ، فإذا رفضه المسلمون حكم الله عليهم بثلاث أحكام . ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمْ الْكَافِرُون ﴾[3] ﴿ وَمَن لم يَحْكُم بما أَنْزَلَ اللهُ فأُولَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴾[4] ﴿ وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ الله فأُولَئك هُمُ الفاسِقون ﴾[5] ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فيمَا شَجَرَ بَيْنَهُم ثُمَّ لا يَجِدُوا فى أَنْفُسِهِم حَرَجَاً ممَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّموا تَسليماً ﴾[6] ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وآتَيْنَاهُالحُكْمَصَبيًّا ، وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تقيًّا وبَراً بِوَالِدِيهِ ولَمَ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا ، وسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾[7] .

أيها الإخوة هذه قصة الأمل سقناها ، وبيناها ، فلا تفقدوا الأمل فى الله ، وجرت أحداثها على عرصات بيت المقدس ، على ساحة المسجد الأقصى فهل سيعود المسجد الأقصى إلى أخويه الكبيرين فى مكة والمدينة ؟ المسجد الحرام ومسجد الرسول . هذا سؤال والأحداث جسام والأهوال عظام ، والأمة غافية غافلة نائمة .

عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس فى العام الخامس عشر من الهجرة فتحه

---

(١) مريم ١٢ .
(٢) النساء ١٠٥ .
(٣) المائدة ٤٤ .
(٤) المائدة ٤٥ .
(٥) المائدة ٤٧ .
(٦) النساء ٦٥ .
(٧) مريم ١٢ : ١٥ .

القواد العظام أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ولما دخلوا على حاكم مدينة القدس ، وطلبوا منه مفتاح بيت المقدس قال الحاكم ، وكان يسمى « سفرنيوس » قال لهم لن أسلمكم المفتاح ما دمت حيا لأن أوصافكم ليست هى الأوصاف التى نقرؤها فى كُتُبنا ، عرض القادة أنفسهم عليه واحداً واحداً فلم يجد واحداً منهم فيه الأوصاف ، فمن الذى تتوافر فيه الأوصاف ليأخذو المفتاح ؟ أرسل القادة إلى عمر بن الخطاب فى المدينة ، وقالوا له يا أمير المؤمنين إن (سفرنيوس) لم يرض أن يسلم لنا المفتاح وكانت مدينة القدس تحت حكم الرومان وجبروتهم ، ولكن هل ترفع الرومان رأسها وعمر بن الخطاب فى المدينة ؟ هل ترفع الثعالب رءوسها والأسد رابض فى مدينة رسول الله ؟ ما كان ذلك ليكون وعمر حى . وركب عمر وأخذ غلامه معه . ركب من المدينة المنورة إلى مدينة القدس ركب عمر دابة متواضعة وفى تواضعها الجلال وكان معه غلامه ، والمسافة ثمانمائة وخمسين ميلا . فماذا فعل عمر قسم المسافة ثلاثة أقسام يركب هو قسما ، والدابة تسير خالية قسما ويركب الغلام قسما ، رحمة . نعم رحمة . « إن اردتم رحمتى فارحموا خَلْقِى » هذا حديث الله رواه أبو بكر عن رسول الله عن الأمين جبريل عن رب العزة .

ويأتى الدور على عمر وهو على مشارف الشام فيعترضه فى الطريق وحل وطين فيأبى عمر أن يعبر الطين وهو راكب فينزل ويخلع نعليه ويدوس الطين بقدميه فيقول له أبو عبيدة القائد العام للقوات الإسلامية : يا أمير المؤمنين أتخوض فى الطين بقدميك ؟ فيقول له نعم يا أبا عبيدة أخوضه بقدمى . لقد كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام ، فإن ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله .

ويدخل عمر بلاد الشام ويتوجه إلى مدينة القدس ويقول القادة العظام نخشى أن تأتى النوبة على الغلام فيدخل المدينة راكبا وأمير المؤمنين ماشيا، ماذا يقول حاكم الرومان إذا رأى عمر أميرنا ماشيا ، ورأى الغلام راكبا ؟ ويشاء ربك أن تأتى النوبة فى مدينة القدس على الغلام وهو راكب وعمر يمشى على الأرض . فهل يتعدى على نصيب الغلام ؟ لا يكون ذلك أبدا . ودخل عمر مدينة القدس ماشيا والغلام راكب وَجىء بحاكم المدينة البطريرك سفرنيوس ، فحينما رأى عمر

أخذ ينظر إلى عمر ويتأمل ثوبه والمسلمون يتأملون ماذا يفعل حاكم المدينة ؟ إنه يعد الرُّقع التى فى ثوب عمر ، وبعدما يعدها يقول له تسلم مفتاح المدينة يا عمر ، فإن الأوصاف رأيناها متحققة فيك . قيل وما الأوصاف يا سفرنيوس قال إن الذى يتسلم مفاتيح هذه المدينة فى ثوبه سبع عشرة رقعة ، ويدخل المدينة ماشيا وغلامه راكبا .

وظلت المدينة ، وظل المسجد الأقصى فى يد المسلمين حتى سنة أربعمائة واثنتين وتسعين من الهجرة . فتألبت دول أوربا انجلترا وفرنسا وبلجيكا والمجر ، وإيطاليا والنمسا وألمانيا أجمعوا أمرهم على ضرب المسلمين وتمزيقهم واحتلال ثالث الحرمين وأولى القبلتين ومسرى النبى الأمين وكان المسلمون قد أصيبوا يومها بانحلال فى الأخلاق وتفسخ فى العلاقات الاجتماعية كما أصيبوا بضعف الوازع الدينى . فهزموا ، وظل المسجد الأقصى فى يد الصليبيين حتى سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة أى إحدى وتسعون سنة ، والمسجد الأقصى فى أيدى الصليبيين إلى أن بعث صلاح الدين الذى كان صلاحا لدنياه وكان صلاحا لدين الله وكان صلاحا لأخراه . وكان صلاح الدين لا يملك بيتا فلما سألوه لماذا لا تمتلك بيتا أيها القائد ؟ قال وماذا يفعل بالبيت من ينتظر الشهادة كل وقت . جلس صلاح الدين يوما مع كبار هيئة أركان حربه ، فجرت بينهم دعابة فضحكوا ولم يبتسم صلاح الدين فقيل له أيها القائد لم لا تبتسم ونحن نضحك ؟ فقال لهم صلاح الدين استحى من الله أن يرانى مبتسما والمسجد الأقصى فى أيدى الصليبيين .

ودخل صلاح الدين المسجد الأقصى فى يوم سبعة وعشرين من رجب سنة خمسمائة وثلاث وثمانين من الهجرة . فى يوم الإسراء والمعراج ... فماذا فعل صلاح الدين عندما دخل أرض المسجد الأقصى ؟ نزل من على فرسه وخر ساجدا لله سجود شكر لله ...

وقد أخذ اليهود المسجد الأقصى فى الخامس من يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين للميلاد . فمتى يعود المسجد الأقصى ؟ وهل يعود ؟ نعم يعود . يعود إذا طبقنا قول الحبيب المصطفى : اسمعوا ماذا قال الرسول الحبيب « لا تقوم الساعة حتى تحاربوا اليهود فيختبىء اليهودى وراء الحجر فينادى الحجر قائلا :

يا مسلم إن ورائى يهوديا فاقتله » نعم يا رسول الله . نعم يا حبيب الله الحجر ينادى ينادى على من . ينادى على المسلم ، فيوم نسلم سيجعل الله الحجر والشجر وكل ما فى الأرض عوناً لنا . نعم يوم نسلم الأمر لله يوم نتوكل على الله .

وأذكر أن الملك فيصل حينما أراد وعزم على الصلاة فى المسجد الأقصى قتلته اليد الآثمة ، واليد التى قتلت فيصل بن عبد العزيز هى نفسها التى قتلت عثمان بن عفان هى نفسها التى قتلت على بن أبى طالب هى نفسها التى سمت عمر بن عبدالعزيز وضعت له السم فى الطعام. إنها الجمعية السرية برئاسة عبدالله بن سبأ اليهودى الصهيونى . إن الحرب التى بيننا وبين اليهود ليست حرب كلام . وإنما هى حرب عقيدة . وعقيدتنا هى لا إله إلا الله .

أيها الأخوة الأعزاء . لا يسعنى إلا أن أتوجه إلى الله تعالى أقول له يارب أصلح أحوالنا . اللهم فك أسرنا . اللهم ارحم ضعفنا . اللهم أعد المسجد الأقصى إلى ديارنا . اللهم أحسن ختامنا وبلغنا ممايرضيك آمالنا ، ووحد على اليقين صفوفنا .

أكثروا من الصلاة والسلام على حبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ، ونور الأبصار وضيائها ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾[١] .

* * *

(١) النحل ٩٠ .

السيدة مريم ونبى الله عيسى

الحمد الله رب العالمين . يارب لا تدع فينا خائفا إلا أمنته ، ولا مدينا إلا قضيت دينه ولا غائبا إلا إلى أهله سالما راشدا رددته . اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، اللهم فرج كروبنا ، ويسر لنا أمر طاعتك ، اللهم اجعل تجمعنا مرحوما ، وتفرقنا من بعده معصوما ، ولا تجعل فينا ولا منا ولا بيننا شقيا ولا محروما ، اللهم اطرد الشيطان من بيوتنا ومن قلوبنا . آمين . آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله نزل الأمين جبريل على الأمين محمد ذات ليلة فوجده يبكى ، فقال الأمين جبريل يا رسول الله ما يبكيك فقال الحبيب المصطفى قرأت قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿ **فَمَنْ تَبِعَنِى فإنَّهُ مِنِّى ، وَمَنْ عَصَانِى فَإنَّكَ غَفورٌ رَحِيمٌ** ﴾(١) وقرأت على لسان عيسى : ﴿ **إن تُعَذِّبهُم فإنهُمْ عِبَادُك وإن تَغْفِر لَهُمْ فَإنَّكَ أنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(٢) فماذا عن أمتى يارب العزة ، وصعد الأمين جبريل إلى المقامات العلية وهبط على الحبيب المصطفى ، وقال له السلام يقرؤك السلام ويقول لك لا تبكى سنرضيك فى أمتك : ﴿ **وَلَسَوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى** ﴾(٣) هذا عطاء لا يليق إلا بالله وسؤال لا يليق إلا برسول الله ... ماذا عن أمتى ؟ .. إن الملائكة عندما تتوجه إلى قبر الرسول يوم القيامة ، يقولون له : يا رسول الله قم فإن اليوم يوم الحساب ؛ أتدرون ما أول كلمة يقولها الحبيب قبل أن يفارق قبره بين أبى بكر وعمر ؟ يقول للملائكة كيف حال أمتى ؟ كيف حال أمتى ؟ صدق من سماك الرءوف الرحيم . يا صاحب القلب والخلق . يا من رباك مولاك وأدبك .

إلهى

أنا خاطئٌ أنا مذنبٌ أنا عاص هوَ رَاحِم هو غَافِرٌ هو كافِى

(١) إبراهيم ٣٦ .
(٢) المائدة ١١٨ .
(٣) الضحى ٥ .

قابلتهن ثلاثة بثلاثة ولتغلبن أوصافه أوصافى

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله . هو النور الذى أرسله النور بالنور . هو نور ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ** ﴾(١) أرسله النور ﴿ **اللهُ نورُ السمٰوات والأرضِ** ﴾(٢)وجاء بالنور ﴿ **فَآمِنُوا باللهِ ورسُولِه والنُّورِ الذى أنْزَلنا** ﴾(٣) فواعجبا لأمة ربها النور ونبيها نور وكتابها نور ثم هى تعيش فى الظلمات .

يا أبا القاسم ياحبيب الله

يَا سيِّدِى إنا نَسِيرُ بقفرة زاد الهجير بها وقل الماء
يا سَيِّدى كن للنجاة شفيعنا يا خير من شهدت له الشفعاء

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة .

حديثنا اليوم عن السيدة مريم وابنها عيسى .

أما السيدة مريم فقد قال فيها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم « كَمُلَ من الرجال كَثير ، ولم يكْمُل من النساء إلا أربع . آسية زوج فرعون ، ومريم ابنة عمران ، وخديجة زوج محمد ، وفاطمة بنت محمد » .

وقبل أن نبدأ الحديث نطرح هذه الأسئلة الثلاث . لماذا اقترنت قصة زكريا بقصة المسيح وأمه ؟ ولماذا لم يصرح القرآن باسم امرأة إلا مريم وحدها ؟ ولماذا نرى العجب فى رءوس الآى فى سورة مريم . والإجابة تقتضى التنقل ، بين ثلاث سور فى كتاب الله . أما سورة آل عمران ، فيقول مولانا لزكريا ﴿ **آيتُكَ ألاّ تُكَلِمَ النّاسَ ثَلاَثَةَ أَيامٍ إلاَّ رَمْزاً واذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً ، وَسَبِّحْ بِالْعَشىِّ والإِبْكَارِ** ﴾(٤) وبعدها يقول : ﴿ **وَإذْ قَالَتِ الملاَئِكَةُ يا مَرْيمُ إنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلى نِسَاءِ العَالَمين** ﴾(٥) وفى سورة مريم يقول تعالى فى حق

---

(١) المائدة ١٠ .
(٢) النور ٣٥ .
(٣) التغابن ٨ .
(٤) آل عمران ٤١ .
(٥) آل عمران٤٢ .

يَحْيى ﴿ سلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وَلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ ، وَيَوْمُ يُبْعَثُ حَيًّا . وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ مَرِيمَ ﴾(١) . وفى سورة الأنبياء . ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لا تَذَرْنِى فَرْداً وأنْتَ خَيْرُ الوَارِثِينَ ، فاسْتَجبْنَا لَهُ ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَي وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كانوا يُسَارِعُونَ فِى الخَيْرَاتِ ، وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهباً ، وَكَانُوا لَنا خَاشِعِين ﴾(٢) وبعد ذلك يقول مولانا ﴿ وَالتِّى أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَها آيَةً لِلعَالَمِينَ . إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأنَا رَبُّكُم فَاعْبُدُون ﴾(٣) .

لماذا اقترنت القصتان كلتاهما ؟ إن هذا تدرج منطقى مع منطق الأحداث فالله تعالى قبل أن يدخلنا مع المسيح وخلقه أراد أن يمهد لنا الجو حتى لا نصاب بصدمة عقلية . قال لك أنا خلقت يحيى من أبوين بلغا من الكبر عتيا ، فأم يحيى عاقر ، وأبو يحيى بلغ من العمر ثمانية وثمانين عاما ، ومع ذلك فإن القدرة صالحة على أن تخلق من الجماد لا من الكائن الحى . إذا كان ذلك كذلك فتعالى إلى ما هو أشد غرابة وأعظم عجبا . إن اللهتعالى خلق البشرية على أربعة أنواع . نوع من أب وأم ، وهو أنا وأنت ، ونوع لا أب له ولا أم وهو آدم عليه السلام ، ونوع من أب وليس له أم وهى حواء . وبقى نوع رابع وهو المسيح بن مريم وهو من أم وليس له أب . لتكتمل نماذج المعجزة ... ولذلك لما حملت مريم بابنها وجاءت به إلى قومها تحمله ، سألها يوسف النجار وكان عابدا مؤدبا من عباد بنى إسرائيل . قال لها يا مريم ياابنة العم إن فى النفس سؤالا . قالت له وما هو يا يوسف ، قال لها بلسان الأدب والخلق : أينبت زرع بدون ماء ؟ لا إله إلا الله ... فقالت له مريم يا يوسف من الذى خلق الزرع ؟ قال لها الله . قالت من الذى خلق الماء قال الله . قالت من الذى جعل الزرع محتاجا إلى الماء ؟ قال لها الله . قالت له إن الذى خلق الزرع والماء قادر على أن يخلق الزرع بدون ماء ... والله الذى لا إله غيره . إن الله تعالى إذا أراد شيء فلا شى يُعْجِزُ القدرة مهما كان من المفصلات .

أما لماذا لم يصرح القرآن باسم أمرأة إلا مريم وحدها . إن القرآن الكريم إذا

---

(١) مريم ١٥ ، ١٦ .
(٢) الأنبياء ٩٠ .
(٣) الأنبياء ٩١ ، ٩٢ .

أراد أن يتحدث عن النساء يذكر العبارة مكنية كناية لطيفة لا تصريح فيها فتراه يقول ﴿ **وَرَاوَدَتْه التى هُوَ فِي بَيْتِهَا** ﴾(١) وتراه تعالى يقول ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللّٰهُ قَوْلَ الّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾(٢) وتراه تعالى يقول ﴿ **ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً لِلّذِين كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وامْرَأةَ لُوطٍ** ﴾(٣) وتراه تعالى يقول : ﴿ **وَضَرَبَ الله مَثَلاً لِلّذِينَ آمَنُوا امْرأةَ فِرْعَون** ﴾(٤) وتراه تعالى يقول : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قوةٍ أنْكَاثاً** ﴾(٥) ... وهكذا تتواتر علينا آيات الكتاب . حتى مع المرأة التى كانت تضع الأشواك أمام بيت المصطفى لم يصرح القرآن باسمها قال تعالى : ﴿ **وَامْرأتُهُ حَمّالَةَ الْحَطَبِ** ﴾(٦) .

لماذا لم يصرح القرآن بأسماء النساء ؟ لأن حال النساء دائما يدعو إلى الستر والمحافظة حتى على الأسماء ، وكأن القرآن يقول إن اسم المرأة يجب أن يلف فى سبعين ثوبا من الحياء . ﴿ **وَوَجَدَ من دُونِهِمُ امْرَأتَينِ تَذُودَانِ . قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقى حَتّى يُصدُرَ الرِّعَاءُ** ﴾(٧) . ﴿ **وجاءَتْهُ إحْداهُما تَمْشى عَلَى اسْتِحْياءٍ** ﴾(٨) . وَلو أنك قلبت النظر والفكر فى قوله تعالى : ﴿ **تَمْشى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ** ﴾ لوجدت الأدب والجلال والكمال والجمال . تمشى على استحياء كأن الأرض تحت قدميها نسجت بساطا اسمه الحياء . كأن أديم الأرض تحول إلى بساط نَسْجُه الحياء . إذاسارت المرأة على استحياء أصبحت قصيرة الخطا تمشى الهوينى لا تضرب الأرض بقدمها حتى لا يهتز منها ما أمر الله بستره .. قال الله تعالى : ﴿ **ولا يَضْرِبْنَ بأرجُلِهنَّ لِيُعْلَم ما يُخْفِين من زينَتِهن ، وَتُوبوا إلى اللهِ جميعاً أَيُّها المُؤْمِنُونَ لَعَلَكُمْ تُفْلِحُون** ﴾(٩) ؛ المرأة فى الإسلام لها مكانها ، ولها برجها ، ولها وقارها ، ولاها خدرها ولها بيتها ، ولها رسالتها ، قال النبى صلى الله عليه

---

(١) يوسف ٢٣ .
(٢) المجادلة ١ .
(٣) التحريم ١٠ .
(٤) التحريم ١١ .
(٥) النحل ٩٢ .
(٦) المسد ٤ .
(٧) القصص ٢٣ .
(٨) القصص ٢٥ .
(٩) النور ٣١ .

وسلم : أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة ، صلاتها وزوجها وقال الحبيب المصطفى : « إذا صلت المرأة خمسها ، وحفظت فرجها وصامت شهرها ، وأطاعت زوجها قيل لها يوم القيامة ادخلى الجنة من أى أبوابها الثمانية شئت » مسوغات دخول الجنة للنساء . إذا صلت خمسها ويالَلأسى كثير من النساء لا يعرفن الإسلام إلا اسمه . فإذا قلت لها صلى قالت لك إننى حامل حتى أضع ، فإذا وضعت وقلت لها صلى ، قالت لك حتى أفطم الرضيع ، فإذا ما فطم الرضيع وقلت لها صلى قالت لك حتى يمشى على قدميه فإذا مشى الرضيع على قدميه وقلت لها صلى قالت لك أنا حامل من جديد . وهكذا حمل فوضع فرضاعة فمشى فحمل حتى تلقى الله . وقد قال الحبيب المصطفى من لقى الله وهو تارك للصلاة . لقيه وهو عليه غضبان . اسألوا بيوت المسلمين عن الصلاة وعن الخلافات الزوجية . اسألوا بيوت المسلمين عن أولاد المسلمين .

يجب على المسلمين أن يعلموا أن الشيطان وجنده وأتباعه لن يقر لهم قرار إلا إذا فصلوا بين المسلم ودينه . وهم يحاولون بشتى الوسائل أن يبعدوا بين المسلم والصلاة ويستغلون فى ذلك ميل الناس للشهوة من متابعة مشاهد كروية أو مشاهد جنسية تعرض عليه وتستهويه ، فيؤذن المؤذن للصلاة ، وهم عنه غافلون لاهون . والحبيب صلى الله عليه وسلم يقول النفاق ثم النفاق . والجفاء ثم الجفاء والكفر ثم النفاق لَمن سمع منادى الله ينادى ولم يجبه .

إن عمر بن الخطاب صلى العصر بالمسلمين ذات يوم ، ونظر فى صفوف أصحابه فوجد أحدهم غائبا فقال أين فلان ؟ لم لم يصلِ العصر معنا ؟ ألا يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله » وقال « ومن فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ؛ كأنه فقد أهله وماله من أجل تركه صلاة العصر » . فكم من أهل ماتوا !! وكم من مال فقد !

وكان الله سبحانه وتعالى يريد أن يضع إشارة أمامنا حينما قال ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ** ﴾ قال الإمام ابن عباس عليهما رضوان الله : الصلاة الوسطى صلاة العصر .

سأل عمر يوما عن رجل لم يصل معه العصر فقال جارٌ له إنه مريض يا أمير المؤمنين . فقال عمر : قد وجبت زيارته . وتوجه عمر إلى بيت المريض فيرد

المريض قائلا من الطارق ؟ فيقول عمر ، فينزل المريض مهرولا مسرعا ويفتح الباب لعمر . فيقول له عمر عجبت لك . أنا عبد من عباد الله أنادى عليك فتنزل مسرعا ، والله سبحانه وتعالى ينادى عليك من فوق سبع سموات فلا تجيب !! .

معشر السادة .

هكذا يستر القرآن على النساء بل حتى على الأسماء نفسها ، فلا يصرح بها وذلك حرصا على سترهن وحرصا على الحياء فى أسمائهن ، ما عدا مريم وحدها فقد صرح القرآن باسمها ؛ أتدرون لماذا ؟ لأن مريم لها قضية تتعلق بأمر العقيدة . ربما قال قائل إن المسيح ابن الله . يرد الله عليه قائلا : أنا لم اتخذ صاحبة ولا ولد ، يقول القائل . فابن من هذا ؟ يقول له الله ابن امرأة اسمها مريم ، فيصحح العقيدة عند من زلت خطاه ، ولذلك يقرن الله سبحانه وتعالى بها فيقول : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَم إِلا رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل** ﴾(١) . وترى القرآن الكريم يقول : ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهمْ وَرُهْبَانَهُم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحُ ابْنَ مَرْيَمَ** ﴾(٢) .

من هنا نعلم أن القرآن ما صرح باسمها إلا ليؤمن منطقة العقيدة بالنسبة لابنها ، وقد تعجب العجب كله حينما تعلم أن القرآن سمى سورة باسمها .

مع أن العجب يزداد إذا ما علمت أن هذه السورة اشتملت على كوكبة من الأنبياء . تحدثت عن زكريا ويحيى والمسيح وإبراهيم ، وموسى وهارون واسماعيل وإسحق ويعقوب ، وإدريس وآدم ونوح . ومع ذلك لم تسم السورة باسم نبى من هؤلاء الأنبياء وإنما سميت باسم مريم . لأن سور القرآن تسمى بأكثر ما فيها أو بأغرب ما فيها ، ومريم هنا أغرب ما فى السورة ؛ ولذلك قال تعالى فى آخر السورة ؛ ﴿ **وَقَالُوا اتَّخذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً . تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هدًّا . أَنْ دَعَوا للرَّحْمَنِ وَلَدَاً ، وَمَا يَنْبَغِى لِلرَّحْمَنِ أن يَتَّخِذَ وَلَدَاً . إن كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ إلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتيه يَوْمَ القِيامَة فَرْداً . إنَّ**

(١) المائدة ٧٥ .

(٢) التوبة ٣١ .

الّذين آمَنَوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾[1] .

تسمى السورة باسم مريم مع أنها حفية بكواكب الأنبياء .

ليقول لقارئها : اعْلَمْ أننى الفرد الصمد الواحد الأحد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا .

يقول ربنا فى الحديث القدسى الجليل : « كذبنى ابن آدم وشتمنى ولم يكن له ذلك ، أما تكذيبه لى فقوله أن لى ولداً ، وسبحانى لم أتخذ صاحبة ولا ولداً . وأما شتمه إيّاى . فقال إننى لا أقدر أن أعيد الخلق يوم القيامة أما إنى أبدأ الخلق ثم أعيده وهو أهون علىّ » .

العقيدة ركنان : التوحيد والبعث . التوحيد فاعلم أنه لا إله إلا الله . والبعث : ثم إنكم يوم القيامة تبعثون .

معشر السادة : هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

---

(1) مريم ٨٨ : ٩٦ .

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين . وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين .

معشر السادة الأعزاء :

أما عن السؤال الثالث نرى العجب فى رءوس الآى ؟ فالسورة فى آياتها عندما تختم الآى تختمه بالنصب بفتحتين يصيران مدا عند الوقف ، وهو عجب عجيب فى منطق اللغة فاسمعوا معى هذه السورة : ﴿ **ذكرُ رَحْمةِ رَبِّك عبده زَكَريَّا إذ نادى رَبَّه نِدَاء خفيا . قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائِك رَبى شَقيًّا ، وإنى خِفْتُ المَوَالىَ من وَرَائِى ، وكَانَت امْرَأتِى عاقِراً فَهَبْ لى من لدنك وَلِيًّا ، يرثنى ويَرِثُ من آلِ يَعْقُوبَ ، واجْعَلْهُ رَبِّى رضيًّا ، يا زَكَرِيًّا إنا نُبَشِّرُك بِغُلَامٍ اسمُه يَحْيى لم نَجْعَل لَهُ من قَبْل سَمِيًّا قالَ رَبِّى أنَّى يكونُ لى غُلَامٌ ، وكانت امرأتى عاقراً ، وَقدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ولم تكُ شَيْئًا** ﴾ وقرأ حمزة « ولم تك شَيًّا » ﴿ **قال ربى اجْعَلِ لى آية . قال آيتُك ألا تُكَلِّم النَّاسَ ثلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا فخرج على قَومِهِ من المِحْرابِ فأوحى إليْهِم أن سَبِّحُوا بُكْرَةَ وَعَشيًّا يا يَحيى خذ الكتابَ بِقُوَّة وآتيناهُ الحَكْمَ صَبِيًّا . وَحَنَاناً من لَدُنَّا وزكاةً وكان تقياً ، وَبَراً بوالِدَيه ولم يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا . وسلامٌ عَلَيْهِ يومَ وُلِدَ وَيَوْمُ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا . واذكُر فى الكتابِ مَرْيمَ إذِ انْتَبَذَتْ من أهلِها مكاناً شَرْقِيًّا ، فاتَّخذَت من دونِهم حِجَابا فأرْسَلْنَا إلَيْها رُوحنا فَتَمَثَّلَ لها بَشَراً سَوِيًّا . قالت إنى أعوذُ بالرحْمنِ منك إن كُنْتَ تَقِيًّا . قال إنما أنا رسولُ رَبِّك لأهَبَ لك غُلَامًا زَكِيًّا . قالت أنَّى يَكُونُ لى غلام ولم يَمْسَسْنى بَشَرٌ وَلَم أكُ بَغِيًّا ، قال كذلِكِ قال رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيِّن ، وَلِنَجْعَلَهُ آيَة للنَّاسِ وَرَحْمَةً منَّا وكان أمْراًمَقْضِيًّا . فَحَمَلَتْه فَانْتَبَذَتْ به مَكَاناً قَصِيًّا فَأجَاءَهَا المَخاضُ إلى جِذْعِ النخلةِ قالت ياليتَنِى متُّ قَبْلَ هذا وَكُنْتُ نَسْيًّا مَنْسِيًّا . فَنَادَاها مِنْ تَحْتِها ألاَّ تَحْزَنى قَدْ جعَلَ رَبّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا ، وَهُزِّى إليك بجِذْعِ النخلةِ تُساقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جَنِيًّا . فَكُلِى واشْرَبى وَقَرى عَيْناً . فإمَّا تَرَينَّ من البشر أحَدًا فَقُولى إنى**

نَذَرْتُ للرحمن صَوْماًفَلَنْ أُكَلِّمَ اليَوْمَ إنْسِيًّا . فأتَتْ به قَوْمَها تَحْمِلُهُ قَالُوا يا مَرْيَمُ لقد جِئْتِ شيئا فَرِيًّا . يا أختَ هَارُون مَا كان أبُوكِ امرأ سوءٍ وما كانت أمُّك بَغِيًّا فأشَارَتْ إليه قَالَوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كان فى المهدِ صَبيا قال إنى عبدُ اللهِ آتَانِى الكِتَّابَ وجَعَلَنِى نبيا . وَجَعَلَنى مُبَارَكاً أينما كنت وأوصانى بالصلاةِ والزَّكَاةِ ما دُمْتُ حَيًّا ، وَبَرًّا بِوَالِدَتِى وَلم يَجعَلْنِى جَبَّاراً شَقِيًّا . السلام عَلَىّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أمُوتُ وَيَوْمَ أبْعَثُ حَيًّا ﴾(١) . وبعد ذلك نرى النسق القرآنى أخذ جواً آخر فى ختام الآيِ . فقد اختلفت رءوس الآى ولم يستمر على ذلك النظم الرتيب . فهو حتى هذه الآية يقول « ويوم أبعث حيا على وزن شقيا ورضيا ومنسيا ومقضيا » . وبعد ذلك تقول الآية ﴿ ذَلك عِيسى بْنُ مَرْيَم قولَ الحق الذى فيه يمترون ﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً ، فإنما يقول له كن فيكون . ﴿ وَإنَّ الله رَبِّى ورَبُّكُم فاعْبُدُوهُ هذا صَراط مستقيم . فاختَلَفَ الأحزابُ من بَيْنِهِم فَوَيْلٌ للذين كفروا من مَشْهَد يَوْم عظيم . أسْمِعْ بِهِمْ وأبصِرْ يَومَ يأتُونَنا لكنِ الظَّالِمون اليَوم فى ضَلَالٍ مُبين . وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الَحسْرَةِ إذ قُضى الأمر وهم فى غَفَلَةٍ وهم لا يُؤْمِنُون إنا نَحْن نَرِثُ الأرض ومن عَلَيْها وإلينا يُرْجَعُون ﴾(٢) .

وبعد ذلك تعود الآيات سيرتها الأولى . فيقول تعالى : ﴿ واذْكُرْ فِى الكِتَابِ إبرَاهيمَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا ﴾(٣) ماهذا ؟ ما هذا ؟ ﴿ واذْكُرْ فِى الكِتَابِ مُوسَى إنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبيًّا ﴾(٤) ﴿ واذْكُرْ فِى الكِتَابِ إسمَاعِيلَ إنَّهُ كَانَ صَادقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبيًّا ﴾(٥) ﴿ واذْكُرْ فى الكِتَابِ إدْرِيسَ إنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبيًّا ﴾(٦) . فلماذا نجد الآيات التى بعدعيسى مباشرة تأخذ طريق آخر غير الطريق الأول . إن الله تعالى يريد أن يأخذ بأذهاننا وعقولنا وآذاننا وقلوبنا إلى أن الآية التى اتخذت مدارا آخر غير الآيات الأولى إنما

---

(١) مريم ٢ : ٣٣ .

(١) مريم ٣٤ : ٤٠ .

(٣) مريم ٤١ .

(٤) مريم ٥١ .

(٥) مريم ٥٤ .

(٦) مريم ٥٦ .

هى الحكم الذى حكم به رب العالمين أما ما سبقها من آيات فكان مقدمة لذلك الحكم . ولقد جاءت المقدمات صريحة فى بيان أن عيسى عبد الله ، وقد آتاه الله الكتاب وجعله نبيا ، وبارك فيه أينما كان ، وأنه مثل غيره قد وصى بالصلاة والزكاة مما دام حيا ، كما أوصى بالبر بوالدته كما أنه يرجو السلام من الله يوم يموت ويوم يبعث كما كان عليه السلام يوم ولد .. يوم ولد إذا فالإله لا يولد لأنه لو ولد للزم على ذلك أن يلبث فى الرحم الضيق أياما وشهورا . ويوم يموت . لأن الإله لا يموت أما العبد فهو الذى يموت ، لأن الإله إذا مات فمن ينظم الكون . إن نَبِيَّ الله موسَى الكليم قال لربه ذات يوم : ربى كيف لا تنام . فقال له الله يا موسى : أرأيت لو كان فى يدك إناء فيه ماء وأخذتك سنة من النوم . كيف يكون حال الاناء . قال يخر من يدى على الأرض يارب . قال له الله وعزتى وجلالى لو أخذتنى سنة من النوم لخرت السمٰوات العلا على الأرض . الإله لا ينام ، ولا يموت ولا يُبعث . هو الذى يحيى ويميت ويبعث ولذلك ترى المسيح بعد المقدمات التى حددت شخصيته يقول : إنى عبدالله ولم يقل أنا الله ولم يقل أنا ابن الله ... وكذلك كانت أحب الأسماء إلى الحبيب المصطفى « عبد الله » وكان أحب الأسماء إليه صلى الله عليه وسلم أن تقول له يا عبد الله ﴿ **وأنه لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهَ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْه لِبَداً** ﴾(١) . إن الآيات المتقدمة سارت على نسق واحد . أما الآية التى أصدرت الحكم فصارت على نسق وحدها . ﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم قَوْلُ الْحَقِ الَّذِى فِيهِ يَمْتَرُوْن** ﴾(٢) .

ما كان لله أن يتخذ من ولد . لم يقل ما كان لله أن يتخذ عيسى ولدا ، وإنما قال من ولد . أى ولد . لأن اليهود عليهم لعنة الله قالوا إن عزيرا بن الله . فلو أن الله قال ما كان لله أن يتخذ عيسى ولدا لقال اليهود إنه اتخذ عزيرا ولدا . فنفى سبحانه وتعالى الوالدية والولدية عن ذاته وأثبت الوحدانية والأحدية والفردية والصمدية لذاته سبحانه وتعالى . ﴿ **سُبْحانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرَاً فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾(٣) . هكذا بالأمر « كُنْ » يتحقق ما يريده الله سُبْحَانَهُ

---

(١) الجن ١٩ .
(٢) مريم ٣٤ .
(٣) مريم ٣٥ .

وتعالى ﴿ **وَمِنْ آيَاتِه أَنْ تَقُومَ السماءُ والأرضُ بأَمْرِهِ ثُمَّ إذا دَعَاكُمْ دَعْوَةً من الأَرْضِ إِذَا أَنْتُم تَخْرُجُون** ﴾(١) ﴿ **وَإِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبَّكم فَاعْبُدُوه هَذَا صِرَاطٌ مُستَقِيمٌ فاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ** ﴾(٢) اختلفوا فى طبيعة المسيح . فَمِنْ قائِل إنَّهُ اللهُ ، وَمِنْ قَائِل إنَّهُ ابنُ الله وَمِنْ قائل إن الأقانيم ثلاثة فجاء الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ليقول : لا إله إلا الله . لا إله إلا الله .

هذا هو القرآن الذى نزل على رسول الله يفصل فى أمر التوحيد فالتوحيد هو أساس الاعتقاد الأول ، والبعث هو الأساس الثانى . اللهم اجعلنا من الموحدين اللهم انصر جنودنا . اللهم وحد صفوفنا . اللهم انصر ديننا . اللهم أعد المسجد الأقصى للمسلمين . اللهم عَلَيك بمن عادانا . لا تُخيب فيك رجاءنا . اشف مرضانا ، وارحم موتانا فك أسرنا وارحم ضعفنا ، وتول أمرنا ، وأحسن خلاصنا وبلغنا مما يرضيك ضامالنا .

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدى وحبيبى ونور قلبى محمد طب القلوب ودوائها وعافية الابدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها ﴿ **إن الله يأمر بالعَدْل والإحسان وإيتاء ذى القُربَّى وينهى عن الفحشاءِ والمُنْكَرِ والبغى يعظكم لَعَلَّكُمْ تَذَكرون** ﴾(٣)

* * *

---

(١) الروم ٢٥ .

(٢) مريم ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) النحل ٩٠ .

أدب المعـاملـة

الحمد لله رب العالمين . يارب ارفع مقتك وغضبك عنا ، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، فرج الكروب واستر العيوب ، واغفر الذنوب يا علام الغيوب .

وأشهد أن لا إله إلا الله إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد من قبل الله تعالى وقال يا أهل الجنة إن لكم موعدا مع الله . فيقول أهل الجنة وما هو ؟ ألم يغفر ذنوبا ؟ ألـم يثقـل موازيننـا ؟ ألـم يبيـض وجوهنـا ؟ ألـم ينجنـا من عـذاب النـار ؟ فمـا هـو الموعد ؟ فيكشف الحجاب بينهم وبين الله ، فليس شيء أحب إليهم من النظر إلى ذات الله جَلَّ فى علاه . ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إلى ربِّها ناظرةٌ** ﴾[1] .

أصْبَحْتُ ضيف اللهِ فى دار الرضا — وعلى الكريم كرامةُ الضيفَان
تعفو الملوك عنِ النزيل بساحهم — كيف النزول بساحة الرحمن
يا من إذا وقف المسىء ببابه — ستر القبيح وجاد بالإحسان
وأنا المسىء وقد دعوتك سيدى — تعفو وتصفح للعبيد الجانى

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا محمدا رسول الله الرحمة المسداة . سيد الخلق ، وحبيب الحق ، بلغ من رحمة قلبه بأمته أنه قال : « لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن اختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة » رحمة وعطف وحنان محمد سيد الأنام . اختبأ دعوته ليشفع بها يوم القيامة لأمته . ذلك أنه يوم القيامة يذهب الناس إلى الأنبياء يسألونهم الشفاعة يقول كل نبى لست لها ، فيقول آدم : اذهبوا إلى نوح ، ويقول نوح لست لها اذهبوا إلى إبراهيم ، ويقول موسى لست لها اذهبوا إلى عيسى ، ويقول عيسى : لست لها اذهبوا إلى محمد ، ويقول محمد : أنا لها أنا لها ، ويخر تحت عرش الرحمن ساجدا ، فينادى

---

(١) القيامة ٢٢ ، ٢٣ .

عليه مالك الملك ومالك الملوك قائلا : يا حبيبى يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع

سيدى أبا القاسم يا رسول الله أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وكشفت الغمة ومحوت الظلمة وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين . صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم . أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة .

نجلس أمام الصحابة نتعلم منهم شيئا مما تعلموا فى مدرسة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ، فى أدب المعاملة مع الناس وقد تربى هؤلاء الصحابة فى هذه المدرسة المحمدية التى كان فراشها الحصباء وسقفها الجريد وتخرج فيها ملائكة البشر كأمثال المصلح العظيم أبى بكر ، والزعيم الملهم عمر ، وتخرج فها الحيى الكريم عثمان والعبقرى الفذ على ، والمدرس القدير ابن عباس المفتى الخبير ابن عمر ، والقائد الجبار خالد ، والمحدث العظيم أبو هريرة ، والفيلسوف البارع سلمان . والزاهد الورع أبو ذر . تخرج هؤلاء العظماء وأمثالهم فى مدرسة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن هؤلاء الذين نتعلم منهم «جرير بن عبدالله البجلى» وهو صحابى جليل والذى سنعرض له هو كيفية المعاملة عند جرير . أدب المعاملة عند جرير .... اسمعوا كيف كان تعامله . ارسل جرير غلاما له ليشترى له فرسا ، فلما التقى الغلام بالبائع قال له بكم تبيع الفرس ؟ وأخذت المناقشات تدور بين البائع والمشترى إلى أن وقف الثمن عند ثلاثمائه درهم . لكن غلام جرير قال له ليس معى من الثمن شىء فتعال إلى سيدى لينقدك الثمن ، ولما وصل البائع والغلام كلاهما إلى جرير ، قال جرير كلاما عجيبا . سأل الغلام بكم اشتريت الفرس ؟ أجاب الغلام بثلاثمائة درهم . وكان المتوقع من جرير أن يقلل من الثمن ، وأن يقول إنه يساوى مائتين أو مائتين وخمسين . لكن جرير نظر إلى البائع وقال له أتبيعه بأربعمائة درهم ؟ وعجب البائع وسكت . قال جرير اتبيعه بخمسمائة درهم ؟ وصمت البائع . قال جرير أتبيعه بستمائة درهم ؟ وعجب البائع وسكت قال جرير أتبيعه بسبعمائة درهم ، ودهش البائع وذهل ولم يطق على ذلك صبرا وقال يا هذا أبائع أنت أم مشتر ؟ ما رأيت مشتريا يزيد ثمن المبيع إلا أنت فما

شأنك ؟ قال جرير : لقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم والفرس تساوى سبعمائة درهم ، فلو أنى أخذتها بأقل من ذلك لغششت عهد رسول الله ... الله .. الله .. الله . يا أصحاب محمد . كانوا أصفياء القلوب وأنقياء السرائر ، وكانوا مخلصين ، وكانوا يراقبون الله فى بيعهم وشرائهم .

كان جرير يستطيع أن يشترى الفرس بأقل مما اشتراها غلامه ، لكنه رأى البائع معذورا ، وما باع الفرس إلا وسيف العذر مسلط على عنقه . فهل يستغل عذره كما نفعل الآن ؟ هل يستغل ضيق ذات يده ؟ هل يفعل ذلك ليزيد الفقير فقراً ؟ لا . إن جرير يزيد الثمن لأنه عاهد الرسول صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم فلو اشترى الفرس بأقل من سبعمائة درهم وهى تساوى ذلك يكون قد غش عهد رسول الله ومعاذ الله أن يكون من بين أصحاب المصطفى من يغش العهد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا دين لمن لا عهد له ، ولا إيمان لمن لا أمانة له » ...

ولذلك فإن الله جل فى علاه ركز على الأمانة وذكرها فى مواضع عدة . قال فى سورة البقرة : ﴿ **فإن أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ** ﴾[1] .

وقال فى سورة النساء ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهاَ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أن تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ** ﴾[2] إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ؛ هكذا جاءت مؤكدة بـ إن وبصيغة الأمر يأمركم وبلفظ الجلالة « الله » ولم يقل إنَّ ربكم يأمركم إنما قال : إن الله ؛ لأن لفظ الرب فيه معنى الرحمة والتربية وأما لفظ الجلالة الله ففيه معنى الجلال والجمال والكمال والرفعة والعظمة والهيبة والكبرياء حتى يبعث الخوف فى القلوب من خيانة الأمانة .

ثم اسمع بعد ذلك « وإذا حكمتم بين الناس » لم يقل وإذا حكمتم بين المسلمين وإنما قال وإذا حكمتم بين الناس يطلب منا العدل ولو مع الكافرين . فالكافرون ناس .

---

(١) البقرة ٢٨٣ .

(٢) النساء ٥٨ .

ولذلك لما وقف على بن أبى طالب كرم الله وجهه أمام خصم يهودى ، وكان القاضى عمر بن الخطاب . وما أعظم المحكمة إذا كان عمر قاضيها ، وماأعظم الأمة إذا كان عمر أميرها ، عمر الذى قال فيه سيدنا محمد « أنت سراج الإسلام يا عمر وليبكين الإسلام على موتك يا عمر » ولما فتحت الجلسة نادى عمر على عِلىٍّ وقال : تعال يا أبا الحسن . ونادى على اليهودى باسمه ، وبعد أن أصدر عمر حكمه وجد عليا حزيناً ، فسأله الفاروق : ما يحزنك يا أبا الحسن ؟ فقال له يا أمير المؤمنين حزنت منك لأنك لم تُسَوِّ بَينى وبين اليهودى . ناديتنى بكنيتى يا أبا الحسن وفى الكنية تكريم لصاحبها . وناديت على اليهودى باسمه ، فكرمتنى أنا ولم تكرم اليهودى الواقف معى فى ساحة القضاء . وكان عليك أن تسوى بيننا فى المناداة ...

ونصل إلى عمر لنتعلم منه أدب المعاملة ، وكيف كان يعامل الناس . كان يمشى فى الليل هو وصديقه عبد الرحمن بن عوف ، فوجد على البعد ناراً توقد ، فذهب إلى هناك ، وتفقد شأن تلك النار فوجد سيدة تجلس وأمامها قدر وحولها أطفال يموتون جوعا ، فكان أحدهم يقول أمى أكاد أموت جوعا ، وكان الثانى يقول أمى ارحمى منى الضلوعا ، وكان الثالث يقول أمى ألا أحظى بأكل قبل ما أمضى صريعا . ويقف عملاق الإسلام أمام هذا الحادث منهارا ، لا تكاد قدماه تقويان على حمل جسمه . ويسأل عمر أم الأطفال وعيناه تفيضان بالدمع : ما هذا القدر ؟ قالت يا هذا إن أطفالى قد اشتد بهم الجوع ، وليس عندى من الطعام ما أقدمه لهم ، فوضعت القدر على النار ووضعت فى القدر ماء وحصى ، أشغلهم به عن جوعهم . فيقول عمر مم تشكين يا أمة الله ؟ قالت له الله الله فى عمر .. ونزلت هذه الكلمة على قلب عمر كأنها الكوارث والصواعق .. فقال لها وما شأن عمر يا أمة الله ؟ فقالت له أيلى أمرنا ويغفل عنا ؟ ولم يستطع عمر أن يجيب سؤالا وأخذ نفسه وذهب إلى بيت المال وأنزل جوال دقيق ، وقال للحارس احمل على الدقيق فقال له الحارس عنك أم عليك يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر : احمل علىَّ فقال الحارس عنك أم عليك فقال له عمر بل علىَّ ثكلتك أمك أأنت تحمل عنى ذنوبى يوم القيامة : لك الله ياابن الخطاب .

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ

حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ ﴾(١) .

احمل على أأنت تحمل عن ذنوبى يوم القيامة ﴿ **يَوْمَ يَأْتِ لا تُكَلَّمُ نَفْسٌ إلا بإِذْنِهِ ، فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ** ﴾(٢) . احمل على أأنت تحمل عنى ذنوبى يوم القيامة . ﴿ **يومَ تجدُ كُلُّ نفسٍ ما عمِلَتْ من خَيرٍ مُحْضَراً ، وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَودُّ لَو أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيداً ، ويُحَذرُكُم اللهُ نفسه وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾(٣) .

ويحمل عمر الدقيق على ظهره أمير المؤمنين عمر الذى قال عنه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم غداة يوم بدر : « لو عذبنا الله جميعا لم ينج إلا أنت يا عمر » احمل على ويسير فى شوارع المدينة ليلة اشتد بردها . لكنه يعد الزاد لليلة صبحها يوم القيامة . ويجلس عمر أمام النار التى أوقدتها أم الأطفال ويصنع من الدقيق والسمن والعسل طعاما شهياً يطعم منه الأطفال وأم الأطفال جالسة لهذا الذى يعد الطعام لأولادها . أبشر هذا أم ملك كريم ؟ وكأنها تريد أن تقول ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم . وبعد ذلك تقطع حبل تفكيرها وتقول لعمر وهى لا والذى بعث محمداً بالحق إنك أولى بالخلافة من عمر بن الخطاب ... عمر أولى بالخلافة من عمر إنه عمر . فهل يصير عمر بن الخطاب أولى بالخلافة من عمر بن الخطاب وكلاهما عمر ؟ وينظر عمر إلى الأطفال ويقول لأمهم إذا كان الصباح فائتى بمشيئة الله إلى عمر فإننى سوف أكلمه فى شأنك وينصرف .

ولم يترك الأطفال وأمهم بل اختبأ وراء صخرة يرقب الأطفال وينظر إليهم من وراء الصخرة . فقال له عبد الرحمن بن عوف : هلم بنا إلى البيت يا أمير المؤمنين فالبرد يكاد يقصم فقار الظهر . فقال له عمر والله لا أتركهم إلا وهم يضحكون كما أتيتهم وهم يبكون ... شعور نبيل قلب يفيض رحمة ووئاما وسلاما وعطف ويضحك الأطفال لما شبعوا والفجر على وشك أن يؤذن ، ويذهب عمر وعبد الرحمن إلى المسجد لصلاة الفجر ويتقدم عمر ليصلى إماما بالمؤمنين فهو أمير المؤمنين . يقول عبد الرحمن والله الذى لا إله غيره ما استطعت أن أفسر قراءة

---

(١) الحج ٢ .

(٢) هود ١٠٥ .

(٣) آل عمران ٣٠ .

القرآن من عمر من شدة بكائه فى الصلاة ...

ويأتى الصباح ويأخذ عمر مجلس الأمير وعن يمينه على وعن شماله ابن مسعود ، وتدخل المرأة التى كان بينها وبينه حديث أمس وتلقى السلام وتجلس . على يقول لعمر يا عمر وابن مسعود يقول له يا عمر والمرأة بعد مانظرت إلى الذى يقولون له يا عمر علمت أنه الرجل الذى قالت له أمس درسا لا ينساه : أيلى أمرنا ويغفل عنّا ولما رأى عمر صفرة الوجل ، وأنها محرجة ، قال لها لا عليك بأس يا أمة الله أنا ما دعوتك إلى هذا المكان إلا لِتَبيعى مَظْلَمتك لى . مظلمة . اعتبرها أمير المؤمنين مظلمة . وقال لها بكم تبيعين هذه المظلمة يا أمة الله ؟ فقالت له التمس العفو يا أمير المؤمنين . فقال لها لابد أن اشترى هذه المظلمة واشتراها بستمائة درهم من ماله الخاص ، ودفعها للأم التى جاع أولادها ، وكتب فى العقد : أما بعد فقد اشترى عمر بن الخطاب هذه المظلمة بستمائة درهم وشهد على ذلك على وابن مسعود ، وبعد شرائها قال عمر لمن حوله أوصيكم إذا أنا مت أن تضعوها بين كفنى وجسمى لألقى بها الله

عمر شهيد المحراب الذى طُعن وهو يصلى الفجر بالمسلمين يضع مظلمة يلقى بها الله .. عليك سلام الله يا عمر ، وعلى نبينا الذى رباك ـــ عليه الصلاة والسلام

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

آداب السـفر

الحمد لله رب العالمين . يارب ارحم ضعفنا وتول أمرنا وأحسن خلاقنا . وفك أسرنا . استر عوراتِنا وآمن روعاتنا . لا تفضحنا بين خلقك ولا تخزنا يوم القيامة . أوردنا حوض نبينا واحشرنا تحت لواء حبيبنا . اللهم اسقنا بيده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا . اللهم استرنا بسترك الجميل الذى سترت به نفسك فلا عين تراك يارب .. آمين آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله .. لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال لزوجته فاطمة بنت عبد الملك يا فاطمة اخرجى عنى هذه الساعة فإنى أرى رجالا يدخلون على الآن لم أرهم من قبل . قالت فاطمة فخرجت ولكن نفسى لم تطاوعنى أن أفارقه وقت الوفاة فوقفت على الباب فسمعته يرد السلام ويقول وعليكم السلام ورحمة الله يا آدم . وعليكم السلام ورحمة الله يا صفى الله نوحا وعليكم السلام ورحمة يا خليل الرحمن إبراهيم . وعليكم السلام ورحمة الله يا كليم الله موسى . وعليكم السلام ورحمة الله يا كلمة الله عيسى ، وعليكم السلام ورحمة الله يا سيدى يا رسول الله محمداً .. قالت فاطمة ثم أنصت قليلا وقال وعليكم السلام ورحمة الله وجوه قوم ليسوا بإنس ولا جان . فعلمت إن ملائكة الموت قد حضرت ، فدخلت عليه لاحول وجهه إلى القبلة فوجدته قد حول وجهه إلى القبلة بنفسه . ثم سمعته يتلو قوله تعالى : ﴿ **لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ . وَهَوَ وَلِيهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] ويتلو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ وَلِيِّىَ اللهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهَوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾[2] ثم يتلو قوله تعالى ﴿ **إِنَّ الْمُتَقِين فِى جَنْاتٍ وَنَهَر فِى مَقْعِدِ صِدْقِ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِر** ﴾[3] . الله.لله درك يا ابن عبد العزيز . يا من كنت تخاف من الله تعالى خوف من يعلم أن النار لم تخلق إلا له وحده .

---

(١) الأنعام ١٢٧ .
(٢) الأعراف ١٩٦ .
(٣) القمر ٥٤ ، ٥٥ .

إلهـــى :

أنت الذى تهب الكثير وتجبر الـ ـ قلب الكسير وتغفر الزلات
وتقول هل من تائب مستغفر أو سائل أقضى له الحاجات

سبحانك يارب . شعاع من رضاك يطفىء غضب ملوك أهل الأرض . ولمحة من غضبك تزهق الروح ولو انغمست فى نعيم الدنيا .

قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ريا
ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر وليا

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا محمدا رسول الله . قال له رجل يا رسول الله إنى على سفر فادع الله لى . قال الحبيب : غفر الله ذنبك . وقال الرجل زدنى يا رسول الله . قال الحبيب . ويسر لك الخير حيث كنت .

سيدى يا أبا القاسم يا ذهاب همى وغمى يا جلاء بصرى أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة ومحوت الظلمة وكشفت الغمة وجاهدت فى الله حق جهاده حتى أتاك اليقين . صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم .

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة .

السفر قسمان : سفر طاعة ، وسفر معصية . ماذا يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم فى بيان ذلك يقول : « ما من رجل يخرج من بيته إلا وببابه رايتان . راية بيد ملك وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يرضى الله ورسوله تبعه الملك برايته حتى يعود إلى بيته ، وإن خرج لما يغضب الله ورسوله تبعه الشيطان برايته حتى يعود إلى بيته » .

السفر قسمان سفر طاعة وسفر معصية . سفر طاعة كأن تخرج من بيتك مسافرا إلى بيت الله أو زيارة روضة الحبيب عليه الصلاة والسلام أو كنت مسافرا لتصل أرحامك . فالرحم معلقة فى العرش تقول : من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله .

والملائكة لا تقرب رفقة فيها أحد ثلاثة « إذا وجد فيهم قاطع رحم أو مدمن

خمر ، أو جنب لم يتطهر من جنابة » ... وإذا ابتعدت الملائكة حلت الشياطين ، وإذا حلت الشياطين فلا بركة ولا راحة .

ولكن من يخرج ليصل رحمه فإن الملك يخرج وراءه برايته حتى يعيده إلى بيته ومن يخرج ليصلح بين متخاصمين ، فإن الحبيب محمدا يقول : « ألا أدلكم على ما هو أفضل من الصلاة والصيام والصدقة والحج ؟ قلنا بلى يا رسول الله . إصلاح ذات البين ،فإن قطيعة ذات البين هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر وإنما تحلق الدين » .

فإذا كان الإصلاح بين رجل وزوجته ، فاسمع معى إلى هذا النص الشريف « من مَشى فى تَزويج رجل من امرأة كان له بكل خطوة خطاها وبكل كلمة قالها عبادة سنة قام ليلها وصام نهارها » ؛ فما بال العلاقات بين المسلمين قد اهتزت وما بال البنيان قد تصدع ، وما بال السقف قد خر علينا من فوقنا ما بال القلوب تناثرت وما بال الصلات تقطعت . كل ذلك يحدث بيننا ورب العزة ينادى علينا ويقول : « وجبت محبتى للمتزاورين فىَّ المتجالسين فىَّ المتحابين فىَّ المتباذلين فىَّ . اليوم أظلهم بظلى يوم لا ظل إلا ظلى » .

أما من يخرج من بيته إلى معصية تبعه الشيطان برايته حتى يعود إلى بيته .

سيدى يا رسول الله ماذا يترك المسافر لأهله قبل سفره ؟ خيرا من ركعتين يركعهما قبل أن يذهب . ركعتان تركهما ليحفظ الله أهلك وولدك ومالك وعرضك . هذه سنن المصطفى . ركعتان تركعهما المؤمن من قبل سفره وماذا يقول المؤمن لأهله قبل سفره إذا أراد أن يودعهم ؟

يودعهم بتحية الإسلام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وهى ثلاث دعوات يعطيك الله بها ثلاثين حسنة ... فما بال تحية الإسلام قد أصبحت غريبة علينا ..

انظروا يا إخوة الإسلام . ذهب عمر يشكو عليا إلى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ويقول : يا رسول الله إن علينا لا يقرؤنى السلام إلا إذا بدأته أنا بالسلام فيستدعى النبى صلى الله عليه وسلم عليا ويسأله لماذا لا تلقى السلام على عمر يا على فيقول على : يا رسول الله لا أبدأ عمر بالسلام لأننى سمعتك تقول :

« من بدأ أخاه بالسلام بنى له الله قصرا فى الجنة » فأردت أن يبدأنى عمر ، فيأخد ذلك القصر فى الجنة ... ما هذا يا من ترعرعت ونشأت فى حجر المصطفى ؟!! ما هذا يا من تغذيت بلبان النبوة ؟!! ما هذا يا أبا الحسن والحسين ؟! ما هذا يا من قال لك الحبيب يا على أبشر بثلاثة أمور أعطاكها الله لم يعطها أحدا غيرك . تزوجت فاطمة ، وفاطمة سيدة نساء الجنة . ورزقت الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة ، وصاهرت محمداً وهو أفضل الأولين والآخرين .

ما هذا ؟ لماذا لا تبدأ أخاك عمر بالسلام يا على ؟ أهو كبر فى صدرك ؟ معاذ الله أن يكون أبو الحسن كذلك ، وهو الذى قال عنه عمر أيام خلافته : لولا على لهلك عمر . وقال لا أبقانى الله فى أرض لست بها يا أبا الحسن ... أى رجال كانوا هؤلاء الأبطال ؟!

دخل على بن أبى طالب على عمر ذات يوم ، وكان عمر خليفة للمسلمين ، فسأل عمر عليا قائلا : فيم جئتنا يا على ؟ أجئتنا فى أمر يخصك أنت أم فى أمر يعم المسلمين فقال على ولم تسأل هذا السؤال يا عمر ؟ فقال عمر لعلى إن كنت جئتنا فى أمر يعم المسلمين تركت الشمعة مضيئة . وإن كنت جئتنا فى أمر يخصك أنت أطفأت الشمعة حتى لا نستخدم مال المسلمين فى غير مصالحهم .

هكذا كانوا يخافون الظلم ، وكانوا يخافون المعصية ، وكانوا يراعون وجه الله .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً   فالظلْم ترجع عقباه إلى الندم
تنام عينك ، والمظلوم منتبه   يدعو عليك ، وعين الله لم تنم

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

الخطبـة الثانيـة

الحمد لله رب العالمين وأشهد ان لا إله إلا الله ولى الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمدا رسول الله خاتم الانبياء والمرسلين .

معشر الاخوة الأعزاء . ماذا يقول المسافر إذا غادر بيته ؟ يدعو قائلاً : « اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل أعوذ بك من شر الضبنة فى السفر — الضبنة هم رفقاء السوء — والكآبة فى المنقلب ، اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر » . فماذا يقول المسافر إذا أراد أن يركب ؟ إذا أراد أن يركب براً — سواء أكان طائرة أم كانت سيارة أم كانت غير ذلك من آلات الركوب . فعليه عندما يضع قدمه على سلم الركوب « بسم الله » . فإذا ما استوى جالسا راكبا فعليه أن يقول : « الحمد لله سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون »... سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين أو وما كنا مستطيعين أن نسخره لأنفسنا ، إنا إلى ربنا لمنقلبون أى تذكر السفر الطويل إلى الله عندما تسافر السفر القصير فى الدنيا فكل مسافر سيعود إلى الله ، وكل مرتحل سيرجع إلى الله .

أما إذا أردت أن تركب البحر فعندما تضع قدمك على سلم الباخرة فقل « بسم الله مجريها ومرساها إن ربى لغفور رحيم — وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون » .

فإذا ما عدت من سفرك ورجعت إلى أهلك ، فعليك أن تستعمل سنة حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم . كان إذا عاد من سفره ، يتوجه إلى المسجد أولاً . ومن هدى الحبيب المصطفى إذا عاد الإنسان بعد غيبة ، فليس له أن يفاجىء أهله بحضوره . إنما من السنة أن يرسل إلى أهله يخبرهم بحضوره . أتدرون لماذا ؟ لحكمة عليا . ربما تكون الزوجة غير مستعدة للقاء زوجها لأن ثوبها قد تأثر من تنظيف البيت ، اخضر وجهها من غبار البيت ربما تكون نائمة فتدخل عليها بدون

استعداد فتدخل الكراهية إلى قلبك . الحبيب يريد أن يقيم العلاقات الكريمة بين الزوجين فيقول لك : لا تفاجيء أهلك بعد عودتك من سفرك حتى لا تكون مفاجأة سيئة . أرسل إليهم بحضورك حتى يستعدوا إلى لقائك .. كان من هدى الحبيب محمد إذا عاد من سفره أن يذهب إلى بيت الله أولا ، ويصلى ركعتين ثم يتوجه إلى بيت فاطمة ويطمئن عليها ثم يعود إلى بيته ويقول : « آيبون. تائبون عابدون لربنا حامدون » . إذا ما علوت مكانا مرتفعا فقل الله اكبر . إذا ما نزلت واديا هابطا فقل سبحان الله . سواء كنت مسافرا أم كنت غير مسافر اجعل ذكر الله فى تحركاتك جميعها . سبحان الله عند الهبوط . الله أكبر عند الصعود وهذه أذكار ترفع صاحبها إلى عليين .

هذا هو هدى نبينا فى أسفاره . إذا ما دخلت بلداً لم تدخله من قبل ، وأردت أن يحافظ الله عليك من اشرار البلد ، فعليك أن تقول هذا الدعاء : « أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق » أظننى بهذا قد وضعت اللمسات النهائية على سنن النبى وهديه .

نسأل الله : أن يوفقنا لفعل الخيرات ، اللهم نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . اللهم إنا نسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة . اللهم إنا نسألك أن تعز الإسلام وأن تنصر المسلمين .

أكثروا الصلاة والسلام على حبيبى ونور قلبى طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ، ونور الأبصار وضيائها .

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون .

* * *

السفر الطويل

حديث عن الموت

الحمد لله رب العالمين . يارب . أرحم ضعفنا . لا تشمت بنا أعداءنا . لا تفضحنا بين خلقك ، ولا تخزنا يوم القيامة . استر العورات ، وآمن الروعات ... آمين آمين

وأشهد أن لا إله إلا الله إذا قال العبد لا إله إلا الله صعد بها ملك من الأرض إلى السماء فيلقاه ملك نازل من السماء فيسأله من أين ؟ فيقول الملك الصاعد للملك النازل أصعد بكلمة لا إله إلا الله من عبد قالها . ثم يسأله الملك الصاعد الملك النازل من السماء وأنت إلى أين ؟ فيقول الملك النازل أنزل له بالبراءة من النار من قبل الواحد القهار .

إلهى

يامن له علم الغيوب ووصفه — ستر العيوب وكل ذلك سماح
أخفيت ذنب العبد عن كل الورى — كرما فليس عليه ثم جناج
منك التفضل والتكرم والرضا — أنت الإله المنعم الفتاح

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمد رسول الله كان متواضعا فى غير ذلة مترفعا فى غير كبر قال له عمر بن الخطاب ذات يوم : أتأذن لى أن أذهب إلى مكة لأؤدى العمرة يا رسول الله . فأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال له : لا تنسانا يا أخى من دعائك . ولما سمع عمر هذه الكلمة من الحبيب صلى الله عليه وسلم قال : هذه كلمة خير عندى من الدنيا وما فيها .

يا داعيا للواحد الديان — يا هازما للبغى والطغيان
يا رافعاً صوت العدالة عالياً — ومؤذناً فى الناس بالقرآن

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة .

مع هدى الحبيب محمد فى سفره نعيش خاصة ، وقد اقترب موعد السفر للحج والحج أسفار وانتقال .

قال صلى الله عليه وسلم : « سافروا تصحوا » . وقال الإمام الشافعى رضوان الله عليه :

ما فى المقام لذى عقل وذى أدب	**من راحة فدع الأوطان واغترب**
سافر تجد عوضا عمن تفارقه	**وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب**
إنى رأيت وقوف الماء يفسده	**إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب**
الشمس لو وقفت فى الفلك دائمة	**لملها الناس من عجم ومن وعرب**
والأسد لولا فراق الغاب ما افترست	**والسهم لولا فراق القوس لم يصب**
والتبر كالترب مُلقى فى أماكنه	**والعود فى أرضه نوع من الحطب**
فإن تغرب هذا عز مطلبه	**وإن تغرب ذاك عز كالذهب**

هكذا يقول الإمام الشافعى عليه من الله سحائب الرحمة

إخوة الإسلام السفر فى الإسلام قسمان سفر طويل وسفر قصير ، يقول الله تعالى فى السفر القصير : ﴿ **هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ** .. ﴾[1] ﴿ **يأيها الإنسان إنك كادح** ﴾[2] ذاهب بجد إلى ربك و« كدحا » مفعول مطلق جاء لتأكيد أن الإنسان ذاهب وممعن فى الذهاب فملاقيه لابد من الموت فهو نهاية المخلوقات جميعها .

إذا أراد الله أن يقبض عبده المؤمن ، قال لملائكة الموت . انزلوا إلى عبدى يوشك أن يستريح من عناء الدنيا فتنزل الملائكة ومعها المسك والريحان فيدخلون عليك يا ابن آدم يقرءونك السلام ، ويقولون لك طفت الدنيا مشرقا ومغربا ، فما الذى أتيت به فيها فى هذا الساعة ؟ ابن آدم :

تالله لو عاش الفتى من دهر	**ألفا من الأعوام مالك أمره**

---

(١) تبارك ١٥ .

(٢) الانشقاق ٦ .

فتلــذذ فيها بكــل نفيسة متنعماً فيها بنعمتى عصيره
لا يعتريه السقم فيها مرة كلا ولا ترد الهموم بباله
ما كان هذا كله فى أن يفى بمبيت أول ليلة فى قبره

ابن آدم تقول الملائكة اخرجى أيتها النفس الطيبة من الجسد الطيب ، يصعدون بها إلى السماء فيلقاهم الأمين جبريل فى كوكبة من الملائكة الكرام ، يصعدون بالروح إلى الله ، فعندما تتمثل الروح بين يدى الله ينادى عليها الواحد الملك : يا ملائكتى أدخلوا روح عبدى فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ثم يأمر الله سبحانه وتعالى بخمسمائة من الملائكة ينزلون إلى دار الميت والميت مازال يغسل ، والمغسل يقلبه . لا لك يد تبطش . ولا لك رجل تمشى ، العينان غارتا . الفم أغلق الأعضاء البارزة انكمشت . الجسم تخشب .

ابن آدم أكنت ترضى بأن يخلع ثيابك أحد ؟! اليوم يغسلك المغسل بعد أن يخلع ثيابك واحد واحد ، ويلقيك على خشبة الغسل عريانا .

يا نفس توبى فإن الموت قد حانا واعصى الهوى فالهوى مازال فتانا
فى كل يوم لنا ميتٌ نشيعه نحيى بمصرعه آثار موتانـا
يا نفس مالى وللأموال أجمعها خلفى وأخرج من دنياى عريانا

اذكر هذه الساعة والمغسل قد أقعدك على خشبة الغسل لا حول لك ولا قوة . أين أولادك أين اليتامى ؟ أبوهم قد أغلقت عليه غرفة الغسل ﴿ **فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَت الحُلْقُوم وأَنْتُم حِينَئِذٍ تَنْظُرونَ ، ونَحْنُ أَقْرَبُ إِليه مِنْكُمْ وَلكِن لا تُبْصِرُون ، فَلَوْلَا إِن كُنتُم غَيرَ مَدِينِينَ ، تَرْجِعُونَها إِنَّ كُنْتُم صَادِقِين** ﴾[1] إلى أين .. ؟ ﴿ **فَأَمَّا إِنَّ كَانَ مِن المُقَرَّبِين فَرَوْحٌ وريحانٌ وَجَنَّةُ نعيم ، وأَمَّا إِن كَانَ مِن أَصْحَابِ الْيَمِين فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِين ، وَأَمَّا إِن كَانَ مِن الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّين ، فَنُزُلٌ مِن حَمِيمٍ ، وَتَصلِيةُ جَحِيم . إِنَّ هَذَا لَهُو حَقُّ الْيَقِين . فَسَبِّحْ باسِمِ رَبِّكَ العَظِيم** ﴾[2]

---

(١) الواقعة ٨٣ ، ٨٧ .

(٢) الواقعة ٨٨ : ٩٦ .

سبحان ربى العظيم . سبحان رب العزة والجبروت . سبحان من يقول للشيء كن فيكون .

هكذا يا ابن آدم تجردت من كل شيء فى الدنيا حتى ثيابك تركتها وجيء لك بثوب جديد يسمى الكفن ، وهو ثوب لا ثياب بعده ، وأنت الذى كنت تغير الثياب فى اليوم مرتين ...

لا باقى إلا الله . لا واحد إلا الله . لا حى إلا الله . لا قيوم إلا الله لا خافض إلا الله ، لا مانع إلا الله ، لا ضار إلا الله ، لا ملك إلا الله

أنا من أنا فى الوجود وديعة — وغدا سأمضى عابرا فى رحلتى
أنا ما مدت يدى لغيرك سائلا — فاغفر بفضلك يا مهيمن زلتى

يا ابن آدم :

أنت الذى ولدتك أمك باكيا — والناس حولك يضحكون سرورا
فاعمد إلى عمل تكون إذا بكوا — فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

يا ابن آدم تذكر حين يضع المغسل يده على بطنك ويضغط عليها وأنت لا تقوى على أن تقول شيئا ...

ما لليتامى أصبحوا على موائد اللئام ضياعاً . ما للعيون لا تدمع ، ما للاذان أصبحت للآذان الآخر مكانها أؤدى إما وكزه أستطيع مؤتة . الآتية لتبييض ولا تركع ، ما للمنازل أصبحت لا أهلها أهلى ولا جيرانها جيرانى ، ما لنا نسينا هذه الساعة ، وضيعناها وبددناها ، وما ذكرناها ،

من أنت يا ابن آدم من أنت يا من تعيش على فضل الله وتنسى الله ؟ من أنت ؟ أنت روح وجسد . الروح نفحة من الوهاب . والجسد حفنة من التراب .

هذا الجسد الذى أشقانا هو حفنة من التراب ...

فما قيمة الروح ؟ وما قيمة الجسد ؟ أما الروح فإنها لا تفنى أبدا ، لأنها من

أمر الله . من عالم الأمر . وهى لا تحلل أبدا ولا تغنى فهى باقية إما منعمة وإما شقية

ولذلك نرى الحبيب عليه الصلاة والسلام يحدثنا عن الروح بعد خروجها من الجسد فيقول : « إن الأرواح لتجتمع على الروح التى مات جسدها قريبا وتستبشر بها كما تستبشر أهل الغائب بغائبهم . يسألون الروح عن أهل الدنيا .

فأحسنوا إلى أرواح من سبقوكم من أهليكم وإخوانكم . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «الله الله فى أهل القبور . فإن أعمالكم تعرض عليهم » أعمال الأحياء تعرض على أرواح الأموات ، فإذا كان عمل الحى عملا صالحا قالت الأرواح الحمد لله . فإذا كان العمل سيئاً استاءت الأرواح هناك ودعوا الله قائلين اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا .

فيا إخوة الإسلام أحسنوا إلى أرواح أهليكم وإخوانكم بصالح أعمالكم وبسيركم على كتاب ربكم وسنة حبيبكم .

ولذلك اتفق الصحابى الجليل عوف بن مالك مع صديقه الصعد بن جثامة تعاهدا أمام الله إن مات أحدهما قبل الاخر أن يأتيه فى المنام فيخبره بما رأى . فمات الصعد أولا ، ومضى عام كامل لم يره عوف فى المنام ، ولما نام عوف ذات مرة أتاه صاحبه الصعد فى المنام فسأله عوف يا صديقى لِمَ لَمْ تأتنى إلا بعد عام ، فقال له الميت : أنا لم أفرغ من السؤال أمام الله إلا هذه اللحظة . قال عوف فماذا تريد ؟ قال عَلَىَّ دَيْنٌ لِفُلَان ثلاثة دراهم . كنت قد نويت أن أؤديها له بعد العصر ، ولكن الموت جاءنى عند الظهر . اذهب إلى أهلى فقد وضعت الدراهم فى المكان الفلانى ، فخذ الدراهم وسلمها لصاحبها ، وقل له هذا دين الصعد الذى كان لك ، فإن روحى محبوسة على باب الجنة حتى أؤدى دينى ...

الأموات يعلمون كل شيء عن الأحياء . وقام عوف من منامه وذهب إلى صاحب الدين . هل كان على فلان دين لك ؟ قال له نعم كان عليه ثلاثة دراهم . فذهب عوف إلى منزل صاحبه ووضع يده فى المكان نفسه بعد ما استأذن أهله فوجد الدراهم الثلاثة فى مكانها فأخذها وأعطاها لدائنه ، وقال له استغفر له الله ، فإن روحه محبوسة على باب الجنة حتى يؤدى دينه ...

ما هذا ؟ إنه عالم الأرواح .

يقول رواحة بن عبد الله بن رواحة ، بعد ما مات أبى شهيدا فى سرية مؤتة . زلت قدماى زلة عصيت الله فيها ، فنمت هذه الليلة فجاءنى أبى فى المنام هذه الليلة ، والحزن مخيم على وجهه ، وقال لى لم عصيت الله يا بنى ؟ إنى لا أستطيع أن أجلس بين الموتى لأن بى خزيا عظيما بسبب معصيتك لله .

فماذا يقول الحبيب المصطفى عندما يصيح أهل الميت على ميتهم عندما يقولون يا سبعاه ! يا جملاه ؟؟!! يقول الحبيب : « ما من مؤمن يموت ، ويصيح عليه أهله إلا وكزه ملك فى جنبه ، وقال له أكنت كذا حقا ؟؟ » فاتقوا الله فى الموتى .

ثم اسمع ماذا يقول الحبيب المصطفى عن النائحة التى تنوح على الموتى كما يفعل المسلمون الآن . فيقول سيد البشر : « إذا ماتت النائحة قبل أن تتوب خرجت من قبرها سوداء الوجه زرقاء العينين ملك يقودها ، وملك يسوقها إلى الله ، فيقول لها الله : ادخلى النار ، ونوحى على أهل النار كما كنت تنوحين فى الدنيا ..

هذا عن الروح أما الجسد فهو من التراب والطين ... يقول علماء الطبيعة وعلماء الكيمياء علماء الأحياء : إذا جئنا بإنسان ووزنه مائة وخمسون رطلاً وحللنا جسده فإنه يحتوى العناصر الآتية : الدهن . الكربون . الفوسفور . الماغنسيوم . الحديد . الجير . الكبريت . الماء ...

يحتوى من الدهن على مقدار يصلح لصناعة سبع قطع من الصابون ،. ومن الكربون ما يكفى لصناعة عشرة أقلام من الرصاص ، ومن الماغنسيوم ما يكفى لجرعة واحدة مسهلة . ومن الجير ما يكفى لتبييض عشة دجاج ، ومن الكبريت ما يكفى لتطهير رهط من البراغيث ومن الحديد ما يكفى لصناعة مسمار متوسط الحجم ، ومن الماء ما يكفى لملأ برميل سعته عشرة جالونات . ومن الفوسفور ما يكفى لصناعة مائة وعشرون عود ثقاب

إذا جمعت كل هذه العناصر وعرضتها فى أحد الأسواق لتبيعها فإنها لا تزيد على جنيهين هذا هو جسد الإنسان وتلك حقيقته .

ياخادم الجسم كم تشقى لخدمته أتطلب الربح. بما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنـــــفس لا بالجسم إنسان
وامدد يديك بحبـل الله معتصمـــاً فإنـــه الركـــن إن خانـــتك أركان

هذا هو ابن آدم أما السعادة كلها ففى الروح . ولذلك يقول الحبيب صلى الله عليه وسلم : « الميت كالغريق المستغيث ينتظر دعوة تصله من صديقه أو أخيه ، فإذا بلغته كانت خيرا له من الدنيا وما فيها ؛ واسمع معى إلى قول الحبيب أيضا إن المؤمن إذا ذهب إلى المقابر ، وسلم على الميت رد الميت عليه السلام واستأنس بالحى حتى يقوم من عنده ، واعلمن يا أخا الإسلام ان حبيبنا يقول : « إذا مر أحدكم بالمقابر وقال : لا إله إلا الله . رد عليه أهل المقابر قائلين ياعبدالله : والله لو علمت فضلها ما غفلت عنها » . عن ماذا ؟ عن لا إله إلا الله . إن رجلا من عباد الله زار أخاه فى القبر ، فلما زاره تنحى جانبا وصلى ركعتين ، فلما فرغ من الصلاة أخذت عينيه سنة من النوم فنام ، وبينما هو نائم رأى أخاه الميت فى المنام ، — لأن النوم هو الوسيلة الوحيدة التى لها قوة الاتصال بعالم الأرواح — رأى أخاه قادما يجرجر فى كفنه ، فقال له يا أخى ماذا صنعت منذ قليل ؟ قال له وماذا صنعت قال له لقد صليت ركعتين لو أن الله تعالى أذن لنا أن نصليهما لكان خيرا لنا من الدنيا وما فيها . فقال الحى للميت أو تعلمون ماذا نفعل وأنتم فى عالم الآخرة . فقال الميت للحى : إننا هنا نعلم ولا نعمل وأنتم هناك تعملون ولا تعلمون ...

اتقوا الله فى أهل المقابر . من أراد أن يرحم الله أقاربه فليَعمل عملا صالحا .
معاشر الأخوة : نحن فى حاجة إلى الإيمان بالله والثقة فيه كى ننجو يوم القيامة ، وكى تكتب لنا السعادة ، ولنا فى الصحابة والسلف الصالح أسوة حسنة فقد كانوا يحسنون الإيمان ويحسنون السير على منهج الرحمن .

ذهب عوف بن مالك إلى الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله إن ابنى مالكا ذهب غازيا معك فى سبيل الله ولم يعد . فماذا أصنع ؟ لقد عاد الجيش ولم يعد مالك .. قال له الحبيب محمد صلى الله غليه وسلم « يا عوف أكثر أنت وزوجك من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » . وذهب

الرجل إلى زوجته التى ذهب وحيدها ولم يعد ، فقالت له ماذا أعطاك رسول الله يا عوف ؟ قال لها أوصانى أنا وأنت بقول « لا حول ولا قوة إلا بالله » ماذا قالت المرأة المؤمنة قالت لقد صدق الله ورسوله ، وجلسا يذكران الله بقول « لا حول ولا قوة إلا بالله » . وأقبل الليل بظلامه وطرق الباب ، وقام عوف ليفتح ، فإذا بابنه مالك قد عاد ووراءه رءُوس الأغنام ساقها غنيمة . فسأله أبوه ما هذا قال إن القوم قد أخذونى وقيدونى بالحديد وشدوا أوثاقى ، فلما جاء الليل حاولت الهروب فلم أستطيع لضيق الحديد وثقله فى يدى وقدمى وفجأة شعرت بحلقات الحديد تتسع شيئا فشيئا حتى أخرجت منها يدى وقدمى ، وجئت إليكم بغنائم المشركين هذه . فقال له عوف يا بُنَىَّ إن المسافة بيننا وبين العدو تقتضى مسيرة عشرة أيام ، فكيف قطعتها فى ليلة واحدة ، فقال له ابنه مالك يا أبت والله عندما خرجت من السلاسل شعرت وكأن الملائكة تحملنى على جناحيها .

لا إله إلا الله . أخلو بها وحدى . أفنى بها عمرى . أغفر بها ذنبى . أدخل بها قبرى ألقى بها ربى .

وذهب عوف إلى حبيب الله محمد ليخبره ، وقبل أن يخبر عوف حبيبه محمدا الخبر ، قال له الرسول أبشر يا عوف فقد أنزل الله فى شأنك قرآنا ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرجاً وَيَرْزُقْه من حَيْثُ لا يَحْتَسِبْ ، ومن يَتَوَكل عَلَى الله فَهَو حَسْبُهُ إِنَّ الله بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُل شَىءٍ قَدْراً** ﴾[1] .

اسمع معى إلى قصة صحابية جليلة هى السيدة أم سليم زوجة أبى طلحة كان عندها ولد وحيد فمرض ، وقد غادر أبو طلحة البيت سعياً وراء رزقه بعدأن قبل الغلام المريض وودعه . هكذا وسافر أبو طلحة ومات الغلام فقامت أمه بغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه ، واحتسبته عند الله ... وعندما يعود زوجها يوما يسألها أين ابننا ؟ كيف حاله ؟ فتقول له : إنه نام الليلة نوماً لا يشكو فيه تعباً ولا ألما . ثم قامت فأعدت له الطعام فأكل ، ثم هيأت له نفسها فباشرها ، وهو لا يدرى ماذا فعلت المقادير ؟ ولا يدرى بماذا حكم القضاء ؟ وقبل الفجر يقوم ويغتسل ، ويقول لزوجته أريد أن أقبل ابنى قبل أن أذهب إلى صلاة الفجر خلف رسول الله . فماذا تفعل قالت له يا أبا طلحة دعنى فإنى حزينة ، قال لها ولِمَ يا أم

(١) الطلاق ٢ ، ٣ .

سليم ؟ قالت إننى استعرت من الجيران بعض الأشياء. ولكنهم طلبوها منى ، فقال لها وهل تحزنين إذا طلبوا عاريتهم ؟ قالت له يا أبا طلحة : وهل أنت تحزن إذا أخذ الله عاريته ... إن الذى خلقه هو الذى اختاره فيذهب الرجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليشكو له زوجته كيف يموت ولده ومع ذلك تهيىء له الطعام تهيىء له نفسها ، فلما شكاها إلى الحبيب قال له الحبيب : وهو بسام المحيا ، ياأبا طلحة بارك الله لكما فى ليلتكما هذه . أتدرون أثر هذه الدعوة ؟ يقول راوى الحديث فرأيت لأبى طلحة تسعة من الشبان كلهم يحفظون القرآن ويصلون فى مسجد خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

الدار الآخـرة

الحمد لله رب العالمين . يارب . استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، ولا تفضحنا بين خلقك ، ولا تخزنا يوم القيامة . يا سميع الدعاء استجب دعاءَنا وأشف أمراضنا ، وارحم أمواتنا . آمين . آمين .

وأشهد أن لا إله إلا الله هو القائل ﴿ **وَمَا مِن دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا** ﴾ فيارب . إن كان رزقنا فى السماء فأنزله ، وإن كان رزقنا فى الأرض فأخرجه ، وإن كان رزقنا بعيدا فقربه ، وإن كان رزقنا قريبا فيسره ، وإن كان رزقنا قليلا فكثره ، وإن كان رزقنا كثيرا فبارك لنا فيه .

ابن آدم

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل — الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا — لكنه خلق الإنسان من عجل

وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله يبشر المؤمنين الطائعين فيقول : إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر .

سيدى أبا القاسم يا رسول الله .

روحى بحبك فى الضياء تهيم — والشوق منى فى هواك عظيم
والقلب مسرور بذكر محمد — فى ذكره نور وفيه نعيم

صلى عليك الله يا علم الهدى ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم . أما بعد فياحماة الإسلام وحراس العقيدة .

الحديث اليوم عن الدار الآخرة ؛ لأننى أرى النفوس قد سيطرت عليها المادة فأنستها ذكر الله ، لذلك أردت أن أعيش اليوم فى سورة القيامة لأذكر الناس بأن هناك يوماً آخر ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد . قالوا يا رسول الله فهل لذلك من جلاء قال تلاوة القرآن وذكر

الله » ، نعم ذكر الله والتيقن بأننا سنعرض على الله وأن هذه الدنيا ليست نهاية المطاف . فما الإنسان فى جيل إلا ذرة فى فناء وما الجيل فى زمان إلا لبنة فى فضاء ، وما الزمان إلا مقدمة محدودة لعالم البقاء .

أتيت القبور فناديتها فأين المعظم والمحتقر
وأين المدلّ بسلطانه وأين المزكى إذا ماافتخر
تساووا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بيات الصبا فتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلى عن أناس مضوا أما لك فيما مضى معتبر

وسبحان من ينادى ويقول يوم القيامة « لمن الملك اليوم » ؟ لله الواحد القهار سبحان من يملك ذلك اليوم ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتْ الأَرْضُ والْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتْ الْوَاقِعةُ وَانشَقَتَ السَّمَاءُ فَهِي يَوْمَئِذٍ وَاهِيةٌ ، وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِها ، وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيةٌ . يَومَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيةٌ** ﴾(١) .

تعالوا أيها السادة الأعزاء نرى بعض مشاهد يوم القيامة : ﴿ **كَلاَّإِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي وَقِيلَ مَن راقٍ** ﴾(٢) إذا بلغت النفس التراق . إذا ما أخذت الروح تنتزع شيئا فشيئا من أخمص القدم حتى بلغت التراق . والتراق هى أعلى عظام الصدر . والله جل فى علاه أقسم بملائكة الموت التى تنتزع الروح انتزاعا فقال : ﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا والنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ، والسَّابِحَاتِ سَبْحَاً ، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقَاً ، فَالمُدَبِّرَاتِ أَمْراً** ﴾(٣) . والنازعات غرقا أى أقسم بالملائكة التى تنزع الروح غرقا أى تغرق فى نزعها فتنتزعها من أخمص القدم إلى أعلى عظام الصدر ، والناشطات نشطا أى التى تخرج الروح إخراجا وتفصلها عن المادة ، والسابحات سبحا أى بعد أن تخرجها تسبح بها إلى خالقها جل فى علاه ، والسابقات سبقا أى إنها تتسابق على تنفيذ أمر الواحد الديان وعندما تصل الروح إلى الحلقوم يشرف على إخراجها ملك الموت يتولى ملك الموت إخراجها بعدما تصل إلى الحلقوم وإلى

---

(١) الحاقة ١٣ : ١٨ .
(٢) القيامة ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) النازعات ١ : ٥ .

أعلى عظام الصدر ، ومولانا جل فى علاه يشرح لنا هذا الموقف شرحا ما بعده شرح ولا يفوقه تفصيل ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِن لَا تُبصِرُونَ ﴾(١) .

لمن الملك اليوم . لله الواحد القهار

ولذلك فإن الإنسان وهو على فراش الموت يتعرض لفتنة من فتن إبليس يأتيه ابليس فيقول يا هذا مت يهوديا أو نصرانيا ، فإن أباك مات يهوديا أو نصرانيا فدخل الجنة . ولذلك كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يدعو الله بدعاء القرآن : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾(٢) . وعندما حضرت الوفاة أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ونام على فراش الموت كان ابنه عبد الله يلقنه لا إله إلا الله فكان الامام إذا سمعها يقول : لا وبعداً . لا وبعداً . فلما أفاق من سكرات الموت قال له عبد الله يا أبتاه ماذا كنت تقول وأنا ألقنك الشهادة كنت كلما قلت لك لا إله إلا الله رددت على لا وبعدا . فقال عبد الله لم أكن أرد عليك أنت وإنما كنت أرد على الشيطان الذى أتانى وقال لى مت على دين اليهودية ، فكنت أقول له . لا وبعدا قال الله تعالى . ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوفٌ عَلِيهِم وَلا هُمْ يَحْزَنُون الَّذِينَ آمَنُوا وكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾(٣) فى الحياة الدنيا وفى الآخرة عندما ينامون على فراش الموت .

﴿ فَلَوْلَا إِنَّ كُنْتُم غَيرَ مَدِينِين تَرْجِعُونَها إِن كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾(٤) .

إذا استغنيتم بقوتكم عن الله فارجعوها إلى البدن مرة أخرى . هل يستطيع أحد أن يرجع الروح ؟ لا يستطيع أحد .

﴿ كَلاَّ إِذَا بَلَغت التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَن رَاقٍ ، وَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاق ﴾(٥) علم الميت أن هذه الساعة هى ساعة الفراق . وقالت الملائكة بعضهم لبعض من الذى

---

(١) الواقعة ٨٣ : ٨٥ .
(٢) آل عمران ٨ .
(٣) يونس ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .
(٤) الواقعة ٨٦ ، ٨٧ .
(٥) القيامة ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

يرق بهده الزوح إلى الله تعالى ... « ﴿ والتفت السَّاقُ بالسَّاقِ ﴾(١) عندما كُفِّنَ ابن آدم وعندما وضع على خشبته الحدباء ، نادى بأعلى صوته إلى ربك يومئذ المساق . إن الروح ترفرف على نعش الميت وتنادى وتقول يا أهلى يا أبنائى لا تغرنكم الدنيا ؛ فقد جمعت المال من الحرام والحلال وتركته لكم تستمتعون به وأسأل عنه وحدى يوم القيامة ... يا أهلى لا تغرنكم الدنيا

هى الدنيا تقول بملء فيها	**حذار حذار من بطشى وفتكى**
فلا يغرركم منى ابتسام	**فقولى مضحك والفعل مبكى**
هى الدار ما الأنفاس إلا نهاية	**لديها وما الأجسام إلا عقائر**
إذا أحسنت يوماً أساءت ضحى غدٍ	**فإحسانها سيف على الناس باتر**
ترب الفتى حتى إذا تم أمره	**دهته كما رب البهيمة جازر**
كثيرة ألوان السوداد مليئة	**بأن يتوقاها القرين المعاشر**
فإن تكن الأيام فرقن بيننا	**فكل امرىء يوماً إلى الله صائر**

﴿ والْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾(٢) . لما حضرت الوفاة عمر بن عبه العزيز وذهب بعض الأصحاب ليعودوه ، وكان عمر قد ترك من الأولاد خمسة عشر ولدا جلسوا معه وهو يعالج سكرات الموت ، فقالوا له يا أمير المؤمنين ماذا تركت لأولادك ؟ فماذا قال لهم ؟ قال لهم أمير المؤمنين كلمة واحدة . قال : تركت لهم تقوى الله قيل وكيف ؟ قال : إن كانوا صالحين فالله يتولى الصالحين ، وإن كانوا غير ذلك فلن أترك لهم مالا يستعينون به على معصية الله رب العالمين . تركت لهم تقوى الله

ولست أرى السعادة جمع مال	**ولكن التقى هو السعيد**
وتقوى الله خير الزاد ذخرا	**وعند الله للأتقى مزيد**
وإدراك الذى تأتى قريب	**ولكن الذى يمضى بعيد**

---

(١) القيامة ٢٩ .

(٢) القيامة ٢٩ ، ٣٠ .

تركت لهم تقوى الله والتقوى هى السلاح الأقوى .

هذا هو عمر بن عبد العزيز الذى حكم الأمة الإسلامية من المشرق إلى المغرب وقد أتته بناته ليلة العيد يقلن له ليس عندنا ثياب نلبسها فى العيد ، فقال له خازن بيت المال : أأصرف لك شهراً مقدما ؟ فقال له عمر ثكلتك أمك وهل اطلعت على اللوح المحفوظ وعلمت إننى سأعيش شهرا ؟ يا بناتى ليس العيد لمن لبس الجديد وإنما العيد لمن خاف يوم الوعيد ... هذا عمر ترك لأولاده تقوى الله .

ولما حضرت الوفاة محمد بن كعب القرظى وكان له مال كثير وقيل له ماذا تركت لولدك قال لهم : ادخرت مالى عند ربى لنفسى وادخرت ربى لأولادى . ﴿ فالله خَيْرٌ حَافِظاً وَهَوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين ﴾(١) .

﴿ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾(٢)

أذكر ليلتين اثنتين يا ابن آدم . اذكر ليلة زفافك على زوجتك وقد غسلت نفسك بنفسك ولبست أفخر الثياب ، وتعطرت بالعطور الزاكية وأغلقت بابك عليك وعلى زوجك وكأنك تقول « ياليل طل » يا نوم زل ، يا صبح قف لا تطلع واذكر الليلة الثانية عندما تحمل لتوضع على خشبة الغسل . لن تمشى إليها بقدميك وإنما تحمل على أعناق الرجال . أين سمعك ؟ أين بصرك ؟ أين قوتك ؟ أين دهاؤك ؟ أين جمالك ؟ أين صحتك ؟ .. من الذى يخلعك الثياب ؟ أنت لا تقوى على خلع الثياب . وتنام عاريا على خشبة الغسل وأنت الذى كنت لا تسمح لأحد أن يكشف عورتك ويقلبك المغسل كما يريد . العينان غارتا الأنف مال . الوجه شد بقطعة من القماش حتى لا يظل مفتوحا . البطن يضغط عليها بعنف ليصفى ما فيها . الأعضاء البارزة قد انكمشت ، الساقان تخشبتا ، المياه تصب عليك وأنت لا تشكو من حرها أو شدة بردها وألبسوك ثوبا جديدا يسمى الكفن تلف فيه لفا ، وتربط من أعلى إلى أسفل ثم تحمل على خشبة حدباء لا قصور . لا مال . لا جاه .

---

(١) يوسف ٦٤ .

(٢) القيامة ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ .

كل ابن انثى وإن طالت سلامته ... يوما على آلة حدباء منقول
فإذا حملت إلى القبور جنازة ... فاعلم بأنك بعدها محمول

الغنى والفقير ، والوزير والخفير والعظيم والحقير ، كلهم سيحملون على هذه الخشبة . وسيذهب من غير أن يأخذ معه شيئا ؛ لأن شرط العودة إلى الله أن يكون الإنسان متخليا عن كل شيء فى الدنيا ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾(١) سبحان من يرث الأرض ومن عليها !! عندما غادر الإنسان عالم الأرحام إلى عالم الدنيا كان حافيا عاريا ، وعندما يعود يكون حافيا عاريا .. إذا فأين الخدم والحشم والمال والعيال والجاه والسلطان ﴿ وَتَرَكْتُم ما خوَّلناكُم وراء ظُهُورِكم ﴾(٢) هكذا وراء الظهر ، ولا يرمى وراء الظهر إلا كل تافة حقير وكل ما وراء الظهور لا ينفع ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾(٣)

أيها السادة الأعزاء .

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ، أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً من مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكرَ والأُنْثَى . أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾(٤) . بلى قادر .

هنا مدرسة محمد ﷺ يقول فيها الحبيب المصطفى « البر لايبلى ، والذنب لاينسى ، والديان لا يموت . اعمل ماشئت كما تدين تدان » ويقول أيضا « كلُّ ابنِ آدم خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائين التَّوَّابُون » .

* * *

---

(١) الانعام ٩٣ .
(٢) الانعام ٩٣ .
(٣) الشعراء ٨٨ ، ٨٩ .
(٤) القيامة ٣٦ : ٤٠ .

دليـل الكتــاب

الموضــوع	الصفحــة

* * *

رقم الايداع
١٩٨٧/٢٤٠٠

الناشر
مكتبة الصحافة العباسية
ص ب ١٦٢١
ت ٢٥٧٥٣٠٣

مع بذل من الدقة البالغة فى التصحيح وقعت أخطاء أثناء الطبع نعتذر للقارىء الكريم عنها

الناشــر

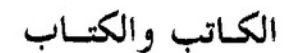
رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصويب
٥	٦	وما سُوَّاها	وما سَوَّاها
١١	٤	زاغ به	لزاغ به
١٨	٢٢	كما	لمَّا
٢٠	٣	حفت	صفت
٢٢	١٧	ثلاث	ثلاثة
٣١	٢٣	أن يمنعون	أن يمنعوه
٣٦	١٧	يَهِبُ ، ويهَبُ	يَهَبُ ، ويَهَبُ
٣٨	١١	الَرفيقة	الرفيعة
٣٩	أخر سطر	العفار	الغفار
٤٣	٥	الجراح	الجراح
٤٦	١٠	فقه	معه
٤٨	٧	تكن	يكن
٤٩	٦	اسرائل	اسرائيل
٥٠	٢١	سماءِ	سماءُ
٥١	٢٠	عَمْرٌ	عَمْرُو
٥١	٢٢	تَعْمرُ	يعْمرو
٥٣	أخر السطر	لَعْلكم	لَعَّلكم
٥٤	١١	وإلى بعثك	والذى بعثك
٥٥	٢	انسان	اللسان
٥٦	١١	عليك	عليه
٥٨	١٦	أحنوا	جنْوا
٦١	٣	لئن	لأن
٦٢	١	لعجب	لعجباً
٦٣	١١	آخْرُجتْ	أخرجت
٦٣	١٢	اخْبَّارَها	اخْبَارَها
٦٤	٩	اتَّقوا	اتقوا
٦٤	١٠	تَغُرَّنكَمْ	تغرنكُمْ
٦٤	١١	يَغُرَّنكمُ	يَغُرَّنْكمُ
٦٥	٣	كله	كلهُ
٦٥	٨	ثقها	ثقتها
٦٨	٣	حاوله	حاولت
٦٩	٥	ستدعوا	سندعُ الزبانية
٧٢	أخر السطر ناقصة كلمة «نعم»		
٧٣	٨	أن لا إله إلا ، وأنك	لا إله إلا الله ، وأونك
٧٤	١١	وإذا ينعت نعت	وإذا أينعت نعت
٧٥	٨	واستعن	واستغن
٧٥	٩	كما استغن	كما استغنى
٧٦	٤	نبا دهر	نبا بك دهر
٧٦	٩	تعلمها أو الحسن	تعلمها أبو الحسن
٧٧	٤	كما باعدة	كما باعدت
٨٢	١٤	فقال له جبريل وزنه	فقال له جبريل زنه
٨٣	٢	المدونة	المدوية
٨٤	٦	فسألها	فسألتها
٨٤	١٩ ، ٢٠	ولا النصارىَ حتي تبتع	ولا النصارى حتي تتبع
٨٥	أخر السطر	ئذْكُرُن	تَذْكرُوْن
٨٧	١٢	النَّجْمَ	والنجم
٨٨	١٢	ما حبت السائم	ما هبت السائم
٨٨	١٥	ستة من أنبياء	بعض من أنبياء
٨٩	١٣	وأقربُ	وأقرب
٩٠	١	سَؤالك	سُؤلك
٩٠	٥	فلا ضلا	فل صلّ
٩٢	١١	إذا أرد	إذا أراد
٩٢	١٩	ستكتب شهادتهم	ستكتب شهادتُهم
٩٢	٢٢	تتنفسها	تنفسها

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصويب
٩٢	أخر السطر	والحمد لله لا إله	والحمد لله إلا الله الله أكبر ولا اله الا الله والله أكبر
٩٣	٢	أو ساجداً	أو ساجد
٩٤	٦	الحْسَابُ	الحِسَابُ
٩٥	١٩	إذا وجد	إذْ وجد
٩٦	٤	بين شفتيه مخمورين	بين شفتين مخمورتين
٩٦	٢٣	يقول لك	فيقول لك
٩٧	١٢	يُخْسَرُون	يُخْسِرُون
٩٨	٣	لماذا ظهرت فينا هذه الموبقات فحلت ؟!!	لما ظهرت بيننا هذه الموبقات فحلت (وتحذف علامة الاستفهام والتعجب التى آخر الجملة)
٩٨	١٠	وإذا وجد	وإذا وجدوا
٩٨	١٧	أمر بالفسق	أمرا بالفسق
٩٨	٢٣	من ثلاثة حقائق	من ثلاث حقائق
٩٩	أخر السطر	يَعْظُكمُ	يَعِظُكُمُ
١٠٠	١	إذا طَلَّقتُمْ النساء فطلقوهُنَّ	إذا طَلَقتمُ النساء فَطَلِّقُوهُنَّ
١٠١	٣	لَستُنَ	لَسْتُنَّ
١٠١	١٠	النبيين	النبيين
١٠٢	٥	مَنْ طين	مِنْ طين
١٠٣	٤	قائمةً	قائمةُ
١٠٣	٨	ما احدمت	ما احتدمت
١٠٣	آخر السطر	عقب من	عقب على من
١٠٣	آخر السطر	وَنَجيَّناه	

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصويب
١٠٩	٩	خَيراً	خَيْراً
١١١	٨	صَادعاً	صداعاً
١١٢	١٨	يا حانة	يا ريحانة
١١٤	١٧	المنعم والمنان	المنعم المنان
١١٦	٢	خالق	خلق
١١٦	٢٠	عشرة	عشر
١١٨	١٣	هيكل عظيم	هيكل عظم
١١٨	١٦	تتعبه	تثغبه
١٢٣	٢	ويَرْزُقُه	ويَرْزُقْهُ
١٢٣	١١	إنه خصم	انها خصم
١٢٥	١٥	فميصه	قميصه
١٢٥	١٧	ليت بعدها	ليست بعدها
١٢٦	٩	أحبَّ	أحبُّ
١٢٦	أخر السطر	أيديهم	أيديَهُنَّ
١٣٠	١٥	لو سلك	لو سلكوا
١٣٢	١٤	حرساً	حَرْساً
١٣٥	٥	وصلة	وصلت
١٣٧	٤	فردناه	فَرَدَدْناه
١٣٧	٥	وليعلمُ	ولتَعْلَمَ
١٣٧	١٠	ليس — هو	ليست — هى
١٣٨	٦	يقام	بعامِرٍ
١٤٠	أخر السطر	ذُرِّيَّة	ذَرِّيَّة
١٤٢	١٥	فيجمون	فيجمعون
١٤٣	٣	الله	لله
١٤٣	٦	مصداقاً	مصدقاً
١٤٣	١٤	يلد	تلد
١٤٦	١٠	يُحلِّموك	يُحككُّوكَ
١٤٧	١٢	وخمسين	وخمسُون
١٥١	١	أوصَافه	أوصافُه
١٥٢	١٢	فتعالى	فتعال
١٥٢	٢٣	شيء — المفصلات	شيئاً — المعضلات

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	التصويب
١٥٣	٢	وراوَدَتْهُ	وَرَاوَدَتْهُ
١٥٣	٨	وامرأته	وامرَأتُه
١٥٣	أخر السطر	ولاها	ولها
١٥٤	٢٣	وكان	وكأن
١٥٥	١٢	والمسيحُ	والمسيحَ
١٥٥	٢١	اتَّخذَ	اتَّخَذَ
١٥٧	١٩	ربُّك	ربُّك
١٥٨	٥	السلام	والسلام
١٦٠	١١	ضامالنا	آمالنا
١٦٥	٣	تُكَلمَّ	تَكَلمَّ
١٦٧	١	خلاقنا	خلاقنا
١٧١	١٠	أو	أى
١٧٣	٦	يسألُه	يسأل
١٧٣	١٠	ذلك	ذاك
١٧٣	١٦	لا تنسانا	لا تنْسَنا
١٧٤	أخر السطر	فتليز ذ – عصيره	مُتَلذِذاً – عصره
١٧٦	١٦	يشطب كله ويكتب الآتى	ما للآذان لا تسمع . ما للقلوب لا تخشع . ما للحياة لا تسجد ولا ..
١٧٩	١	بما	ممَّا
١٨٣	٧	بيات الصبا	بنات الثرى
١٨٣	١٤	بلغتْ	بَلَغَتِ
١٨٥	٨	نهاية	نهائب
١٨٥	أخر السطر	تأتى	يأتى


International
إنترناشونال برس Press
٥ شارع جمال الشاهد — مدينة الصحفيين ت ٣٤٧٤٢٥٩



أما الكاتب ـــ فضيلة الشيخ عبد الحميد كشك ، فهو غنى عن التعريف ، له جمهوره الذى عشق صوته ، وانجذب إلى كلماته المؤمنة المنطلقة من قلبه إلى قلوبهم ، صاغها إيمانه وشجاعته وثقته فى الله .. وقد حرم جمهوره هذا كله والأمر لله من قبل ومن بعد ..

وأما الكتاب فيضم عديداً من خطبه المنبرية ، نقلناها بأمانة دون أدنى تصرف فيها ، وقد يرضى البعض عنها برمتها ، وقد لا يرضى البعض عن شىء قليل من عباراتها ، والكمال لله وحده ، فلم يغب عن أذهاننا القاعدة المقررة التى صاغها الإمام الشافعى فى كلمات من نور :

« كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب الروضة الشريفة ، صلوات الله وسلامه عليه » ..

ولا يفوتنا أن نشكر المربى الفاضل الأستاذ محمد محمد عبد المقصود الذى بذل جهداًمشكورا فى إعداد الكتاب للطبع والنشر .

إن الشيخ الآن .. رهين المحبسين ـــ لا تشبيها بأبى العلاء المعرى . ولكن إقراراً للواقع ، إلا أن صوته ما يزال باقيا حيا مجلجلا لا فى مصر وحدها ، بل فى سائر أرض العروبة والإسلام ..

وهذا من فضل الله عليه وعلى الأمة المسلمة ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون . !

مكتبة الصحافة

القاهرة ص . ب ١٦٢١

